# المعرفة 144

العدد ١٤٤ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ إبريل ٢٠٠٧م

عبدالرحمن السميط

## توزيع النقود لا يحل مشكلات المسلمين.. التعليم هو الأولى

## الطالب الذي كان ينام في الصف الثالث

## العبها تتعلمها

## خيبة (المتحضرين) وخراب (المتشددين)

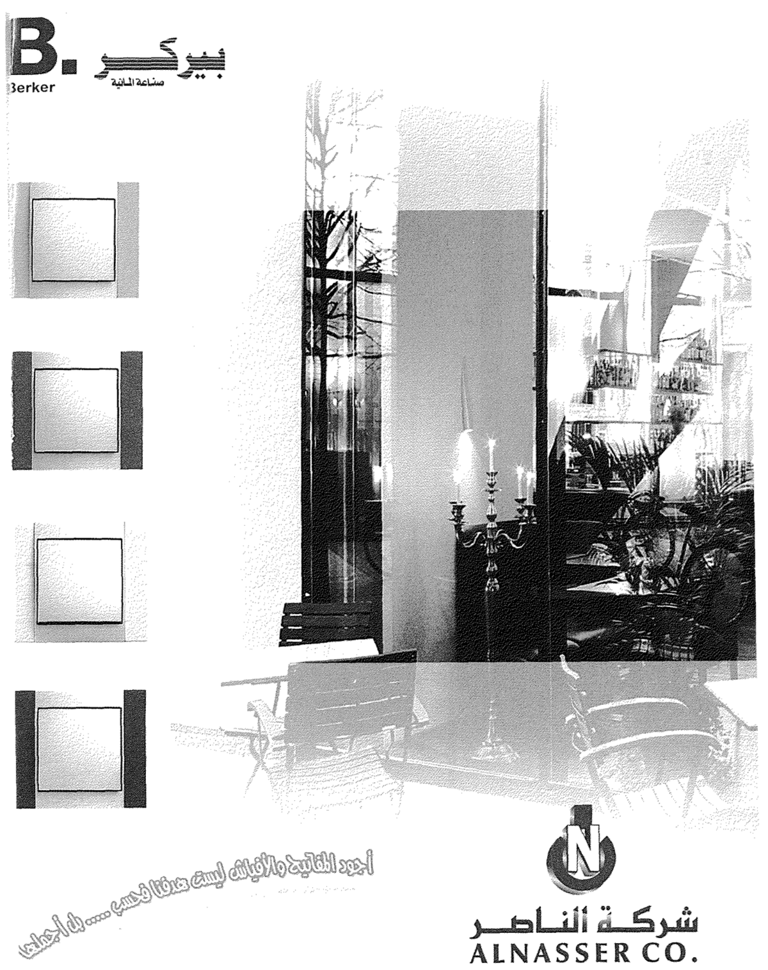
عبدالرحمن الأنصاري

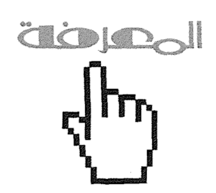
## الكل يرفض أن أكتب في جريدته..



العلاقة بينهما إن بدأت.. استدامت

# التربية والتطوع


بيركر B.
صناعة ألمانية
Berker
أجود المفاتيح والأفياش ليست هدفنا فحسب ..... بل أجملها
شركة الناصر
ALNASSER CO.


المعرفة

# المعرفة

مجلة شهرية تصدر عن

وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز

وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٤٤) - ربيع الأول ١٤٢٨ هـ - إبريل ٢٠٠٧ م

**المشرف العام**

د. عبدالله بن صالح العبيد

وزير التربية والتعليم

**رئيس التحرير**

د.عبدالعزيز بن جارالله الجارالله

**نائب رئيس التحرير**

سلطان بن عبدالعزيز المهنا

**مدير التحرير**

خالد بن عبدالله الباتلي

**مديرة التحرير** «لشؤون تعليم البنات»

فاطمة بنت فيصل العتيبي

**سكرتير التحرير**

عبدالوهاب بن يوسف المكينزي

**الإخراج الفني**

ينال رياض إسحق

**إدارة النشر**

Rawnaa

Specialized Communication

رونــاء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩


البند الأول: المواد المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة التربية والتعليم.

البند الثاني: تبويب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

# بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كانت البلدان المتقدمة حضاريًا وعلميًا وتقنيًا تعزو أسرار نهضتها إلى قرارات مفصلية حاسمة اتخذت بشأن التعليم، وحفظت في سجل مناسباتها الوطنية الاحتفالية، وعلقت في الذاكرة الشعبية الخالدة، فإن «مشروع الملك عبدالله بن عبدالعزيز لتطوير التعليم» والمتوج بتسعة مليارات ريال يعتبر في المقياسين الكمي والنوعي من قبيل هذه القرارات المفصلية الحاسمة.

مشروع ضخم لا يحتمل مداه الزمني المحدود بست سنوات إلا التشمير عن الأذرع لحمل وإطلاق الطاقات لترجمة رؤيته واستحضار الخطط لتحقيق غاياته، لا سيما مع تفرده عن المشروعات السابقة بشمولية برامجه لأربع قضايا جوهرية يعول عليها في أي نهضة تعليمية هي: المناهج الدراسية، تأهيل المعلمين، البيئة التربوية، النشاط الطلابي.

التعليم في المملكة يتحرك صوب مرحلة جديدة سوف تلغي التقليدية في تلقي المعلومات واستحضارها، وتؤسس لأساليب تفكير ومهارات وقدرات تظل القلب النابض في مراحل التنمية الوطنية! المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير

ص.ب -٧-٢٣٠٠٠ الرياض ١١٣٢١

هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩

فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com



الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،

الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،

البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠بيسة،

اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،

الأردن ١,٢٥دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،

مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،

المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.

سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض:4197333. فاكس: 4197696

فاكس مجاني: 8001242277

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:4197333. فاكس: 4197696

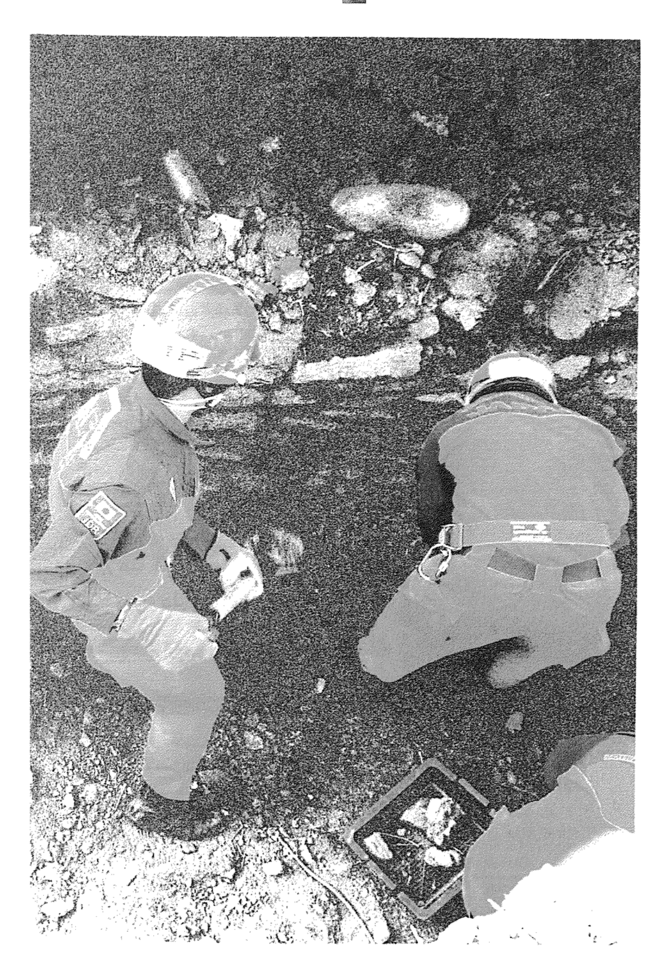
Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص. ب 26450 الرياض 11486

التوزيع

الوطنية للتوزيع



# العلاقة بينهما إن بدأت.. استدامت

# التربية والتطوع

يطل على وجوه العاملين في المستشفى بابتسامة عميقة ذات معنى، تطرد آهات ورائحة الممرات الحادة، فمنذ ثلاث سنوات خصص «أبو محمد» ساعة أو أكثر من كل يوم خميس لزيارة المرضى في المشفى القريب يوزع الصبر والمواساة على المرضى ويفتح نوافذ الأمل حتى عقد صداقات مع ذوي الأمراض الطويلة أو المستديمة وأصبح من علامات المشفى «الخميسية» لا يريد من ذلك إلا وجه الله وإعادة القيمة الفعلية لحياته بعد أن تقاعد من عمله. أما «ناصر» الشاب الذي تقترب به أيامه من العقد الثالث فهو يقضي ليالي الخميس والجمعة التي تكثر عادة فيها الولائم والأعراس- يقضيها- واقفًا على باب جمعية خيرية لاستقبال فوائض الموائد، ولا تغمض له عين حتى يوزعها على عوائل وأسر خاوية بطونها جائعة، صارت متعودة في هذه الليالي مجيء «ناصر» ومعه ابتسامة وشهامته وذاته الغنية بنفسها وبمساعدة الآخرين وإعادة إشراكهم في الحياة وتعزيز أنفسهم بأنهم ما زالوا داخل مجتمع. «أبو محمد» و«ناصر» لا ينتظران مكافأة من أحد ولا يتطلعان لأي خطاب شكر من أي جهة؛ غاية رضاهم ابتسامات الفقراء والمرضى وبشائر الفرح على وجوه من يحتاج إلى خدماتهم وتطوعهم.

كثيرون في الغرب ما إن يتقاعدون حتى يكونوا قد عودوا أنفسهم وعلموها ودربوها على عمل ما يكون جاهزًا لهم بعد تقاعدهم يشعرهم بهدف لحياتهم ويراهنون به أمام ما تبقى لهم من سنوات في دنياهم «المادية» فهم وغيرهم نتاج ثقافة «تطوع» تتعزز باستمرار في الحياة الغربية أثبتت نفعها للمجتمع والمتطوع سواءً بسواء.

في العالم العربي تسهم ثقافة الشك واللاجدوى وعدم التقييم المجتمعي المناسب للعمل التطوعي في إقصاء أناس من حياة معنوية عظيمة وتنحى بهم إلى فراغ لا ينتج إلا فراغًا. رغم أن الإسلام في نصوص عديدة يدعو أهله إلى الإحسان وفعل الخير والتطوع في ذلك.

التطوع صناعة حياة ممتعة بالخير والنفع، وأحسن بمتعة تتحقق بها المنفعة والقيمة الاجتماعية.

في هذا الملف الذي يتزامن مع المؤتمر السعودي الثاني للتطوع والذي يرعاه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز أكثر من عنصر يستحق الالتفاتة والضوء والقراءة ..بلا تطوع! المعرفة

### التطوع الاجتماعي في الإسلام

# تعزيز رأس المال الاجتماعي


د.محمد عثمان الخشت ❊. مصر



❊ جامعة القاهرة

**بمقدار قوة وتنوع وفاعلية التطوع الاجتماعي، يكون مقدار ما يمكن أن يُطلق عليه «رأس المال الاجتماعي Social Capital»، فرأس المال الاجتماعي هو: المجموع الكمي والكيفي أو النوعي للمؤسسات والجمعيات والمنظمات الاجتماعية غير الحكومية في مجتمع من المجتمعات بالقياس لعدد السكان.**

ورأس المال الاجتماعي غير «رأس المال النقديMonetary Capital»، الذي هو عبارة عن مجموع الأموال السائلة.

ورأس المال الاجتماعي أيضًا غير «رأس المال الماديCapital Physical» الذي يشمل الموارد الطبيعية والمرافق والطرق والعقارات والآلات وما شابه ذلك.

كما أن رأس المال الاجتماعي غير «رأس المال البشري Human Capital»الذي يمثل مجموع الأفراد المتعلمين وذوي الصحة أي الذين يمثلون موارد بشرية حقيقية.

ويعد رأس المال الاجتماعي أحد المعايير التي ينبغي أن تقاس بها قوة المجتمعات، وهو ليس علامة فقط على مدى قوة أو ضعف المجتمع الأهلي، بل علامة كذلك على التقدم أو التخلف السياسي والاجتماعي.

وأول من استخدم مصطلح «رأس المال الاجتماعي» هو جيمس كولمان عالم الاجتماع الأمريكي سنة ١٩٨٧ في كتابه المشترك مع توماس هوفر المعنون «المدارس الثانوية الحكومية والخاصة: دراسة تأثير المجتمعات المحلية». لكنه لم يستخدمه بالمعنى المشار إليه أعلاه، بل استخدمه «لوصف أنواع العلاقات بين الأفراد في إطار الأسرة والمجتمع المحلي، والتي

يعتقد أنها تمارس تأثيرًا قويًا على مستويات التحصيل الدراسي. ويرى كولمان أن رأس المال الاجتماعي الخاص بنمو أحد الشباب يتمثل في أداء المجتمع المحلي لوظائفه أداء جيدًا، وفي العلاقات الاجتماعية الحقيقية بين الوالدين، وفي التحديد والخصوصية الذي يتجلى في بناء تلك العلاقات، وفي علاقات الوالدين بمؤسسات المجتمع المحلي. كذلك تمثل مجموعة المعايير التي تتكون في المجتمعات المحلية ذات الدرجة العالية من الخصوصية جزءًا من رأس المال الاجتماعي هذا».

أما الذي استخدم مصطلح «رأس المال الاجتماعي» بالمعنى الذي استخدمناه أعلاه، فهو روبرت بوتنام Putnam R. عالم الاجتماع السياسي الأمريكي، في كتابه «Making Democracy Work: Civil Tradition in Modern Italy. Princeton: Princeton University Press. ١٩٩٣». وقد ربط فيه بين رأس المال الاجتماعي ومعدل التنمية الاقتصادية، نظرًا لكون روابط أو مؤسسات المجتمع الأهلي لها دور في التكافل الاجتماعي، وتعطي المساعدة للأفراد في بداية تكوين المشروعات الاقتصادية.

**العمل التطوعي وقضاء الحوائج وفق المنظور الإسلامي:**

إن للعمل الاجتماعي التطوعي آثارًا ومنافع متنوعة، لا تعود على المجتمع بأكمله فقط، بل تعود على الفرد المتطوع نفسه أيضًا. ولا شك أن العمل التطوعي من الطرق المهمة للاستغلال الأمثل لطاقات الأفراد وخاصة المرأة والشباب في مجالات غنية ومثمرة لمصلحة التنمية الاجتماعية، والمساهمة في حل قضايا الفقر والبطالة والإرهاب والتفكك الأسري والعنف والتسول والإدمان ... إلخ.

ويقوم العمل التطوعي على أساس قضاء الحوائج وفق المنظور الإسلامي، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه فإن الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

وقال رسول الله :«من مشى إلى حاجة أخيه المسلم كتب الله تعالى له بكل خطوة يخطوها حسنة إلى أن يرجع من حيث فارقه، إن قضيت حاجته خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب».

وسئل رسول الله: من خير الناس؟

قال:« أنفعهم للناس».

وعن البراء بن عازب قال أمرنا بسبع ونهانا



عن سبع -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- قال: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي، وتشميت العاطس، ونصر المظلوم، وإبرار المقسم. ونهانا عن الشرب في آنية الفضة، فإنه من يشرب فيها في الدنيا لا يشرب فيها في الآخرة، وعن التختم بالذهب، وعن ركوب المياثر، ولباس القسي والحرير والديباج والإستبرق.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، فقال: يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال:« تأخذ فوق يديه».

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»، وشبك بين أصابعه.

**أنواع العمل التطوعي الاجتماعي ؟**

للتطوع الاجتماعي دور كبير في مساعدة الحكومة في المساهمة في تقديم الخدمات العامة، ورعاية الأيتام، والمعاقين، والمسنين، وتقديم الخدمات العلاجية، ومحو الأمية.

وعلى العاملين في مجال التطوع الاجتماعي عبء كبير في مجال البيئة: أعمال النظافة في المجتمع المحلي، والإبلاغ عن المصانع والورش الملوثة للبيئة، وزراعة المناطق المحيطة بالبيوت وأمامها، واستغلال المساحات الفارغة لعمل حدائق...إلخ. ولنشر الوعي البيئي أهمية كبرى، لأنه لا عمل بدون وعي، وللدين دور كبير في هذا الصدد؛ لأنه يشتمل على مُحفِّزات للفعل أكثر تأثيرًا في دفع الناس للعمل التطوعي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها». والفسيلة هي النخلة الصغيرة تُقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتُغرس، وتطلق على أي جزء من النبات يُفصل عنه ويُغرس. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:«إماطة الأذى عن الطريق صدقة».

وعلى المجتمع الأهلي مساعدة الحكومة في مكافحة البطالة، من خلال تقديم القروض الحسنة، أي القروض بلا فوائد، لتشجيع المشروعات الاقتصادية الصغيرة. ويمكن له في هذا الصدد توجيه أموال الزكاة والصدقات في مساعدة الفقراء على القيام بهذه المشروعات، بدلًا من الطريقة التقليدية التي علمت الفقراء أن يكونوا عالة على المجتمع دون بذل أي جهد في سبيل عمل شريف. وذلك على غرار بنك الفقراء في بنجلاديش. وكذلك عمل دورات تدريبية لنقل وتنمية المهارات الإنتاجية التي تساعد تهيئة العاطلين للعمل، أو تساعد الذين يرغبون في تطوير أنفسهم وتحسين مستوى عملهم، أو تغيير مجاله.

> يعد رأس المال الاجتماعي أحد المعايير التي ينبغي أن تقاس بها قوة المجتمعات، وهو ليس علامة فقط على مدى قوة أو ضعف المجتمع الأهلي، بل علامة كذلك على التقدم أو التخلف السياسي والاجتماعي

وعلى أجهزة الحكومة المعنية ومؤسسات المجتمع الأهلي عمل برامج فعالة وعملية لنشر الوعي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في مختلف الطبقات، ولا سيما الطبقات الدنيا، والتركيز على نشر ثقافة التنمية والإنتاج. وتفعيل مشاركة المواطنين، وتهيئة المناخ العام لجعل كل مواطن يشعر أن أي عمل إيجابي -ولو كان صغيرًا- سوف يساهم في عملية التنمية والتقدم، وغرس مفاهيم عمل الخير الإيجابي، أعني الذي ينعكس على عملية التنمية والبناء والتعمير والإنتاج.

إن العبء كبير على المجتمع الأهلي، وينبغي أن يقوم بمسؤولياته، ولا يصبح هو بدوره عالة على الحكومة. كما أن العبء كبير على الحكومة، لكن

دورها والعبء الواقع عليها لا يبرران لها الهيمنة على المجتمع الأهلي، أو السيطرة الشمولية عليه؛ لأن الدولة كما يقول دوركايم :«إذا كان لديها الحرص على أن يكون لها وجود في كل مكان، فسوف لا توجد في أي مكان».

وإذا ما رفعت الدولة هيمنتها عن المجتمع الأهلي، فإنها سوف تفسح المجال للمجتمع الأهلي للقيام بواجباته في مشاركتها على أفضل صورة إذا كان أعضاء هذا المجتمع على درجة من الوعي والنزاهة والشعور بالمسؤولية؛ وفي هذه الحالة سوف يقدم المجتمع الأهلي للمجتمع العام رأس المال البشري الذي يعتمد عليه؛ لأن المجتمع الأهلي الحر في إطار منظومة قانونية عادلة، دون تدخل الدولة، يؤدي خدمة كبيرة إلى المجتمع العام، وسوف يسهم في «إيجاد الشخص الصالح، والأمانة fidelity، والشعور بالواجب، وبذل الذات، والشرف، والخدمة، والالتزام، والتحمل أو التسامح tolerance، والاحترام، والعدل، والشجاعة، والنزاهة، وبذل الجهد، والوطنية، واحترام الآخرين، والتوفير، وتقدير الآخرين».

ويمكن أن نلخص أنواع التطوع الاجتماعي في النقاط التالية:

- مساعدة الفقراء والمحتاجين، وكل ما من شأنه سد حاجة المسلمين الأساسية والمعيشية.
- رعاية المتفوقين وطلاب العلم عامة.
- الإغاثة.
- أعمال الصلة والمواساة، وحل المشاكل الزوجية والأسرية.
- مشاريع الزواج.
- مشاريع التقسيط المريح في البناء وسيارات الأجرة.
- حماية المستهلك.
- إيجاد فرص عمل.
- إيصال الخدمات والتسهيلات والاحتياجات إلى مستحقيها.
- مساندة النازحين واللاجئين، من خلال التطبيب، وإعداد الطعام، والمساندة في عمليات الإيواء وغيرها من ألوان التطوع الاجتماعي.
- قروض ميسرة لبداية مشروع صغير.
- الرعاية الصحية، وتوفير الخدمات الصحية الخاصة للمرضى الذين ليس لهم من يرعاهم، والاهتمام بالحالات التي تحتاج إلى علاج طبي طويل ومكلف أو طارئ، ونشر مفاهيم التنمية الصحية ودعم الجهات القائمة على توفير الخدمات الصحية والارتقاء بمستواها.

**التطوع الاجتماعي في المؤسسات الخيرية والأوقاف:**

عرف المجتمع الإسلامي أشكالًا متعددة مما نطلق عليه الآن اسم مؤسسات المجتمع المدني أو الأهلي الذي يقوم على التطوع الاجتماعي، مثل الأوقاف وطوائف الحرف والتجار، والأخويات.

ويشكل نظام الأوقاف لبنة أساسية للتطوع بغرض تحقيق التكافل الاجتماعي بعيدًا عن دور الدولة. وكانت الأوقاف تمارس دورًا كبيرًا في بنيان الأمة، حيث كانت تساهم في التوازن الاجتماعي والاقتصادي، فهي خدمة عامة تقدم للناس ابتغاء وجه الله تعالى.

وينتمي مفهوم الوقف في جوهره إلى فلسفة العمل التطوعي التي حض عليها الإسلام وأكدها من خلال مفهوم الصدقة الجارية في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إذا مات ابن آدم

إن العبء كبير على المجتمع الأهلي، وينبغي أن يقوم بمسؤولياته، ولا يصبح هو بدوره عالة على الحكومة. كما أن العبء كبير على الحكومة، لكن دورها والعبء الواقع عليها لا يبرران لها الهيمنة على المجتمع الأهلي، أو السيطرة الشمولية عليه

انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».. ولذا يحلم كثير من المسلمين أن تكون له صدقة جارية أو وقف خيري ينتفع به الناس بعد موته.

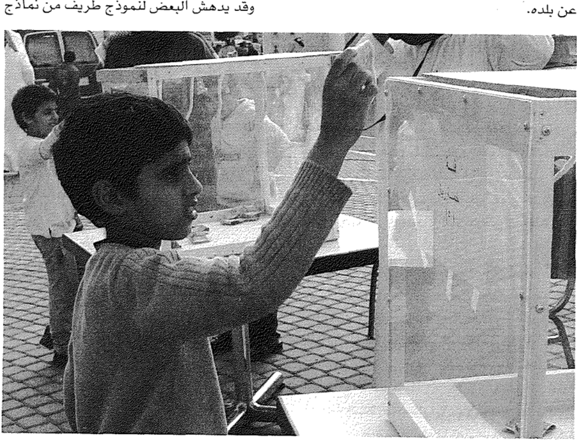
والأعمال الوقفية التي ينطبق عليها مفهوم الصدقة الجارية متنوعة، فهي تشمل كافة الخدمات، مثل:

- إصلاح الطرق العامة وإنشاء الجسور.
- عمارة المساجد.
- تقديم الخدمات الطبية.
- كفالة الأيتام واللقطاء والفقراء.
- مساعدة طلبة العلم.
- مساندة المزارعين فيأخذون بذور أرضهم مجانًا.
- مساعدة صغار التجار بعطايا أو بقروض حسنة بلا فوائد.
- تزويج الفقراء من الشباب ذكورًا وإناثًا.
- كفالة العميان والمقعدين.
- تقديم الألبان للأمهات الفقيرة.
- تقديم العون لابن السبيل أي المسافر الغريب عن بلده.
- مصرف وقفي للمساجد.
- مصرف وقفي لرعاية حفظ القرآن الكريم، ونشره والاهتمام بعلومه وتشجيع تلاوته حفظًا وتجويدًا وترتيلًا، عن طريق العناية بطلاب العلم المحتاجين.

ولنأخذ إحدى عواصم الحضارة الإسلامية كنموذج للدور العظيم الذي كانت تقوم به الأوقاف في حياة الناس، يقول ابن بطوطة:

«والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها، فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج يعطي لمن يحج عن الرجل منهم كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن. ومنها أوقاف لفكاك الأسارى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم، ومنها أوقاف على تعديل الطريق ورصفها لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك، ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير».

وقد يدهش البعض لنموذج طريف من نماذج



الأوقـاف خصصه بعض أهـل الخيـر لمساعدة الأطفال الذين يبعثهم ذووهـم لشراء متطلبات المنزل ويكون معهم آنية فتنكسر، فكان يذهب هؤلاء الأطفال إلى ما يسمى وقف الأواني ليأخذوا نقـودًا يشترون بها بـدلًا منها حتى لا يضربهم ذووهم!

وقد حدثنا عن هـذا النموذج ابـن بطوطة، فقال :«مـررت يومًا ببعض أزقـة دمشق فرأيت به مملوكًا صغيرًا قد سقطت من يده (صحفة) من الفخار الصيني، وهـم يسمونها الصحن، فتكسرت، واجتمع عليه الناس، فقال له بعضهم: اجمع شققها واحملها معك لصاحب (أوقـاف الأواني)، فجمعها وذهب الرجل معه إليه فأراه إياها، فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن. وهذا من أحسن الأعمال؛ فإن سيد الغلام لا بد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره، وهو أيضًا ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك، فكان هذا الوقف جبرًا للقلوب. جزى الله خيرًا من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا».

ولا شك أن إمكـانـات الكثيرين المتواضعة تحول دون تخصيص وقف يحتاج إلى مبالغ مالية كبيرة لوقفها على مشروع خيري معين.

وفي العصر الحديث تطور مفهوم الوقف، حيث يمكن أن يشارك فيه مجموعة من الأشخاص أيًا كان عددهم، عن طريق فكرة الأسهم الوقفية التي أصبح من الممكن معها أن يشارك جمهور المسلمين مـن محـدودي الـدخل في الـوقـف عبر المساهمة في وقـف خيـري بشراء سهم أو عدة أسهم حسب القدرة، وحسب الفئات المحددة في مشروع معين ينفق ريعه على أوجه الخير المحددة وفقًا للسهم وحسب رغبة المساهم.

ويهدف هذا التطوير إلى تنشيط دور الوقف التنموي كخطوة أولى على طريق تجديد آلية العمل الوقفي وتحديثها من خلال فكرة الأسهم الوقفية .

**أشكال أخرى للتطوع والتكافل:**

هناك نظام الأخـويـات وهـو نظام للتكافل الاجتماعي بين الأفـراد، وهـو في الأسـاس نظام



صوفي وجد خارج نطاق المسجد فيما كان يسمى الزاوية أو الرباط أو التكية، وكان أعضاؤه يشكلون نظامًا اجتماعيًا يطلق عليه النظام الأخـوي. ومع أن الانضمام لهذا الشكل من التنظيم كان مفتوحًا لكن كان لابد من توافر بعض الشروط، منها التأكد من وجود إرادة حرة ورغبة حقيقية وقناعة ذاتية.

وتطورت الأخويات، فأصبحت تضم لها أفراد حرفة معينة أو معظمهم، ومن ثم أصبحت تشكل قاعدة اتحاد عمال أو نقابة مصغرة، تقوم على العمل التطوعي والتكافل الاجتماعي وهو ما يمكن أن نطلق عليه: الشراكة على أساس الاهتمامات والمصالح المشتركة.

أما التنظيمات المهنية التي كانت تضم أهل كل حرفة في تنظيم واحد له مصالحه المشتركة

وطرقه الذاتية في التكافل بين أعضائه. فهي مسألة معروفة تمامًا، وهي إن لم تكن تشتمل على اللوائح والآليات الموجودة الآن لكنها بلا شك كانت تمثل قاعدة نقابة.

ومن أشكال العمل التطوعي في سبيل تقديم خدمة عامة للمجتمع الأهلي كذلك ما كان يعرف - وما زلنا نجده حتى الآن في مصر وفي عدد من الدول الإسلامية - بـ:

**نظام المضايف:**

المجالس العرفية، ومجالس العرب لفض المنازعات بعيدًا عن الدولة أو القضاء.

نظام «الجمعيات (بالمعنى العامي)»، أي ليس الجمعية بالمعنى الاصطلاحي، بل بالمعنى الموجود عند العامة في مصر، وهو يمثل شكلًا من أشكال التكافل الاجتماعي، حيث يكون هناك فرد بحاجة إلى مبلغ كبير دفعة واحدة، فيقوم مجموعة من الأفراد غالبًا تبلغ عشرة بدفع مبلغ شهري، وفي كل شهر يأخذ المبلغ كله فرد من العشرة، ثم الشهر التالي فرد آخر،وهكذا، ويكون الأولوية في الأخذ للأكثر احتياجًا.

ومن الملاحظ أن كثيرًا من المشروعات الاقتصادية بدأ بهذه الطريقة في مصر. وقد سجل بوتنام عالم الاجتماع الشهير أن هذا النظام موجود بشمال إيطاليا، وأن كثيرًا من المشروعات الاقتصادية هناك قامت على أساسه. وهذا النظام يمثل تكوينًا من تكوينات المجتمع الأهلي؛ لأنه يقوم على التكافل والمصالح المشتركة والإرادة الحرة، والثقة، والرباط الاجتماعي الحر دون وجود رابطة دم.

ومع استمرار الاستعمار وزيادة معدل الظلم والاضطهاد والحرمان في العديد من الدول الإسلامية تطورت الهيئات الاجتماعية التطوعية لتقوم بوظائف وأدوار وأعمال وطنية، وهذا ما نجده في فلسطين لا سيما تحت ظروف احتلال وقهر واستعمار صهيوني منذ مطلع القرن الماضي. وقل مثل ذلك عن المؤسسات الخيرية في لبنان. ولا شك أن هذه المؤسسات بحاجة لدعم المسلمين في كل المكان، ويجدر بكل مسلم أن يتبرع لها من أموال زكاته، أو من خارج الزكاة.

**دور الشركات الخاصة في العمل التطوعي:**

تكتفي بعض الجمعيات التطوعية والخيرية بمصادرها الذاتية من تبرعات الأفراد أو الأعمال الوقفية، ولا تحصل على أي دعم مادي أو غيره من السلطة الحكومية؛ وفي الأحيان التي يحدث فيها دعم حكومي فإنه لا يشكل للعمل الخيري سوى نسبة ضئيلة جدًا.

وهنا يأتي دور الشركات الخاصة. وقد أثبتت الدراسات أن الشركات المملوكة لأفراد أو عائلات تقوم بدور كبير في دعم العمل التطوعي والجمعيات الخيرية من خلال التبرعات والتمويل المالي.

في حين أن الشركات المساهمة ذات رؤوس الأموال الضخمة في العالم الإسلامي لا تقوم بالدور المنوط بها في هذا الصدد؛ أعني الاضطلاع بتنمية وتمويل الجمعيات الخيرية. وفي الوقت الذي نسجل فيه هذه الملاحظة على مستوى العالم الإسلامي نجد الشركات المساهمة في الغرب تقوم بدور ضخم في تمويل الأعمال الاجتماعية الخيرية ودعم المؤسسات الأهلية!

وفي هذا الإطار لابد من أن نشير إلى أن لهذه الظاهرة أسبابًا كثيرة، ينبغي أن يتف عندها الباحثون في بحوث مستقلة لبيان كيفية القضاء على سلبية الشركات المساهمة في نطاق العمل الخيري.

تلك كانت فلسفة التطوع الاجتماعي في الإسلام التي وجدت لها تجليات متعددة عبر الحضارة والتاريخ الإسلامي لا سيما في عصور الازدهار.ولا شك أن كل أشكال التطوع والمشاركة والتعاون الاجتماعي في المجتمع الأهلي الإسلامي، ينبغي الحفاظ عليها أو استعادتها، ثم تطويرها وتحديثها عن طريق التوعية بالآليات والممارسات المعاصرة وتوسيع نطاق دورها، ثم تكوين أشكال جديدة أو استعارتها لكي تعمل بجوار هذه التكوينات التقليدية، على أساس من المنظور الإسلامي الذي يقوم على التكافل والتعاون من أجل خدمة الإنسانية.■

أفكار وخطوات عملية للجذب والتدريب والتحفيز..

# كيف نجعلهم يتطوعون؟

د. نايل يوسف سيف *. مصر

* مدرس المناهج وطرق التدريس ومدرب معتمد في جامعة أسيوط

**شهد القطاع التطوعي نموًا متسارعًا منذ بداية القرن الماضي؛ حيث أصبح شريكًا للقطاعين العام والخاص بما يملكه من أصول ويوفره من خدمات متنوعة في مجالات حيوية عدة على رأسها التعليم والصحة والبحث العلمي والبيئة والأسرة ورعاية الطفولة والثقافة والعدالة الاجتماعية والمساعدات الدولية.. وغير ذلك الكثير، ويتطوع الناس لدعم هذا القطاع والعمل فيه باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة، وهم يقومون على توفير الخدمات والتدريب والخبرات والدعم المالي والإداري ضمن استراتيجية عمل تلقائي ذاتي التنظيم، وقد تولى هذا القطاع مسؤولية تعويض النقص في الدعم الحكومي وتوفير الخدمات في المناطق الفقيرة والمحرومة والمنكوبة في كثير من دول العالم، وعمل مؤخرًا على دعم وتطوير سياسات الرفاهية الاجتماعية في الولايات المتحدة وبريطانيا، والتغلب على إقصاء الفقراء في فرنسا، ودعم التعددية في السويد وتقوية المجتمع المدني والإسهام في التنمية في دول شرق أوروبا.**

مع بداية العام الميلادي الحالي ٢٠٠٧م صدر التقرير السنوي لمكتب إحصائيات العمل التابع لوزارة العمل الأمريكية، وجاء في هذا التقرير أن (٦١,٢) مليون نسمة قد تبرعوا لصالح إحدى المؤسسات الخيرية مرة على الأقل في الفترة من سبتمبر ٢٠٠٥م إلى سبتمبر ٢٠٠٦م، وأن نسبة المتطوعين قد بلغت خلال الفترة نفسها (٢٦,٧٪) من إجمالي تعداد السكان في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن (٣٠,١٪) من النساء الأمريكيات قد شاركن في أعمال تطوعية، وأن (٢٣٪) من الرجال الأمريكيين قد شاركوا في مثل هذه الأعمال، وأن المؤسسات الدينية قد استحوذت على (٣٥٪) من جهود المتطوعين، وهي أعلى نسبة، تلتها المؤسسات التعليمية بنسبة (٢٦,٤٪)، ثم جاءت المؤسسات الاجتماعية التي نالت (١٢,٧٪) من إجمالي هذه الجهود.

وهناك تقارير مماثلة تصدر عن دول الاتحاد الأوروبي، وهي تحمل نتائج مقاربة لتلك التي وردت في تقرير وزارة العمل الأمريكية، وعلى سبيل المثال فقد بلغت نسبة المتطوعين في ألمانيا (٣٦٪) من إجمالي عدد السكان، و(٢٧٪) في كندا، و(٢٥,٣٪) في هولندا، و(١٩,٢٪) في بريطانيا، و(١٨٪) في بولندا، و(١٧,٦) في فرنسا، هذه النتائج وغيرها تؤكد أن العمل التطوعي أصبح يحتل مساحة واسعة من نشاط مؤسسات المجتمع المدني في الدول المتقدمة، وهي تؤكد أيضًا الاهتمام المتزايد بهذا القطاع من قبل الحكومات ووسائل الإعلام في تلك الدول. وإذا حاولت تتبع هذه التقارير السنوية ومقارنة ما ترصده من نتائج فسوف تكتشف النمو المتسارع لهذا القطاع والإصرار المتزايد من هذه الشعوب على التطوع، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أكثر من (١,٦) مليون منظمة وجمعية خيرية، بالإضافة إلى أكثر من اثنتين وثلاثين ألف مؤسسة وقفية، ويتم الترخيص يوميًا لمئتي جمعية ومؤسسة تعمل في مجال العمل التطوعي، وتتزايد إيرادات هذا القطاع بأكثر من مليار دولار سنويًا.

وقد كانت نتيجة اتساع القطاع التطوعي وزيادة أنشطته وكثرة مؤسساته أن قامت جامعة (جونز هوبكنز) بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٨٨م بتبني مشروع بحث مقارن استطاع الوصول إلى تعريف موحد للقطاع التطوعي، ووضع تصنيفًا لمؤسساته، وأطلق عليه (التصنيف الدولي للمنظمات غير الربحية)، حيث عرف القطاع التطوعي غير الربحي بأنه مجموعة من المنظمات ذات الطبيعة المؤسسية، والمنفصلة عن الحكومة، والتي لا توزع

أرباحًا، والحاكمة لنفسها، والتي تقوم على التطوع.

وقبل أن يصبح القطاع التطوعي في الدول الغربية بهذه الصورة المهيبة، مر بمراحل تطور متعددة قسمها العلماء إلى ثلاثة أجيال مختلفة في توجهاتها واستجاباتها للتحديات والمستجدات الاجتماعية والاقتصادية التي سادت الساحة المحلية والدولية، وفرضت على منظمات هذا القطاع أدوارًا جديدة وتوجهات استراتيجية في العمل الخيري والتطوعي.

وبدأت هذه الأجيال بجيل الإغاثة والرعاية ومن منظمات هذا الجيل منظمات الرعاية Care والرؤية العالمية World Vision، وقد ركزت في بدايتها على تقديم خدمات الرعاية للفقراء واللاجئين ومنكوبي الفيضانات والمجاعات والحروب في بقاع العالم، كما اهتمت بتوزيع الغذاء وإرسال الغرف الصحية وتوفير المأوى. كل هذه الأعمال كان يتم تمويلها من التبرعات الخاصة والأسر الراعية لهذه المنظمات.

ثم جاء جيل التنمية المحلية المعتمدة على الذات، حيث قام العديد من المنظمات التطوعية في أواخر السبعينيات من القرن الماضي بتنفيذ مشاريع لتنمية المجتمع المحلي في مجالات متنوعة. وتميز أسلوب عمل هذا الجيل عن سابقه بميزة أساسية هي تأكيد الاعتماد على الذات، مع مراعاة أن تستمر منافع المشروعات التطوعية لما بعد فترة تقديم المنظمة للمساعدة، إضافة إلى هذا بدأ العامل الاقتصادي يدخل ضمن أعمال منظمات هذا الجيل، وأصبح يطلق عليها شبكة الأعمال الصغيرة، أي أن نشاط المنظمات التطوعية في هذه المرحلة كان يركز على المشاريع التي تؤدي إلى زيادة القدرة المحلية على مواجهة الاحتياجات، وتدبير الموارد الضرورية لتحقيق التنمية المستمرة.

أما الجيل الثالث فهو جيل تنمية الأنظمة المستدامة، وقد ظهرت ملامح هذا الجيل من خلال اهتمام مجموعات من المنظمات التطوعية بإعادة تقييم القضايا الاستراتيجية المتصلة بسياسة الديمومة Sustainability والانتشار Breadth والعائد Impact واستعادة المصاريف Recurrent Cost Recovery.

وقد أسفر هذا التقييم عن نتيجة أساسية مفادها أن عمل المنظمات غير الحكومية بمفردها لن يعود بفائدة كبيرة ما لم يعضده ارتباط بالمنظمات العامة والخاصة، ولذلك فقد بدأ هذا الجيل من المنظمات التطوعية في العمل على طرح وتطوير السياسات والنظم المؤسسية التي يعمل في إطارها لتحقيق التنمية المستدامة، والتي ترتكز على الإنسان، وكما يقول «كورتن Korten» فإن الاستراتيجية الإنمائية التي محورها الأفراد تقوم على احتياجات الأفراد وحقوقهم، خاصة أولئك الأكثر فقرًا والأقل حظًا في المجتمع، وتتطلب هذه الاستراتيجية الديمقراطية في صنع القرار والمشاركة الكاملة من جانب الأفراد في صياغة احتياجاتهم، كما تعطي أهمية لحماية البيئة التي من شأنها دعم الحياة المستدامة للأفراد بخاصة الفقراء والمرأة والأقليات.

هكذا تطور القطاع التطوعي في الغرب، لكن هل سألت نفسك لماذا يتعاظم دور التطوع في المجتمعات



الغربية بهذه الكيفية، أو بكلمات أخرى: لماذا يتطوع الغربيون «الماديون» ويدعمون كل هذه المنظمات؟ إذا كان هذا التساؤل قد ورد في ذهنك – الآن أو قبل ذلك – فإليك الإجابة: إن الناس يتطوعون في المجتمعات الغربية لأسباب متنوعة، وأهم هذه الأسباب أنهم ينفقون أوقاتهم وأموالهم عندما يقتنعون بفكرة معينة ويرون أنها تستحق أن يعملوا من أجلها، وقد أوضحت نتائج أحد المسوح التي قامت بها الجهات التطوعية أن أهم الأسباب التي ذكرها المتطوعون وكانت وراء قيامهم بأعمالهم التطوعية هي: لكي أقدم المساعدة لمن يستحق، لكي أشعر أنني عنصر نافع في المجتمع، لكي أصقل ما لدي من مهارات وأحتفظ بها موظفة بشكل جيد، لكي أحصل على خبرات أكثر، لكي أقابل أناسًا وأصنع صداقات، لأن لدي وقت فراغ أحب أن استثمره في فعل الخير، للدفاع عن فكرة ومناصرة قضية معينة، لكي أجعل لحياتي معنى وهدفًا، للبحث عن المتعة والتسلية، لأنني أعرف من أقدم لهم المساعدة وأشعر بواجبي نحوهم. ويلاحظ من خلال نتائج المسح السابق أن مفهوم العمل التطوعي في الثقافة الغربية لا يقتصر على التضحية والإيثار وبذل الغالي والنفيس من أجل الآخرين، بمعنى أن التطوع لا يقتصر على الإحسان وإنكار الذات، ولكنه يمتد أيضًا ليشمل المنفعة الشخصية للمتطوع، وقد تكون هذه المنفعة هي التنمية الذاتية، أو تنمية المهارات المهنية، وزيادة الثقة بالنفس، أو مجرد التسلية والاستمتاع بالتفاعل الاجتماعي، أو الانغماس في العمل التطوعي وفهم المجتمع الذي يعيش المتطوع فيه واكتشاف مشكلاته، أو أن هذه الفائدة هي مجرد درء لمضرة يظن أنها سوف تلحق به.

إن مفهوم «التطوع» بهذا المعنى في الثقافة الغربية يقع على طرف نقيض لمفهوم «الواجب» أو «الإلزام»، ولذلك نجدهم يفرقون بين «العمل التطوعي» و«العمل غير التطوعي»، ومن ثم بين القطاع الخيري (أو اللاربحي)، وقطاع الأعمال (أو الربحي)، وبين المنظمات الحكومية والمنظمات غير الحكومية أو الأهلية، والأمر مختلف في ثقافتنا العربية الإسلامية، إذ يقع التطوع موقع الفريضة الملزمة، في كثير من الحالات التي عبر عنها الفقهاء بمفهوم «فروض الكفاية»، وهي تلك الأعمال التي

**من حق المتطوع أن يتعرف أهداف وسياسات وبرامج وقيم وسياسة التطوع والفئات المستهدفة والقائمين على إدارة المؤسسة التي سوف يتطوع من خلالها، ومن حقه أن يحصل على تقرير مكتوب وواضح ودقيق حول الأعمال التطوعية وزمانها ومكانها موضحة بشكل سلوكي قابل للقياس**

يتعين القيام بها لمصلحة المجتمع أو الأمة كلها، ويناط ذلك بفرد أو بجماعة منها أو فئة معينة تكون مؤهلة لهذا العمل على سبيل التطوع، فإن لم ينهض به أحد صار العمل المطلوب فرضًا ملزمًا، ويأثم الجميع ما لم يقم هذا الفرد أو تلك الفئة، أو الجماعة، أو غيرها بأدائه على الوجه الذي يكفي حاجة المجتمع، وكلما كان الفرد أو الجماعة أو الفئة أكثر قدرة على القيام بأداء فرض الكفاية على سبيل التطوع وتقاعس عن ذلك، كان نصيبه من الإثم أكبر من غير القادر أو الأقل قدرة منه.

والحقيقة أن العمل التطوعي لم يحظ بهذه المكانة الكبيرة في غير الثقافة الإسلامية، ومع ذلك فإن ثقافة التطوع في المجتمع العربي المعاصر تتسم بدرجة متدنية من الفاعلية في معظم البلدان، هل تعلم لماذا؟ أنا أدرك أننا جميعنا نستطيع التبرير ونجيد نقد أحوالنا وأن كلا منا لديه إجابة بل إجابات متعددة عن هذا التساؤل. ولعلك تتفق معي أنه بالإضافة إلى ما لديك من إجابات هناك عامل تراه ويراه الجميع، يقف وراء هذه التدني في مستوى العمل التطوعي العربي، هذا العامل هو أننا أصبحنا لا نبالي كثيرًا ببعضنا، بل لا نبالي كثيرًا بأنفسنا، وأننا تشربنا ثقافة «اللاجدوى»، وأصبح هناك شك في كل شيء، وإدارة ظهر لكل ما هو جوهري وأساسي وضروري، ورغبة في كل ما هو هامشي، يظهر ذلك عبر وسائل كثيرة في المجتمع، منها وسائل الإطفاء والإنارة، والإقلال والمكاثرة، والتسيّد والتنحية،

والتحييد والإقصاء، والإهمال والنفي. والغريب أننا أصبحنا نتطوع لدعم هذه الوسائل !!

وبالإضافة إلى انتشار هذه الروح فإن هناك انعدامًا للثقة لدى الجميع، والناس يقدمون على فعل الخير عندما يقتنعون بالأسباب التي تقدم لهم. ومما يدفع الإنسان للإقدام على فعل العمل التطوعي هو شعوره بأن ما يقدمه له فائدة ومردود على الآخرين، وأن جهوده محل تقدير من المجتمع ومن الآخرين. وقد يكون الإقدام على فعل الخير فكرة عارضة أو نتيجة تأثر بموقف معين، لكن هذه الفكرة قد تتحول إلى رغبة دائمة إذا شعر المتطوع بالتقدير والاحترام إزاء ما يقدمه من عمل وإذا شعر بالثقة بأن ما يقدمه يصل إلى من يستحقه، وأنه قد ساهم في إنجاز شيء ما، وأن لأعماله نتائج واضحة وفعالة ومؤثرة.

إن المجتمعات المتقدمة لم تتوقف عند حدود الخطاب الثقافي الوعظي بمحتواه الديني أو الوطني فقط في بناء القطاع التطوعي، بل اعتمدت أيضًا على الأسباب وأخذت بالنظريات الاقتصادية والتربوية في بناء وتكوين المتطوعين والمؤسسات التطوعية، وهناك الكثير من المؤتمرات العلمية وورش العمل التي تناولت استراتيجيات تكوين المتطوعين وتطوير القطاع التطوعي. نحن في حاجة لمتابعة نتائج هذه المؤتمرات وقبل ذلك نحن في حاجة لتصحيح مفهوم ثقافة التطوع وإخراجه من حيزه الضيق الذي يقتصر على أن العمل التطوعي هو واجب فقط على من يملك الوقت والمال الزائدين عن حاجته، وأن «ما يحتاج إليه البيت يحرم على الجامع» فما بالك بما سواه!! وأن العمل التطوعي هو غاية عليا ولا يصح لفاعله أن ينتظر أية منفعة شخصية تعود عليه من وراء هذا العمل، وأنه إذا عادت عليه بعض المنفعة فإن عمله مثل عدمه، والحقيقة أن فعل الخير في الإسلام لا يقتصر على الاحسان، بل يشمل الواجب والغريزي أيضًا، ولذلك يؤجر المسلم على كل خير يفعله حتى اللقمة التي يضعها في فم زوجته. إننا في حاجة لإعادة صياغة لمفهوم العمل التطوعي وتصحيح لمضمون ثقافة التطوع.

> تقع على المتطوع بعض المسؤوليات مثل: أن يكون جادًا وصادقًا في رغبته في التطوع، وأن ينفذ العمل المنوط به على أحسن وجه ممكن، وأن يلتزم بالحضور في المكان والزمان المحددين لتنفيذ العمل التطوعي، وأن يبلغ المسؤولين في حال تعذر الحضور أو المشاركة أو التأخر في إنجاز بعض الأعمال أو الرغبة في الانسحاب

ولعلك تقول الآن: وما الجديد؟ نحن نعلم أننا في حاجة إلى كل ما ذكرت... لكن كيف نغير أو كيف نبدأ بالتغيير؟ هذه هي بعض المبادئ والأفكار التربوية التي قد تساعدنا أنا وأنت - داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها - على التغيير، وقد تساهم في تكوين جيل من المتطوعين.

### * الوضوح

قد يحجم كثيرون عن الانضمام إلى ميادين العمل التطوعي إذا شعروا بالغموض أو الريبة حول واجباتهم ومسار العمل والفئات المستهدفة من هذه الأعمال، ولذلك فإن إعلان حدود الأعمال التطوعية وتكلفتها وطبيعة الأنشطة ومسؤوليات المتطوعين وحقوقهم ضرورة لضمان الحصول على متطوعين، وبصفة عامة فإن من حق المتطوع أن يتعرف أهداف وسياسات وبرامج وقيم وسياسة التطوع والفئات المستهدفة والقائمين على إدارة المؤسسة التي سوف يتطوع من خلالها، ومن حقه أن يحصل على تقرير مكتوب وواضح ودقيق حول الأعمال التطوعية وزمانها ومكانها موضحة بشكل سلوكي قابل للقياس.

ومن حقه أيضًا اختيار الأعمال التطوعية التي تناسب خبرته وتفضيلاته ومستوى تعليمه وطبيعة عمله الأساسي، وأن يكون المتطوع عضوًا أساسيًا مشاركًا في المؤسسة التي يتطوع من خلالها، وذلك من خلال مشاركته في اجتماعاتها وندواتها وورش العمل التي تعقدها والاحتفالات التي تقيمها، ومن حق المتطوع أن يتلقى تدريبًا يؤهله لما يود القيام به من أعمال تطوعية، وأن يتعرف جيدًا الجهات والأشخاص الذين يمكن مراجعتهم في حال وجود صعوبات أو

مشكلات، ومن حقه التعبير عن وجهة نظره حيال القضايا التي ترعاها المؤسسات التطوعية، كما أن من حقه أن يخطئ بشرط الإفادة من أخطائه، ومن حقه أن يشعر بالتقدير لمجهوداته والتعرف على نتائجها، وأن يتلقى تغذية راجعة بصفة منتظمة عن مستوى أدائه ونتائج أعماله التطوعية، وأن يؤمن عليه خلال فترة عمله التطوعي وأن تدفع له تكلفة السفر والتنقلات أو الإقامة في حال طلبه ذلك، وأن يحصل على إرشاد في الأمور التي يحتاج فيها لذلك، وأن من حقه أن ينسحب أو يغادر المؤسسة التطوعية إذا أراد ذلك.

ومن جهة ثانية تقع على المتطوع بعض المسؤوليات مثل: أن يكون جادًا وصادقًا في رغبته في التطوع، وأن ينفذ العمل المنوط به على أحسن وجه ممكن، وأن يلتزم بالحضور في المكان والزمان المحددين لتنفيذ العمل التطوعي، وأن يبلغ المسؤولين في حال تعذر الحضور أو المشاركة أو التأخر في إنجاز بعض الأعمال أو الرغبة في الانسحاب، وأن يوافق على سياسة المؤسسة التطوعية، وأن يلتزم الأمانة وعدم اختلاق المشكلات، وأن يحترم القرارات التي يتخذها الآخرون، وأن يحضر الجلسات والورش التدريبية إذا تطلب عمله ذلك، وأن يطلب المساعدة أو الدعم إذا احتاج إليهما.

كما أن الإعلان عن الأعمال التطوعية ووجود جدول أعمال للأنشطة التي تنظمها المدرسة أو الجامعة أو الجمعيات الأهلية في المدينة أو الحي أو القرية يعتبر أداة فعالة لجذب المتطوعين، ويأخذ هذا الجدول شكلاً بسيطًا فهو يتكون من ثلاثة أعمدة، يذكر في العمود الأول التوقيت المقترح لتنفيذ النشاط التطوعي، وفي العمود الثاني يذكر وصف مختصر لطبيعة هذه الأنشطة ومكان تنفيذها ومتطلبات التنفيذ والفئات المستهدفة من هذه الأنشطة، أما العمود الثالث فيكتب فيه أرقام وأسماء منسقي الأنشطة الذين يمكن الاتصال بهم والتنسيق معهم للانضمام إلى فريق العمل التطوعي.

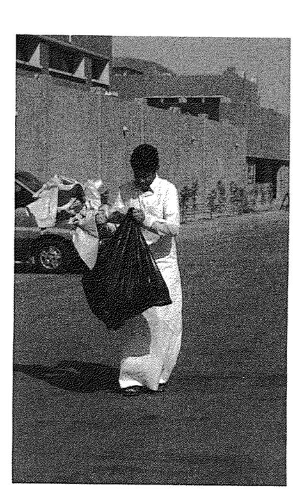
### * التحفيز

لكي تشجع الآخرين على التطوع لابد أن تجد لديهم الحافز والدافع الذي يحركهم لذلك، وإذا أردت أن تتعرف على أقوى الأشياء التي تحفز على



القيام بالعمل التطوعي لدى الآخرين فعليك أن تسأل نفسك أنت: ما الذي يمكن أن يحفزني على القيام بعمل تطوعي؟ من الذي يمكن أن أتطوع من أجله؟ ثم قم بتسجيل إجاباتك في قائمة ورتبها حسب الأولويات التي تراها مهمة من وجهة نظرك، وحدد بعض المجالات التي يمكن أن تتبرع من خلالها بحيث تصل تبرعاتك إلى من حددتهم في القائمة السابقة. ثم حدد ما يمكنك تقديمه من وقت أو جهد أو خبرة أو مال، وساعد الآخرين على تقبل جهودك التطوعية والإفادة منها. حاول أن تتحاور مع زملائك وأصدقائك وتشاركهم أفكارهم حول الأفراد والمجالات التي يمكنهم التطوع من أجلها أو من خلالها.

وإذا كنت تعمل في مؤسسة تعليمية أو خدمية يمكنك إقناع طلابك أو زملائك أو مرؤوسيك ببعض الفوائد التي قد تعود على المجتمع وعليهم أنفسهم من وراء الأعمال التطوعية. وعلى سبيل المثال فإن العمل التطوعي يعطي الفرصة للفرد لأن يختبر قدراته واتجاهاته نحو عمل ما، فإذا كانوا يرغبون في



شغل وظيفة ما ويخشون من عدم إحراز نجاح فيها أو يخشون ألا تتاح لهم فرصة التراجع عن شغلها، أو كانوا يحتاجون إلى صقل مهاراتهم أولاً واكتساب الثقة بأنفسهم، أو كانوا يريدون الوقوف على ميزات وعيوب هذا النوع من الوظائف. يمكنهم فعل كل ذلك من خلال البدء في شغل هذه الوظيفة لدى إحدى مؤسسات العمل التطوعي.

هذا بالإضافة إلى أن شغلهم لهذه الوظيفة في المجال التطوعي سوف يدعم سيرتهم الذاتية لدى أصحاب الأعمال حين يبحثون عن فرصة عمل، وكثير من الأفراد أصبحوا الآن يضيفون قسمًا في سيرتهم الذاتية يسمى خدمة المجتمع أو الأعمال التطوعية. وتحت هذا القسم يقومون بوصف أعمالهم التطوعية في كلمات تعبر عن الإنجازات والخبرات التي اكتسبوها والفترة التي قضوها في القيام بمثل هذه الأعمال.

**❊ الإشراف والتدريب**

يحتاج المتطوعون إلى دعم لتنفيذ أنشطتهم، ولذلك لابد لهم من مشرف محدد يمكنهم مراجعته وأخذ النصيحة منه والبوح إليه بما يواجههم من مشكلات وتلقي التشجيع منه. كل ذلك يجعل وجود مشرف للبرامج التطوعية ضرورة. وتتنوع أشكال الإشراف حسب طبيعة المهام التطوعية، وتتضمن مهام الإشراف المساعدة على إنجاز العمل وتهيئة بيئة تساعد المتطوعين على أداء الواجبات المنوطة بهم. وكذلك إجراء تقييم كل فترة معينة وتقديم الإرشاد اللازم للمتطوعين حول أدائهم وفرص التدريب المتاحة لتحسين هذا الأداء، كما يقوم المشرف باختيار المواد واقتراح فرص التدريب اللازمة للمتطوعين.

ويقصد بالتدريب هنا عملية تأهيل المتطوع لاكتساب مهارات معينة تتطلبها المهمة التطوعية التي يقوم بها، والتدريب عملية ضرورية للمتطوعين الجدد والقدامى أيضًا، وبدون التدريب سوف يتسرب اليأس والإحباط سريعًا إليهم. ويعمل التدريب على تقديم المتطوع في شكل جديد يناسب المهمة المنوط به تنفيذها، وهو فرصة لتلاقي المتطوعين وتعاونهم وتبادل خبراتهم وتنمية الاتجاهات الإيجابية لديهم. ويؤدي التدريب إلى الاحتفاظ بدافعية مرتفعة لدى المتطوعين، كما أن إعداد أحد المتطوعين وإرساله لحضور مؤتمر أو المشاركة في برنامج تدريبي على مستوى عال هو أحد أنواع المكافأة والتقدير لجهوده بما يعود عليه بالنفع ويمنحه مزيدًا من الدافعية للاستمرار في العمل التطوعي.

**❊ التقدير**

التقدير يعني كيف نقول للمتطوعين إن جهودكم مهمة وذات قيمة؟ كيف نعبر لهم عن شكرنا لما بذلوه من جهد ومال ووقت وخبرات؟ كيف نجعل المتطوع يشعر بالقيمة والتقدير لجهوده؟ إن إبراز الدور الفردي والجماعي بشكل متوازن يساعد المتطوعين على حب العمل التطوعي، ولذلك فإن هناك ضرورة لتقديم ما يبرهن على تقدير جهود المتطوعين من خلال القائمين على المشروعات التطوعية أو كبار المسؤولين أو من خلال شكر الفئات المستهدفة من الخدمة التطوعية.

إن الهدف من وراء التقدير هو إرضاء المتطوعين وإشعارهم بالرضا عن ذواتهم وإشباع حاجاتهم إلى الانتماء وإلى تقدير الآخرين. كما أن إعطاء المتطوع شهادة تقدير أو هدية رمزية تذكره بما قدمه من

أعمال البر هو - في الحقيقة - عبارة عن المكافئ السيكولوجي للعائد المادي الذي يحصل عليه في الأعمال غير التطوعية.

ولكن كيف نعبر عن تقديرنا للمتبرعين؟ هل نمنحهم شهادات و«نياشين» وكؤوسًا، أم نكرمهم من خلال اللقاءات العامة ووسائل الإعلام؟ إننا جميعًا لدينا حاجة فطرية إلى التقدير والشعور بأن الآخرين في حاجة إلينا، وإذا وجد الفرد منا أن هناك إشباعًا لهذه الحاجات الفطرية داخل العمل التطوعي فلن يتردد في فعله. إن التعبير عن التقدير قد يأخذ أحد شكلين، إما بتقديم الأشياء مثل: الهدايا الرمزية كالأقلام والملابس التي تحمل ما يذكر بالعمل التطوعي، أو الميداليات أو الكؤوس، وإما أن يكون من خلال المناسبات العامة مثل الحفلات الختامية وحفلات التكريم والمؤتمرات والندوات العامة ولقاء كبار المسؤولين، أو من خلال إعطاء المتطوعين مزيدًا من المسؤوليات التطوعية.

ومن الأنشطة التي يمكن تنفيذها وتعبر عن تقدير المتطوعين، نشاط يمكن تنفيذه بعد انتهاء فريق العمل من إنجاز المهمة المكلف بها، حيث تعقد جلسة للفريق يتم خلالها توزيع استمارات بها أسماء جميع المشاركين في الفريق، وقد ترك فراغ أمام كل اسم لكي يقوم كل متطوع بتسجيل الميزات التي رآها في أقرانه، ثم يقوم قائد الجلسة بتجميع الاستمارات وتفريغها، ويذكر ما كتبه الزملاء عن كل واحد في الفريق، وتعطى نسخة لكل واحد مما ذكره فيه زملاؤه ليحتفظ بها.

وعليك أن تراعي بعض الأسس عند تقدير المتطوعين:

- إن التقدير في المناسبات والصيغ الرسمية هو أفضل من التقدير بشكل ودي وعلى نطاق ضيق.
- إن التقدير يجب أن يأتي بعد الانتهاء من إنجاز العمل التطوعي مباشرة ولا يكون هناك فاصل زمني طويل.
- أن تتاح فرص الاختيار أمام المتطوعين حول الأسلوب الذي يفضلونه للتعبير عن تقدير ما قدموه من أعمال.
- أن تتأكد أن التقدير قد تم بشكل جدي وصادق وليس بشكل استعراضي أو مجرد تحصيل حاصل.

**وإذا أردت أن تتعرف على أقوى الأشياء التي تحفز على القيام بالعمل التطوعي لدى الآخرين فعليك أن تسأل نفسك أنت: ما الذي يمكن أن يحفزني على القيام بعمل تطوعي؟ من الذي يمكن أن أتطوع من أجله؟ ثم قم بتسجيل إجاباتك في قائمة ورتبها حسب الأولويات التي تراها مهمة من وجهة نظرك**

- أن تتأكد أن هناك عدالة في التقدير للأفراد المتطوعين، بحيث ينال الأفراد المجتهدون تقديرًا مناسبًا، ولا يذهب التقدير إلى من لا يستحق على سبيل المجاملة، هذا قد يفقد الثقة لدى الجميع بجدوى العملية كلها.

### ✻ مواصلة الاتجاه

إن إقناع الأفراد بعملية التطوع وإعدادهم لها عملية مجهدة، وتحتاج لوقت كبير ولذلك فإن انقطاع هؤلاء المتطوعين عن الأعمال التطوعية يمثل خسارة كبيرة للمجتمع. ويمكن تنمية الرغبة في مواصلة التطوع من خلال إشعار المتطوعين بأن الميدان في حاجة إليهم وإلى خبراتهم وإطلاعهم باستمرار على نتائج مجهوداتهم وتبرعاتهم، وكيف أنها قد نمت وربت. كما أن شعور المتطوعين بالرضا النفسي سوف يكون دافعًا لاستمرار تعاونهم ورعايتهم لما غرسوه من نبت طيب. وفيما يلي بعض الإجراءات التي تساعد على الاحتفاظ بالاتجاه الإيجابي لدى المتطوعين:

قدر الآخرين من خلال استمرار الاتصال بهم، وحافظ على كون قنوات الاتصال المختلفة مفتوحة دائمًا مثل الهاتف أو البريد الإلكتروني أو البريد العادي، وتذكر دائمًا أن التواصل مع المتطوعين يتم عن طريق بيع الأفكار وترويجها والحديث عن نتائج مجهوداتهم وليس فقط من خلال نيل بطاقة عضوية في هذه الجمعية أو تلك، كما أن الأفراد الذين بدؤوا بالفعل مسيرة العمل التطوعي هم في حاجة إلى التوجيه والتفعيل بما يمكنهم من تحقيق نتائج فعالة

ومؤثرة تظهر قيمة مجهوداتهم.

استمع إلى المتطوعين واسمح لهم بأن يعطوا تغذية راجعة حول أدائهم والمشكلات التي قد تعترضهم. هذه المشاركة تعطي المتطوع الشعور بالانتماء إلى المجموعة، ومن خلال تلقي التغذية الراجعة يمكن للمشرف على الأعمال التطوعية جني ثمار خبرات المتطوعين والاحتفاظ بهم وإشراكهم في إدارة وتوجيه مسيرة العمل التطوعي وهم سوف يرغبون في تحفيز غيرهم على التطوع وتسويق أعمالهم الخيرية لدى الآخرين، كما أن الحصول على تغذية راجعة من المتطوعين هو مؤشر قوي لتقييم الأداء والتأكد من الحضور والصدق والتعاون مع الآخرين، وقد يكون من الصعب في البداية أن تقيم أداء شخص يتبرع بوقته أو ماله أو خبرته، لكن هذا الأسلوب سوف يعفيك من الحرج، وحتى إذا شعر المتطوع أن تقديمه للتغذية الراجعة سوف يستخدم كأداة لتقييم الأداء، فإنه سوف يدرك أن هذا الأسلوب أسلوب جيد ولا يهدف إلا إلى جدية العمل.

ومن خلال التقييم الناتج عن تقارير التغذية الراجعة يمكن أيضًا مناقشة وحل المشكلات التي قد تعترض المتطوعين والعمل التطوعي، بشرط ألا يكون التقييم فرصة للنقد وتوجيه اللوم ولكن فرصة لتعديل المسار وتقدير الجهود والتماس الأعذار والتذكير بالحقوق والمسؤوليات، وعند الاستماع إلى المتطوعين يجب أن تكون لديك مهارة صياغة الأسئلة غير المباشرة التي تمكنك من استخلاص النتائج وتحليل الكلمات واستكشاف الموضوع وتحديد أبعاده. وتذكر دائمًا أن الناس يحبون أن تستمع إليهم، وأن الأفراد يشعرون بالدافعية لمجرد أن يجدوا أذنًا تسمع أفكارهم وتحترم مقترحاتهم. إن السبب الرئيس لفشل العمل بروح الفريق هو أننا لا نملك مهارات الاستماع الجيد للآخرين، كما أن سوء تنظيم الاجتماعات واللقاءات من أكثر الأسباب التي تدعو إلى الإحباط وفقدان الثقة وهو السمة الغالبة على اجتماعاتنا ولقاءاتنا!!

ويمكنك التدليل على أهمية وضوح الرسالة في عملية التواصل مع الآخرين عن طريق موقف تعليمي بسيط: وذلك بأن تحضر مجموعة كبيرة من البالونات مختلفة الألوان وتضعها في سلة وتطلب ممن تريد إقناعهم القيام بملء أكبر عدد من البالونات بالهواء وتقديمها إليك، وتذكر لهم أن الفائز هو الذي يملأ أكبر عدد منها ويقدمها إليك في الوقت الذي تحدده، دون أن تعطي أية تعليمات أخرى، وبعد أن تبدأ المسابقة عليك قبول كل البالونات فيما عدا البالونات الزرقاء وتلك التي يقدمها المتسابق بيده اليسرى، يجب أن تفقأها بواسطة دبوس تمسكه في يدك، وانظر ماذا ترى، لاشك أن المتسابقين سوف يتضجرون ويتساءلون لماذا تفعل ذلك، ويتمنون لو أن المسابقة تنتهي بأسرع ما يمكن، أما إذا وضحت لهم هذه القاعدة قبل البدء في المسابقة فسوف يستمتعون باللعبة ويقبل الجميع النتائج حتى إن لم تكن في صالحه. من خلال هذا الموقف يمكنك أن تشرح أهمية وضوح الأهداف والمهام في العمل التطوعي أو في غيره أيضًا، وكيف أن عدم الوضوح في مثل هذه الأمور قد يؤدي إلى حدوث الصراعات والشعور بالإحباط، كما أن مثل هذا الموقف يمكن أن يكون

فرصة لتوضيح أهمية تحديد فرص النجاح في المهام التطوعية والمخاطر المتوقعة.

* **التقييم**

يتم تقييم الأعمال التطوعية من خلال نتائجها، ويتم تقييم المتطوعين من خلال إجراء استطلاعات للرأي وإجراء مقابلات شخصية معهم، ومن أمثلة الأسئلة التي تطرح في مثل هذه المواقف: ما عملك الأساسي الرسمي؟ ما مدى نجاحك في عملك الرسمي من خلال تقييماتك؟ وهل حصلت على خطابات شكر أو شهادات خبرة؟ هل لك مشاريع وابتكارات تطوعية؟ هل تذكر بعض المشكلات التي قمت بإيجاد حل لها؟ ما سبب اختيارك لهذه الجهة الخيرية التي تنتسب إليها؟ كم من الوقت تقضيه في الجهة التطوعية التي تنتسب إليها؟ هل وجدت مشكلات في عملك التطوعي؟ وكيف قمت بحلها؟ إلى غير ذلك من الأسئلة، وليس عمل استطلاعات الرأي أو عقد المقابلات الشخصية هدفًا في حد ذاته، وإنما الهدف هو تجميع البيانات وتحليلها والإفادة منها ومتابعة مسار العمل التطوعي من خلالها.

وبالإضافة إلى تقييم المتطوعين فإنه من واجب أجهزة الدولة القيام بتقييم القطاع التطوعي على مستوى الدولة وعلى مستوى المحافظات والمقاطعات. وهناك مسح تجريه كل ولاية في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل دوري يتناول أعداد المؤسسات التطوعية وتوجهاتها وأعداد المتطوعين ومتوسط الساعات التي ينفقها كل متطوع وأعمار المتطوعين ومستوى تعليمهم ووظائفهم الأساسية وحالتهم الاجتماعية وأصولهم العرقية ونوعية أنشطتهم التطوعية وعدد مشاركاتهم السابقة وإنجازاتهم وأهم المشكلات التي واجهتهم. ويتم تجميع هذه النتائج وتخزينها في قاعدة بيانات تمهيدًا لتحليلها واستخراج مؤشرات تساعد على التوجيه السليم لمسار العمل التطوعي، والتعرف على نقاط القوة والضعف، وتقدير المخاطر، وتحديد الاحتياجات والإفادة من التجارب السابقة، وتوقع النتائج المستقبلية. نحن في حاجة إلى إنشاء قاعدة بيانات صادقة عن القطاع التطوعي في الدول العربية. إن توفير هذه البيانات هي الخطوة الأولى على طريق دعم وبناء القطاع التطوعي العربي. ■

المراجع


- بدر ناصر المطيري، من قسمات التجربة البريطانية في العمل الخيري والتطوعي، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ١٩٩٤م.
- ديفيد كورتن، العمل الخيري التطوعي والتنمية، استراتيجيات الجيل الثالث من المنظمات غير الحكومية، ترجمة بدر ناصر المطيري، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠٠١م.
- كمال منصوري، المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي، مقالة متاحة على شبكة الإنترنت في العنوان التالي:
www.iraqcp.org
- المؤتمر الدولي السابع، إدارة المؤسسات الأهلية والتطوعية في المجتمعات المعاصرة الشارقة، ١٧-١٨ ديسمبر ٢٠٠٢م.
- مؤتمر الخير العربي الثالث، الاتحاد العام للجمعيات الخيرية في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان ٢٢-٢٤يونيو ٢٠٠٢م.
- Budney, J. L. Fostering Volunteer Programs in the Public Sector, San Francisco, Jossey-Bass, 1990.
- Dolenec, D. ANNUAL REPORT Project: Student Resource Center Zagreb, International Educational Center, 2001.
-European Federation for Intercultural Learning: Promoting +Developing Volunteering, the Federation of AFS Organizations in Europe,2005.
-Office of Research and Policy Development: Volunteering in America: Sate Trends and Rankings, , Washington ,D.C. , June 2006.
- Untied States Department of Labor, Bureau of Labor Statistics Washington ,D.C. ,2007.

يعمل في البرنامج ٤٠٠٠ متطوع ينتمون إلى ١٤٠ جنسية..

# برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين

إيمان محمد إمبابي* - القاهرة

* باحثة إعلامية.

**المفهوم العام للتطوع هو بذل الجهد أو المال أو الوقت أو الخبرة بدافع ذاتي دون مقابل مادي. وقد قامت بعض المؤسسات والمنظمات الدولية برصد الدوافع التي تدعو إلى التطوع فوجدت أن المتطوعين يختلفون في دوافعهم ورغباتهم، في التطوع: إما حب الآخرين والرغبة في تقديم المساعدة، أو نسج علاقات اجتماعية تكسب المتطوعين مهارات وخبرات جديدة قد تفيدهم مستقبلاً.**

برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين (UNV) الذي أنشأته الجمعية العامة في عام ١٩٧٠، والذي قارب عمره الآن على الأربعين عامًا قد لا يعرف كثيرون عنه شيئًا أو قد يعرفون القليل رغم كل هذه السنوات من العمل المستمر في مختلف أنحاء العالم. وهذا الجهاز يعمل كجهاز مساعد للأمم المتحدة، وليكون الذراع التطوعي للمنظومة المتكاملة للأمم المتحدة. فهو مشروع تطوعي متعدد الأطراف يهدف إلى تشجيع الإسهامات التطوعية في مجالات التنمية المختلفة لا سيما التنمية التي ترتكز على المجتمع المحلي. والبرنامج يسعى إلى تأثير التنمية في القرار السياسي بما يضمن استمراريتها.

### من هم متطوعو الأمم المتحدة؟

يعمل في البرنامج أكثر من أربعة آلاف رجل وامرأة سنويًا، بمستويات رفيعة من المؤهلات والخبرة والرغبة في العطاء للآخرين. وينتمون لأكثر من ١٤٠ جنسية يعملون في البلدان النامية والبلدان التي تمر بمراحل انتقالية، يكون لب عملهم كاختصاصيين متطوعين وعمال ميدانيين، وكمتطوعين وطنيين في برامج الأمم المتحدة المختلفة في بلدانهم. فحوالي ٧٤٪ من متطوعي الأمم المتحدة في الوقت الحالي من مواطني البلدان النامية، أما الباقون ٢٦٪ فمن العالم المتقدم صناعيًا.

هؤلاء المتطوعون يؤدون عملهم فيما يقرب من ١٤٠ بلدًا، أكثر من ألفين منهم يعملون في إفريقيا، وألف تقريبًا يعملون في آسيا والمحيط الهادي والباقي في الدول العربية والكاريبي وأمريكا الوسطى. كما يعمل ثلاثة أرباعهم - ثلاثة آلاف تقريبًا - في أفقر بلدان العالم في ذات الاقتصاد الأقل نمواً والمغلقة والجزر الصغيرة.

ومتطوعو الأمم المتحدة مهنيون ملتزمون يسعون إلى العمل مع أقران لهم. فتراهم يصغون ويحاورون، ويشجعون ويسهلون، ويتقاسمون الأفكار والمهارات والخبرات ويتبادلونها، ويعملون ويدربون فئات المستفيدين من المجتمعات التي يعملون من أجلها. وباختصار فإنهم متفانون في نشر روح التطوع من خلال ما ينقلونه من معرفة بين الشعوب.

### طبيعة عملهم

يعمل المتطوعون في مجال التعاون والدعم الفني والتقني من أجل التنمية، وفي دعم مبادرات

المجتمعات المحلية والأعمال الإنسانية والتعمير. كذلك يدعمون أعمال الأمم المتحدة في مجال السلام والانتخابات وحقوق الإنسان. وبالإضافة إلى ذلك، يقدم برنامج متطوعي الأمم المتحدة الدعم من خلال: «موارد الأمم للمشورة الدولية القصيرة الأجل - UNISTAR» المستشارين للقطاعين الخاص والعام، وتمكين برنامج الأمم المتحدة الإنمائي «نقل التكنولوجيا من خلال المغتربين لمساعدة بلدانهم الأصلية - TOKTEN».

ويحتفظ برنامج متطوعي الأمم المتحدة بجدول للمتخصصين يغطي ١١٥ فئة مهنية في مختلف المجالات، وتبرز من بينها الزراعة، الصحة، والتربية، والشؤون الاجتماعية، والتدريب المهني، والصناعة، والسكان، والاتصالات، والإعلام وتقنية المعلومات. وعلى جانب آخر هناك أعمال الإغاثة الإنسانية والسلم والانتخابات التي تندرج تحت فئة المساعدات الإنسانية المباشرة.

وترجمة لالتزام المتطوعين تجاه الشعوب والمجتمعات في كافة أرجاء العالم، فإن كثيرًا منهم يعملون في بلدان ومناطق ريفية نائية، ويشمل هذا العمل الميدانيين كذلك، والذين يعملون على المستوى القاعدي في برامج التنمية المشتركة ومشاريع التبادل الحر في ومتطوعي البيئة. ولا يطبق نهج التركيز المحلي على الاهتمامات التقليدية فقط مثل

# من أجل أنفسنا أيضًا..

د. إيمان بيبرس * - مصر

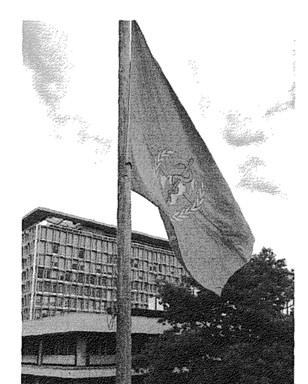
هناك كلمة للعالم الكبير «أينشتين» يقول فيها: «من البديهيات في حياتنا أننا ضيوف على هذا العالم، ولأسباب لا نعرفها توقفنا لفترة هنا، وفي هذه الفترة نحاول أن نجعل للرحلة و الإقامة معنى، ومن بديهيات الإقامة أننا نعمل لأنفسنا ولغيرنا وأن غيرنا يعمل لنفسه ولنا...»، والعمل التطوعي الذي نقدمه للمجتمع هو مرادف لما تتضمنه هذه العبارة من معان، وإذا كان هناك من يفضلون لذة العطاء على منفعة الأخذ، فإن هناك الذين يعتقدون أن العالم كله قد خلق من أجلهم وحدهم وهم يحبون الجلوس على كل الموائد ولا يفكرون في أي شيء إلا من وجهة واحدة هي المنفعة الشخصية.

وأحسب أن الصنف الأخير قد فاته أنه لا يعيش وحده، وأن ما يقدمه من منفعة يعود عليه من خلال المجتمع الذي هو كيان واحد وكل لا يتجزأ، وأنه لا يمكن لأحد أن يعيش في أمان وبجواره من يحتاج المساعدة، وأنه إن تأخر عن مساعدة غيره اليوم فسوف يتأخر كل الناس في مساعدته غدًا، وإلى أن يأتي ذلك الغد لن يتركوه في حاله وسوف يوسعونه حقدًا وغلاً وساعتها سوف يفقد أكثر مما كان يتوقع.

وأنا شخصيًا دافعي الأول للقيام بالعمل التطوعي هو الإحساس بنعمة الله علي، وأن هذه النعمة تستوجب أن أؤدي حقها من خلال مساعدة الآخرين، بالإضافة إلى ما أشعر به من سعادة لا يعرفها إلا من جرب البذل والتضحية، وأنا لا أميل إلى استخدام كلمة العمل التطوعي على ما أقوم به، بل أفضل أن أطلق عليه العمل التنموي، لأنه يهدف إلى تنمية المجتمع من خلال مساعدة أفراده على العيش بشكل مناسب وزيادة قدرتهم على نفع مجتمعهم، لقد تعلمت من خلال عملي السابق مع الهيئات الخيرية العالمية مفهومًا أكبر للعمل الخيري، وتعلمت كيفية إدارة وتنسيق الأعمال التطوعية؛ وكيف أن هذه الأعمال لا تقتصر على مساعدة ودعم المجموعات المستضعفة مثل المعوقين والأيتام والأرامل أو محاربة الفقر ولكنها تتعدى ذلك لتشمل تنمية المجتمع كله.

وقد ظهر هذا التوجه من خلال رسالة جمعيتنا الخيرية التي لم تقتصر فقط على تمكين المرأة العائل والأسر الفقيرة اقتصاديًا من خلال منحها قروضًا صغيرة توفر لها فرص عمل، وتثقيفها اجتماعيًا وصحيًا، ورفع وعيها بحقوقها وواجباتها. بل امتدت لتشمل تكوين حلقة اتصال بين الجهات الحكومية المختلفة من ناحية، والمرأة العائل من ناحية أخرى، وكذلك توجيه نظر صانعي القرار للمرأة العائل والفتاة المهمشة، والأسر المعدمة، وتوصيل

* رئيسة مجلس إدارة جمعية نهوض وتنمية المرأة المصرية.



إنتاج الأغذية أو الصحة المحلية، بل ينتقل إلى دور المرأة الحضرية والريفية معًا في التنمية بالإضافة إلى السيطرة على وباء الإيدز وإدارة الموارد البيئية المحلية ومعالجة الفقر. ويسعى العمال الميدانيون لبرنامج متطوعي الأمم المتحدة للاستناد إلى المعرفة الحقيقية بالمجتمعات وتسهيل المبادرة المحلية وتبادل الخبرات.

يعمل برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين بالمشاركة مع الحكومات ووكالات الأمم المتحدة وبنوك التنمية والمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمعات المحلية. وكثيرًا ما يكون هناك إسهام تقني إضافي من إحدى وكالات الأمم المتحدة المتخصصة من خلال أصوات هذه الفئات إلى صانعي القرار، ما يعنى تنمية المجتمع بصفة عامة، وفي الوقت نفسه تستهدف الجمعية إقامة روابط بينها وبين الجمعيات النسوية والخيرية الأخرى من جهة ومع المولين من جهة أخرى.

إن العمل التطوعي لا يهدف إلى المساعدة أو مد يد العون للمحتاجين فقط وإنما يجب أن يؤدي إلى مردود طويل المدى يخرج هؤلاء المحتاجين من كبوتهم ويساعدهم على الكسب الحلال، ومن هنا لا يجب الاهتمام فقط بالمرأة العائل كما تفعل كثير من الجمعيات، ولكن يجب مساعدة الأسرة كلها سواء كان الزوج أو الأبناء في الحصول على عمل أو إقامة مشروع من خلال القروض التي تمنحها الجمعية والمشروعات الصغيرة التي يتم التدريب عليها، وتدريب الرجال والنساء على المهارات التي تجعلهم مواطنين قادرين على التعايش مع المجتمع بالإضافة إلى التوعية القانونية لهؤلاء البسطاء لتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم.

ويعد عدم فهم الناس في مصر لطبيعة العمل الخيري من أهم المعوقات التي تواجه عملنا التطوعي، لذلك فهم دائمًا ما يتساءلون عن المقابل الذي يحصل عليه القائمون عليه سواء كانت جمعية أو أفرادًا نظير قيامهم بهذا الجهد، وهو نتيجة منطقية لغياب ثقافة التطوع وعدم الوعي بدوره في تنمية المجتمعات، كما أن الإعلام قد أساء لصورة العمل التطوعي في مصر، ولم يقم بدوره في إلقاء الضوء على النماذج الجيدة متجاهلا أن المجتمع يقوم على ثلاثة أركان رئيسية وهي مجهودات الحكومة والقطاع الخاص والعمل الأهلي الذي يمثل جانبًا مهمًا في تنمية المجتمع ولا ينبغي إغفاله أو التقليل من شأنه.

وبالإضافة إلى ذلك هناك الكثير من القوانين التي تضيف مزيدًا من المعوقات للعمل التطوعي في مصر وعلى سبيل المثال تواجه جمعيتنا صعوبة بالغة في عقد الندوات واللقاءات لأن القانون في مصر يشترط الحصول على موافقة مسبقة من وزارة التضامن الاجتماعي مهما كان موضوع الندوة وهو أمر يعطل دور الجمعية في التوعية والتثقيف ونشر الفكر التطوعي، كما يأتي ضمن المعوقات الأسلوب الذي تتعامل به إدارة السجون مع المتهمين واعتبارهم مجرمين حتى تثبت براءتهم،وهو ما يقضى على كل المجهودات -التي تبذلها الجهات التطوعية من أجل إصلاح هذه الفئة من المواطنين.

ورغم أهمية العمل التطوعي في نهضة المجتمع؛ فهناك مواقف سلبية من بعض الأفراد والمؤسسات قد تصل إلى حد بث الشائعات والشكوك ضد العمل الخيري والقائمين عليه، مما يزرع الإحباط واليأس في المحيط الاجتماعي، ويسهم في تأخر مسيرة العمل التطوعي وعرقلة نموه وتقدمه وعزوف الكثير من الشباب عن الالتحاق بقطار التطوع، وفي حين تحظى المؤسسات الخيرية والإنسانية في الغرب بحضور قوي وفعال ودعم رسمي وشعبي كبيرين. مازلنا نحن نشكك في بعضنا ونتبادل الاتهامات.

إشراف تلك المنظمات على تنفيذ برامجها.

### تمويل البرنامج

يأتي أكثر من نصف تمويل البرنامج من الصناديق القطرية والإقليمية التي يقدمها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وكذلك من ميزانيات البرامج المجازة من الجمعية العامة للأمم المتحدة عن طريق وكالاتها المتخصصة، هذا بالطبع بالإضافة إلى مساهمات الحكومات المضيفة مباشرة ومن خلال المنح المخصصة التي تقدمها الحكومات المانحة والصندوق التطوعي الخاص لبرنامج متطوعي الأمم المتحدة. ويبلغ متوسط التكلفة لمهمة متطوع الأمم المتحدة ثلاثين ألف دولار أمريكي في العام، أي مجرد جزء من تكلفة الخبير التقني الدولي المماثل، وبشروط السوق العالمية. وتوضع ميزانية العمال الميدانيين ومتطوعي الأمم المتحدة الوطنيين استنادًا إلى أقرانهم من المحليين.

### اختيار المتطوعين

تأتي المؤهلات والخبرة والالتزام كأهم العناصر الحيوية والأساسية التي يسعى إليها برنامج متطوعي الأمم المتحدة عند مراجعة السيرة الذاتية للمرشحين لشغل الوظائف التي تعلن من خلال البرنامج تليها بعض الخطوات الأخرى عند الاختيار وهي:

أولاً: الاهتمام الحقيقي بدعم جهود الآخرين وتكريس بعض سنوات العمر للعطاء الإنساني الخالص في بلد آخر، وثقافة أخرى ومناخ آخر يعد مقدمة أولية وضرورية خلال بحث البرنامج عن شباب ورجال ونساء معنيين بهذا الأمر بكل ما يتيحه ذلك من ارتياح للعمل وكسب خبرات لا تتأتى إلا بالممارسة والعطاء.

ثانيًا: التأهيل النظامي أمر مهم أيضًا فمعظم متطوعي الأمم المتحدة حاصلون على درجة جامعية أو دبلوم أو شهادة من معهد مهني عال. وكثيرون منهم حاصلون على درجات علمية عليا، تشمل الماجستير والدكتوراه.

ثالثًا: الخبرة فكلهم وبلا استثناء ذوو خبرة وتخصص في مجالاتهم، فمتوسط عمر اختصاصي البرنامج ٣٩ سنة، وفترة تخصصه في مجاله تزيد على ١٠ سنوات.

كما يسعى البرنامج – الذي يشرف على المنطقة العربية فيه إبراهيم حسين – إلى تشجيع النساء بصفة خاصة للمساهمة بفاعلية من خلال مشروعات الأمم المتحدة، حرصًا على إتاحة الفرصة كاملة لها للحصول على الخبرة المباشرة كما للرجل في بعض مجالات العمل التي تتسق مع وضع المرأة، مع مراعاة للمعتقدات والتقاليد والنظم التي تقوم عليها بعض المجتمعات أو المنظمات القاعدية للشعوب. وبصفة عامة تنطبق على جميع المتطوعين من الجنسين بعض الشروط، كالمعرفة الجيدة بلغة ثانية تكون مستخدمة استخدامًا واسعًا في البلدان الأخرى (كميزة إضافية).

### ٢٠٠١ عام التطوع

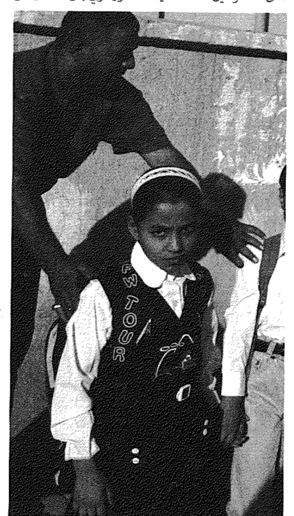
في أعقاب دخول العالم القرن الحادي والعشرين، ولتيسير مساهمات المتطوعين، والاعتراف بإنجازاتهم في خضم مشاورات جرت بين العديد من المنظمات الدولية غير الحكومية في مطلع التسعينيات تم الاتفاق على اعتبار سنة ٢٠٠١ سنة دولية للمتطوعين.

وقد تبلور هذا المفهوم للمرة الأولى عبر نظام الأمم المتحدة أثناء منتدى السياسة الذي عقد في اليابان عام ١٩٩٦، تحت إشراف برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين وجامعة الأمم المتحدة . تقدمت بعدها حكومة اليابان باقتراح في فبراير ١٩٩٧ إلى السكرتير العام للأمم المتحدة، حيث تم وضعه على قائمة جدول الأعمال لمؤتمر الـ (ECOSOC)

> تأتي المؤهلات والخبرة والالتزام كأهم العناصر الحيوية والأساسية التي يسعى إليها برنامج متطوعي الأمم المتحدة عند مراجعة السيرة الذاتية للمرشحين لشغل الوظائف التي تعلن من خلال البرنامج

في يوليو ١٩٩٧. أجاز المؤتمر في قراره رقم ٤٤/١٩٧٧ توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بتبني القرار المعلن عن قيام السنة الدولية للمتطوعين ٢٠٠١. وفي جلستها الثانية والخمسين في ٢٠ نوفمبر ١٩٩٧ وبموجب القرار رقم ١٧/٥٢ الذي وجد التأييد من قبل ١٢٣ دولة قررت الجمعية العمومية بتبني قرار مؤتمر الـ (ECOSOC).

أما الأساس الذي بنيت عليه السنة الدولية للمتطوعين ٢٠٠١ فهو أن الخدمة التطوعية أصبحت مطلوبة - بصورة غير مسبوقة - لمعالجة مجالات ذات أهمية قصوى في مجالات اجتماعية، واقتصادية، وثقافية، وإنسانية وفي نشر السلام. كما أنه توجد حاجة ماسة لزيادة عدد الأفراد لتقديم خدماتهم كمتطوعين وذلك يتطلب اعترافًا وتيسيرًا أكثر للعمل التطوعي وترويجًا أكبر لمثل هذه الخدمات بتقديم نماذج لأحسن المبادرات والمجهودات المنسقة لدى المتطوعين. هنالك أيضًا شعور قوي بأن تخصيص



برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين

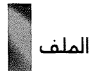
سنة دولية للمتطوعين من قبل الجمعية العمومية للأمم المتحدة، يؤسس بنية هامة ومناخًا أكثر ملاءمة للنمو والاستفادة من المساهمات التطوعية.

ويأتي هذا العام للتطوع محققًا عدة أهداف حيوية هي:

أولاً: الاعتراف المتزايد بأهمية التطوع، فيمكن للحكومات والسلطات المحلية أن تقدم مساعدة عن طريق تأمين آليات لإدخال القطاع التطوعي في العملية الحياتية. يتم ذلك بواسطة دراسة حول البلد تصف وتحدد مساهمات القطاع التطوعي تجاه المصلحة القومية والتقدم، وكذا إنشاء جوائز لأحسن النماذج من الأفراد، والجامعات الصغيرة، والمحليات، والمنظمات غير الحكومية وحتى للعمل التطوعي العالمي.

ثانيًا: التيسير على المجتمع لاستيعاب فكرة التطوع وترغيب كل الفئات فيه، فالدولة يمكنها عرض مؤسساتها التدريبية لاستعمال الخدمات التطوعية بأسعار مخفضة، ويمكنها تعزيز الكفاءة التقنية والإدارة السليمة والمسؤولية في القطاع التطوعي. يمكن للدولة السعي وراء ضمان التأمين وحماية الرعاية الاجتماعية للمتطوعين المتعاونين مع مؤسسات معروفة ومسجلة لدى الدولة بشكل مماثل للموظفين النظاميين بتلك المؤسسة. يمكن منح موظفي الخدمة المدنية عطلات خاصة لقضاء دورات في العمل التطوعي، كما يمكن منح إعفاءات ضريبية لمن يدعمون المبادرات التطوعية وقبول الخدمة التطوعية تحت الظروف الملائمة كبديل للخدمة العسكرية. أيضًا يمكن تخصيص موارد مثل موارد البناء، والكتب، والإمدادات الطبية والتمويل النقدي.

ثالثًا: مشاركة وسائل الإعلام جزء من العمل التطوعي فهي ترسخ عند عامة المتلقين اعتياد الفكرة وأهميتها، كما أن محطات الإذاعة والتليفزيون والصحف المنشورة والإعلام الإلكتروني يمكنها المساهمة في ربط وتبادل إنجازات المتطوعين بحيث يتوفر نموذج لأحسن التقنيات التي يمكن اتباعها حسب أولويات كل مجتمع. هذا التبادل يمكن أن يكون على الصعيد المحلي والإقليمي بمشاركة دول الجوار وعالميًا عبر الإعلام الإلكتروني.■





في الخامس من ديسمبر من كل عام

# اليوم الدولي للمتطوعين

أحمد أبوزيد محمد - القاهرة

* المصدر: الموقع الرسمي للأمم المتحدة على شبكة الإنترنت.

**العمل التطوعي بأسمائه وأشكاله الكثيرة له جذور عميقة في تقاليد عريقة وقديمة من المشاركة في معظم الثقافات. وسواء فهم بمعنى المعونة المتبادلة ومساعدة الناس الأقل حظًا وتقديم الرعاية والخدمات، أو المشاركة والقيام بالحملات، فإنه يشكل تعبيرًا عن استعداد الناس وقدراتهم للقيام بمحض إرادتهم بمساعدة الآخرين وتحسين المجتمع بروح المعاملة بالمثل. والعمل التطوعي يعود بمنافع كبيرة على الأفراد والمجتمعات الأهلية، ويساعد في تغذية وإدامة بنية اجتماعية أكثر ثراء وأقوى إحساسًا بالثقة والتلاحم المتبادلين. ويشكل العمل التطوعي ذخيرة هائلة من المهارات والطاقة والمعارف المحلية التي بوسعها أن تساعد الحكومات على القيام ببرامج وسياسات عامة أكثر تركيزًا وكفاءة وشفافية، وتقوم على قاعدة أوسع من المشاركة.**

وتحتفل المؤسسات الحكومية والأهلية والدولية في الخامس من ديسمبر من كل عام باليوم العالمي للتطوع الذي ينظمه برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين. وقد اعتمد هذا اليوم من قبل الأمم المتحدة ليكون اليوم الذي يحتفل فيه العالم تكريمًا للعمل التطوعي ودعمًا لدوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فاليوم العالمي للتطوع هو يوم تعمل فيه المنظمات والأفراد معًا يدًا بيد لتحقيق أهداف المجتمع المشتركة، وطرح وتدشين المبادرات والمساهمات المؤسساتية والفردية الاقتصادية والاجتماعية على المستويات المحلية والوطنية والعالمية. وقد تم اعتماد هذا اليوم من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها رقم ٤٠/٢١٢ الصادر في السابع عشر من ديسمبر ١٩٨٥م. ومنذ ذلك الحين أصبحت الحكومات ومنظومة الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع المدني تشارك – وبنجاح – المتطوعين حول العالم في الاحتفال بذلك اليوم.

### السنة الدولية للمتطوعين

بناء على اقتراح من حكومة اليابان إلى الأمين العام للأمم المتحدة، أعلنت الجمعية العامة عام ٢٠٠١ السنة الدولية للمتطوعين في دورتها الثانية والخمسين في ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٧م وشارك ١٢٣ بلدًا في اتخاذ هذا القرار. ونشأت فكرة السنة الدولية للمتطوعين في بداية القرن الحادي والعشرين بهدف تنشيط النقاش حول السياسة الوطنية والدولية، والدعوة إلى الاعتراف بقيمة الشبكات العالمية للاتصال وقدرتها على تيسير التواصل وتعزيز العمل التطوعي ودعمه.

وتم استغلال متطوعي الأمم المتحدة ...

نحو استراتيجي على مدى سنوات. وركزت معظم الدول على توجيه مساهمة المتطوعين نحو تحقيق الاهداف الإنمائية للألفية الثالثة التي تتمحور حول مجموعة من الأهداف المحددة زمنيًا لمكافحة الفقر والجوع والمرض والأمية والتدهور البيئي والتمييز ضد المرأة.

وعلى الرغم من أن الأيام العالمية التطوعية كثيرة: فهناك يوم اليتم ويوم زراعة الأشجار واليوم العالمي لتنظيف الشواطئ واليوم العالمي لتكريم مديري البرامج التطوعية..الخ، إلا أن العمل التطوعي لا يزال محصورًا ومقتصرًا على بعض المجالات دون غيرها، مما قد يعيق تحقيق التنمية الشاملة في المجتمعات.

وفي رسالته الخاصة باليوم العالمي للمتطوعين، صرح السيد/ كوفي أنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة بأنه في حالات الكوارث الطبيعية أو الأزمات الصامتة مثل الفقر والمرض يحدث المتطوعون فرقًا في العالم كله. كما أن المتطوعين لهم دور هام فى مساعدة المجتمع الدولي في تحقيق أهداف الألفية للتنمية.

### متطوعو الأمم المتحدة The United Nations Volunteers

هي المنظمة التابعة للأمم المتحدة، والتي يقوم بإدارتها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الذي يقوم بدعم التنمية الإنسانية المستدامة عالميًا من خلال تعزيز العمل التطوعي، بما في ذلك تعبئة المتطوعين. ويوفر برنامج متطوعي الأمم المتحدة – كجزء من نشاطه – الفرصة لأكثر من ٧٠٠٠ من المهنيين ذوي الخبرة والمهارة الذين ينتمي ٧٥٪ منهم إلى الدول النامية، لدعم السلام والإغاثة ومبادرات التنمية فيما يقرب من مائة وأربعين بلدًا. إضافة إلى ما سبق، تضم تلك المنظمة آلافًا آخرين من الأفراد المتطوعين الذين يعملون مع الأمم المتحدة من خلال موقعها الإلكتروني HYPERLINK http://www.nlinevolunteering.org" .www.nlinevolunteering.org

وأتاح موقع متطوعي الأمم المتحدة على شبكة الإنترنت إمكانيات جديدة للأفراد للمساهمة بمهاراتهم ووقتهم مباشرة من البيت أو المكتب. فمنذ إطلاقه في عام ٢٠٠٠م، تطوع أكثر من ٢٠٠٠٠ شخص من الشمال والجنوب بتقديم خدماتهم وإنجاز بعض المهام التي تعتبر من صميم الأهداف الإنمائية للألفية. وتدعم الخدمة أيضا بناء القدرات التنظيمية عن طريق تقديم المشورة والموارد في مجالات مثل إنشاء مجموعات النقاش على الإنترنت والاستفادة من أفضل الممارسات في إدارة المتطوعين على الإنترنت، وقد أسهم هذا الأمر في نقل الأفكار العالمية إلى العمل المحلي التطوعي.

وفي عام ٢٠٠٥م، قام ٨١٢٢ متطوعًا يمثلون



١٦٨ جنسية ويعملون في ١٤٤ بلدًا بدعم أنشطة الحكومات ومنظومة الأمم المتحدة ككل والمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني في مجالات رئيسة مثل الحد من الفقر والحكم الديمقراطي والطاقة والبيئة، ومنع الأزمات والإنعاش، ومقاومة انتشار فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز). ولتأكيد التزام البرنامج بمبدأ تعزيز التعاون بين الجنوب والجنوب تشكلت أغلبية المتطوعين (٧٦٪) في هذه الأعمال من مواطني البلدان النامية والبلدان ذات الاقتصادات التي تمر بمرحلة انتقالية.

واعترافًا من الأمم المتحدة بأن تحقيق الأهداف يتطلب إبداع وابتكار الملايين من المواطنين من خلال العمل التطوعي، أطلق برنامج متطوعي الأمم المتحدة عددًا من المبادرات الأخرى التي هدفت إما إلى اتاحة فرص التطوع أمام مزيد من الناس أو توفير المساعدة لبيئة أكثر ملاءمة لأزدهار العمل التطوعي.

وفي أطار الدور الذي يضطلع به الشباب في صياغة تنمية مجتمعاتهم والحاجة إلى تسخير هذه الإمكانات، نجحت الأمم المتحدة وبرنامج متطوعي الأمم المتحدة مع شركائها فى تنفيذ مشاريع رائدة على المستويات المحلية والإقليمية والوطنية، كما حدث في بوركينافاسو، وجنوب إفريقيا، وأذربيجان. وقد تضمنت مشروعات صحية وتعليمية وبيئية واجتماعية كرعاية الأيتام والعجزة واللاجئين وأطفال الشوارع، أو إحلال السلام وبناء الثقة كما حدث في البوسنة والهرسك..

### روح العمل التطوعي

العمل التطوعي عادة تعتادها الروح وفضيلة اجتماعية، وعمل له جذور عميقة في النفس البشرية، وله تأثير اجتماعي وثقافي بعيد المدى. فالاستماع للآخرين والاهتمام باحتياجاتهم والاستجابة لها دليل على أنبل الدوافع الإنسانية. فالمخلوقات البشرية يساعد بعضها بعضًا بدافع الحب والتراحم. ومع ذلك فإن العمل التطوعي ببُعده الروحي ومعناه الرمزي الأكثر عمقًا ليس ببساطة شيئًا نفعله للآخرين، إذ إن قيمنا وإنسانيتنا هي المقصودة: فنحن ما نعطي.

**واتاح موقع متطوعي الأمم المتحدة على شبكة الإنترنت إمكانيات جديدة للأفراد للمساهمة بمهاراتهم ووقتهم مباشرة من البيت أو المكتب. فمنذ إطلاقه في عام ٢٠٠٠م، تطوع أكثر من ٢٠٠٠٠ شخص من الشمال والجنوب بتقديم خدماتهم وانجاز بعض المهام التي تعتبر من صميم الأهداف الإنمائية للألفية**

وهناك أيضًا عنصر المصلحة الذاتية المتنورة في جميع مظاهر السلوك البشري، «فما أصنعه لك اليوم قد تصنعه لي غدًا». فالتضامن والمصلحة الذاتية يتعايشان في عقول الناس عندما يعطون من وقتهم. علاوة على ذلك، فإن روابط الثقة المتبادلة والتواصل النفسي تعطي الناس مصلحة شخصية في رفاه الآخرين. وبهذا المعنى، فإن العمل التطوعي التزام أدبي يأخذه المرء على نفسه بمحض إرادته. فنحن يساعد الواحد منا الآخر لأننا نحس بالرضا عندما نؤدي واجبًا أخلاقيًا بأن نفعل ذلك. فهذا ليس عملًا فرضته علينا سلطة خارجية. إذ إن العمل التطوعي باعتباره عونًا متبادلًا وعونًا ذاتيًا يقوم على الجدارة بالثقة والتوقعات، إذ إن هناك فكرة رئيسة مفادها أن المعروف سيرد إلينا. فعندما نرعى الآخرين ونقتسم ما لدينا تكتمل إنسانيتنا أكثر، وفي الوقت ذاته نعزز النسيج الأخلاقي لمجتمعاتنا الأهلية، والنسيج الاجتماعي لمجتمعاتنا.

وما من شيء جديد هنا، فرعاية الآخرين واقتسام ما لدينا لا يزالان عنصرًا رئيسًا من عناصر السلوك البشري منذ فجر المدنية. فالمجتمعات الأهلية ما فتئت ترعى أفرادها الأكثر ضعفًا والأكثر عرضة للأذى. ومعظم الأديان تؤكد القيم الأساسية لرعاية الفقراء والمرضى والمحرومين والأرامل

والأيتام. وبعض الأديان يتجاوز المخلوقات البشرية بمظاهر عطفها وتعاطفها لتشمل الطبيعة برمتها. وهذه التقاليد العريقة، التي تعود جذورها إلى عهد لا ترقى إليه الذاكرة، لا تزال تنبض بالحياة والحيوية في عالمنا المعاصر.

ودروس الثقة التي يتلقاها المرء من خلال ..مل التطوعي تعلمنا أن نوسع نطاق التزاماتنا ..بية المتمركزة محليًا لتشمل أناسًا لن نعرفهم ..ة شخصية مطلقًا. وللاطلاع على أمثلة م.. ..رة على هذه الظاهرة العرقية، لا يحتاج المرء إلى أن ينظر أبعد من الحركات الجماهيرية لصون السلام وحقوق الإنسان والبيئة والحملة العالمية الأخيرة ضد الألغام البرية. وهذه الحقائق تعكس التفاعل الغني بين الالتزام المحلي والدعوة العالمية،



وتسلط الأضواء على التنوع الهائل لمبادرات العمل التطوعي.

**تسخير طاقات العمل التطوعي من أجل التنمية الاجتماعية**

تتمتع الحكومات بمركز جيد للقيام بدور رائد في تحديد الطرق الجديدة لتنظيم وتسخير العمل التطوعي من أجل دعم سياساتها وبرامجها الاجتماعية. ولا يتمثل التحدي في الاستعاضة عن النموذج الحكومي المتمثل في توفير جميع الخدمات بنموذج يعتمد فيه المجتمع المحلي على الذات، وإنما في الدمج بينهما بحيث يعزز كل منهما الآخر. فليس في مقدور الحكومات أو المجتمع المدني التصدي للتحديات المتمثلة في تحقيق تنمية عادلة ومستدامة. وإنما يحتاج كل منهما للتعاون لتكملة بعضهما البعض.

وتكمن الخطوة الحيوية الأولى في السعي لإقامة التوازن بين الواجبات والمسؤوليات في الاتفاق على بعض الافتراضات الأساسية وأهمها:

١- أنه ليست هناك ضرورة للتعارض بين واجبات الدولة في توفير الخدمات الاجتماعية ومسؤوليات المواطنين في زيادة الفوائد المستمدة من هذه الخدمات.

٢- أنه ليست هناك ضرورة للتعارض بين السياسات العامة المطبقة من أعلى إلى أسفل وبين المبادرات التي يقوم بها المجتمع المحلي من أسفل إلى أعلى في مجال تقديم الخدمات وتعزيز المبادرات التطوعية المحلية.

٣- أنه ليست هناك ضرورة للتناقض بين العمل التطوعي بوصفه شكلًا من أشكال الالتزام الاجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى بوصفه عملًا إنتاجيًا.

ولا يُعتبر الاعتماد على العمل التطوعي بأية حال من الأحوال سببًا منطقيًا لخفض الجهد الحكومي، حيث لا تعمل الحكومة على تقليص دورها ومسؤولياتها المشروعة.

**استراتيجيات تعزيز العمل التطوعي ودور الحكومات**

خلص تقرير للبنك الدولي عن التنمية في العالم إلى أن الأعراف والشبكات المجتمعية هي

شكل رئيس من أشكال رأس المال الاجتماعي، ويمكن استخدامها كأدوات للقضاء على الفقر. ومن المهم بالتالي العمل مع هذه الشبكات الاجتماعية وتعزيزها وزيادة وعي الجمهور بمساهمة العمل التطوعي في تحقيق الرفاه بشكل عام، وتشجيع العمل التطوعي للشباب ومشاركة القطاع الخاص. وأساس جميع هذه التدابير هو ضرورة المراعاة الكاملة للثقافات والتقاليد المختلفة عند وضع الاستراتيجيات الوطنية لدعم العمل التطوعي.

وتشجيع العمل التطوعي هو إحدى الوسائل التي تستطيع بها الحكومات زيادة فرص نجاح وفعالية مبادراتها الإنمائية الوطنية. ومما يؤسف له أن العمل التطوعي غالبًا ما يتم التقليل من قيمته بوصفه مساهمة عينية ببساطة. وعلى العكس من ذلك يمكن أن تكون المساهمات التطوعية عاملًا حاسمًا في زيادة رأس المال المادي والبشري في مجالي الإنتاجية والنمو. وغالبًا ما يشمل تشجيع العمل التطوعي إنعاش قيم ساكنة كانت موجودة باستمرار سواء عبرت عنها مجموعات قبلية أو مجالس قروية أو رابطات العون المتبادل أو الرابطات النسائية والشبابية للمساعدة الذاتية، لكنها تأثرت سلبيًا بسبب الحروب أو الفقر أو بسبب الأوبئة.

إن إحدى الاستراتيجيات لتشجيع العمل التطوعي هي اللامركزية في تخصيص الموارد والسلطات، وذلك لتقريب وكالات تقديم الخدمات من المجتمعات المحلية، وتعزيز سيطرة هذه الأخيرة على هذه الخدمات، وزيادة فرص المساءلة العامة في برامج القطاع العام. وتتيح هذه السياسات الفرص لمشاركة الآباء في المدارس، وتيسير مشاركة أفراد المجتمع المدني في برامج إمدادات المياه والري وإدارة الأحراج وتشجيع المزيد من الفرص المدرة للدخل بفعالية للفقراء. ويتعين أن تشرك المبادرات الإنمائية على الصعيد المحلي وباستمرار المستخدمين الذين يرغبون في استثمار وقتهم الخاص، وهو استثمار ينبغي الاعتراف به ومكافأته.

ويعتبر الوصول إلى المعلومات عنصرًا حيويًا في أي بيئة يزدهر فيها العمل التطوعي. ومن شأن اطلاع السكان على الصعيد المحلي على السياسات والبرامج الحكومية بشكل جيد أن يشعرهم بملكية الخدمات العامة ومعرفة متى وكيف يشاركون فيها. وبالتالي، يرجح لهم بشكل أكبر أن يكملوا البرامج الحكومية من خلال العمل التطوعي.

وأثبتت التجربة أنه عندما تتوفر للشباب فرص خلاقة ذات معنى للمساهمة في تحسين مجتمعاتهم المحلية فإنهم يتفاعلون بشكل إيجابي للغاية. ومن شأن إدماج برامج الخدمة المجتمعية في المناهج الدراسية وتوفير فرص الخدمة على نحو منتظم أن يحدث أثرًا فعليًا على مستوى مشاركة الشباب. وفضلًا عن ذلك يرجح أن يكون للأثر نتائج دائمة، نظرًا لأن التطوع في سن الشباب يعتبر مؤشرًا قويًا للتطوع في مرحلة لاحقة من الحياة.

ويعتبر العمل التطوعي عنصرًا مهمًا لإنجاح التنمية الاجتماعية التي تحقق زيادة في الموارد وحل المشاكل وتحسين نوعية الحياة للجميع. وتستطيع الحكومات من خلال قيامها بدور عملي أن تؤثر بشكل إيجابي في مستويات المشاركة التطوعية في المجتمع الوطني، ولكن العكس صحيح أيضًا، إذ تواجه الحكومات من خلال إغفالها للعمل التطوعي في تصميم وتنفيذ السياسة الاجتماعية خطر إغفال مورد وطني غير عادي.

### المنسق التنفيذي لمتطوعي الأمم المتحدة

عُين السيد/ آد دي رعد منسقًا تنفيذيًا لمتطوعي الأمم المتحدة، ومقرها بون ، ألمانيا، في شهر أغسطس ٢٠٠٤م، بعد أن شغل منصب نائب المدير التنفيذي لبرنامج متطوعي الأمم المتحدة في عام ١٩٩٨م.

وقبل الانضمام إلى البرنامج، كان السيد دي رعد مدير الميزانية في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، حيث شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٩٣ إلى ١٩٩٨م، وكان مسؤولًا عن كل الجوانب المتعلقة بتخطيط وإدارة ميزانيات الدعم للبرنامج الانمائي والصناديق والبرامج التي يديرها البرنامج الإنمائي.

والسيد دي رعد من مواليد ٧ ديسمبر ١٩٥٢م في هولندا. ويحمل شهادة الماجستير في الهندسة المدنية من جامعة دلفت للتكنولوجيا. ■




هل هو إشكال المصطلح أيضًا؟

# العمل التطوعي و الإرهاب

د. أحمد محمد الدغشي ✻ . صنعاء

✻ أستاذ أصول التربية المشارك- جامعة صنعاء .

**يبدو أن إشكال المصطلحات على المستوى الحضاري سيظل عائقًا عن التواصل والبناء بين أعضاء المنتدى الإنساني، إذ يحول دون تحقيق جسور التواصل ونواظم الاشتراك؛ كلما همّ طرف بالإقدام على مسلك ما، وفقًا لتصوراته، إذ ينازعه الطرف الآخر في المشروعية والحقانية والدستورية، من منطلق الضدّ، على حين أن اللافتة واحدة.**

ولست أجد مصطلحًا يُضرب به المثل في واقعنا المعاصر كمصطلح (الإرهاب)، ذلك أنه في ظل الفوضى التي تعمّ المصطلحات، في عالم تسعى فيه قوى العولمة للسيطرة على كل ما يخطر على البال وما لا يخطر؛ يتعلّق كل طرف بأهداب المصطلح ذاته، فنغدو أمام حالتي إثبات ونقض من منطلق يزعم فيه كل طرف التزامه بالقاعدة ذاتها!

وإذا كان بعضنا يعتقد أن كل ذلك إنما جرى ويجري بتأثير أحداث الحادي عشر من سبتمبر فالواقع أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ليست سوى البوابة العريضة الذي ولجت منه قوى الهيمنة، لتجد فيه ذريعة تاريخية جديدة نادرة للتضييق على العمل التطوّعي والخيري منه على وجه الخصوص. وليت ذلك امتدّ ليشمل العمل التطوّعي في أرجاء المعمورة، وإنما منطلق القاعدة الغشومة القائلة (المساواة في الظلم عدل)! بيد أننا لا نلفي ذلك التضييق والحصار المضروب على العمل التطوّعي (الخيري) يجد طريقه للتنفيذ على نحو لافت إلا على الحالة الوحيدة المتمثلة في العمل التطوّعي (الإسلامي). وكم تعتلي أحدنا الدهشة حين يطّلع على أرقام بهذا الشأن في الولايات المتحدة الأمريكية -على سبيل المثال- تكشف الحجم المهول، والإمكانات الخيالية، التي ينعم بها العمل الخيري هناك، على حين يتم التضييق على نظيره الإسلامي، من غير أن يكون ثمة منطق مقنع في الموازنة بينهما، إذ تشكّل المنظمات الطوعية (غير الربحية) -في أمريكا- ما يزيد عن مليون ونصف مليون جمعية ومنظمة، وتمتاز جميعها بالإعفاء من الضرائب، كما تحصل على نسبة كبيرة من الضرائب المستحقة على الشركات والأفراد والمنشآت. ولا يوجد مانع قانوني يحول بينها وبين الانتشار في جميع الساحات، وبُقع النزاع، أو بؤر الصراع في العالم، مع أن بعضها يمثل جمعيات إرهابية متطرّفة، بدليل أنها تسعى لدعم نظيراتها في الأراضي المحتلة. وقد تراوحت الجمعيات الدينية اليهودية الأمريكية وحدها - حسب بعض المواقع الإلكترونية- بين (٨٥٢٤) و(١٢٧٠٠) و(١٣٥٠٠) جمعية حسب (MSN) و(YAHOO) و(Google) على التوالي. هذا إلى جانب أن هناك منظمات وجمعيات (يهودية إسرائيلية) تعمل من خلال فروعها في الولايات المتحدة، وتتلقى التبرعات والهبات من المواطنين، ومن الجمعيات الأمريكية.

إن الموازنة- إن صحّت - بين العمل الخيري العربي

ونظيره الأمريكي يُظهر أن جميع المنظمات الخيرية في العالم العربي لا تتجاوز مجموع المنظمات الخيرية في ولايتين أمريكيتين. فإذا كانت عدد المنظمات في أمريكا تجاوزت- حسب بعض الإحصائيات القديمة نسبيا ( ١,٥٠٠,٠٠٠ ) منظمة غير ربحية فإن منها حوالي الثلثين منظمات خيرية، و٤٧٪ قامت على أساس ديني.كما تم الإنفاق على الشؤون الدينية المباشرة بنسبة عالية وصلت إلى ٤٥,٦٪ (راجع:القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب للدكتور محمد بن عبدالله السلومي، ص ٤٣٩-٤٤١).

إن السؤال المفترض هنا هو: هل ثمة لوازم عضوية بين العمل التطوّعي الإسلامي وحده وبين الإرهاب، بحيث يُصنّف (الإسلامي) -دون سواه- في قائمة الأجندة الإرهابية؟

والإجابة - فضلاً عن بداهتها العقلية- وردت في المادة الثامنة عشرة مما يسمّى بـ(مشروع الإعلان العالمي المتعلق بحقوق ومسؤوليات الأفراد والجماعات في العمل الخيري والإنساني)، ونصها:

«لا يجوز إطلاق تهمة التطرّف أو العنصرية أو الإرهاب أو التمييز على أية مؤسسة خيرية أو تنموية، أو عامل في المجال التطوّعي في نفس المجال. ولا يجوز اتخاذ أي إجراء سياسي أو متعلّق بذلك، من توقيف أو تحقيق أو إهانة أو تشهير أو حجز أموال أو ممتلكات مؤسسة أو جمعية تحترم المادة الأولى، دون إقامة البيّنة، وصدور حكم نهائي،بالإدانة من محكمة عادية، وفق مبادئ العدالة المعترف بها دوليًا»(راجع نص المشروع ضمن ملحقات كتاب القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب للدكتور محمد بن عبدالله السلومي، ص ٥٩١-٥٩٨).

وقد ورد تعريف العمل التطوّعي في المادة الأولى من المشروع نفسه بأنه «يُعنى بالعمل الإنساني والخيري التطوّعي أيّة نشاطات للمساعدة والنجدة والتضامن والحماية والتنمية لجماعات بشرية أو أفراد، خاصة المستضعفة من ضحايا الكوارث الطبيعية، والنوائب الناجمة عن فعل بشري، والأوضاع الاستثنائية والمظالم التي تحرم الأفراد والجماعات من الحقوق الإنسانية الأساسية فيما يضمن الكرامة الإنسانية وسلامة النفس والجسد. ويقصد بالتطوّعي الرغبة في عمل شيء من أجل الآخر، وبتوفر العناصر التالية:

- ألا يكون مخالفًا للأنظمة والقوانين الدولية أو قوانين وأنظمة البلد الذي يتم فيه العمل؛ ما لم تكن متعارضة مع المواثيق الدولية.
- ألا يكون مخلاً بالسلام والأمن الدوليين.
- أن يُقدّم خدمات إنسانية أو تنموية أو بيئية.
- ألا يهدف للربح».

الجدير ذكره أن مشروع القانون آنف الذكر انبثق عن الاجتماع المنعقد في باريس يوم التاسع والعاشر من كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣م، بهدف التداول في قضية المعوّقات التي يواجهها العمل الخيري والإنساني



بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر). بتهم تمويل الإرهاب أو دعمه.

ولا شك أن بعض أبرز أسباب ذلك الحصار والتضييق المدفوع من قبل دوائر خارجية، يرجع إلى الدور المبارك الذي قامت به المؤسسات الطوعية في دعم حركات المقاومة والجهاد المشروع في أكثر من بلد، ولاسيما في فلسطين المحتلة. وإذا تذكرنا كذلك حجم التأثير الذي تركته دعوات مقاطعة البضائع الأمريكية بُعيد اندلاع الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠م في فلسطين(دون أن تستمر بالوتيرة ذاتها مع الأسف)؛ لألفينا تفسيرًا يمكن فهمه بالنسبة للدوائر التي دأبت على الاستعلاء، وفرض هيمنتها على المنطقة، وهذا ما تفوّته تلك الأنشطة التطوّعية الخيرية عليها، بما يعني أن المشروع الإسلامي في شقه الاجتماعي والاقتصادي قد بدأ في تحقيق أهدافه الفعلية على الأرض على المستوى المحلّي والعالمي، من غير أن يظل شعاره مجلجلاً في الهواء، كما هي التهمة السائدة الموجّهة له في الأوساط العلمانية بعامة.

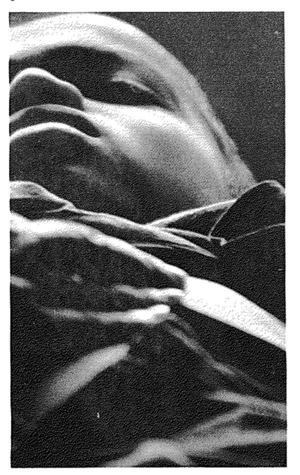
وإذا كان ذلك جانبًا أساسًا من التفسير لظاهرة التضييق على العمل التطوّعي الخيري بالنسبة إلى الدوائر الأجنبية فإن بعض دوائر الداخل تحسب أن نشطاء العمل الخيري ومؤسساتهم تستفيد من ذلك في تحسين صورتها أمام الرأي العام الداخلي، وهو ما دأبت تلك الدوائر على تشويهه، لحسابات سياسية خالصة، وتوقّعات لئن صحّ بعضها. كأن تكسب تلك الجمعيات ورموزها – من حيث تقصد أو لا تقصد – تعاطف الشارع وتأييده، وتستثمر ذلك في المواسم الساخنة كالانتخابات ونحوها. بيد أن ذلك لا يسوّغ لتلك الدوائر عرقلة مسار العمل التطوّعي والخيري، بل كان الأجدر بها السعي لمنافستها على نحو أفضل، حتى وإن من قبيل تفويت الفرصة، وإثبات القدرة بجدارة وإمكانات أعلى؛ بدلاً من أن تظل مسكونة بهواجس وأوهـام ليس لها – في نظرهم- من حلّ سوى المضي في مسلسل التضييق والحصار، والإيغال في التشويه لرموز العمل التطوعي ونشطائهم ومؤسساتهم.

والمؤسف حقًا أننا- في إطار المجتمعات الإسلامية- لانمتلك وعيًا كافيًا بأهمية العمل التطوّعي وآثاره، وبعض القيادات الاجتماعية لا تزال تعاني حالة أنانية مفرطة، ووضعًا في تضخّم الذات مخيفًا. رغم أن ثقافتنا النظرية وأدبياتنا المرجعية تدعو إلى العمل التطوّعي بما لا مزيد عليه. وما الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، والحِكم والآثار الداعية في جملتها إلى جزيل الأجر، ومنتهى الثواب، لمن يقوم بهذه المهمة السامية، بدءًا بالإنسان -كل بني الإنسان- مرورًا بالحيوان وسائر العجماوات، وانتهاء بالبيئة ومقوماتها من شجر ونبات وأرض وحجر؛ إلا آية ساطعة على الأهمية المتميزة التي توليها ثقافتنا النظرية للعمل التطوّعي والخيري، غير أن ضعف الوعي على المستويين الشعبي والرسمي، علاوة على سوء الإدارة، وتخلّف الأنظمة والسياسات والتشريعات ذات الصلّة، وإقحام البُعد السياسي – على المستويين الداخلي والخارجي – أسهم في تضييق دوائر العمل التطوّعي، وحدّ من اتساعه، كما عمل على محاصرة حركة القائمين عليه، وبدلاً من تكريمهم، وتقديم وسائل الإعلام والاتصال لهم، بوصفهم رموزًا سامية، وهامات كبيرة، تعتز بهم بلدانهم، وتفاخر بأنشطتهم في وجه الشخصيات والمؤسسات والمنظمات الأجنبية،؛ إذا بها تزوي هممهم، لتدفع بعضهم نحو الانكفاء على ذاته، وحصر حركته في نطاق همومه الشخصية والعائلية، وبعضهم انتهى به الأمر من محكمة إلى أخرى، للمدافعة عن براءته، أمام سيل جارف من الاتهامات السياسية، وربما مات كمدا بين أهله،وإن نجا فقد يكمل ما تبقى من أيامه

إن السؤال المفترض هنا هو: هل ثمة لوازم عضوية بين العمل التطوّعي الإسلامي وحده وبين الإرهاب، بحيث يُصنَّف (الإسلامي) –دون سواه- في قائمة الأجندة الإرهابية؟

غريبًا في وطنه، أو شريدًا عنه- لا فرق- غاية مناه أن يتأبط صكّ براءة (دولي)، بعد أن أعلن توبة نصوحًا، التزم فيها بالندم على مافات، والإقلاع فيما تبقى، مع العزم الأكيد على عدم العود. لعلّ ذلك يوفر له عفوًا خارجيًا، ومن ثم صدىً يتمثّل في صفح داخلي! وآية ذلك أن يُمنح قدرا من حرّية الحركة، فيثبت أمام الصديق والعدو، والقريب والبعيد، نظافة اليد، وحسن المسلك، وأنه لم يتجاوز- في أيّ مراحل عمره- حدود المواطنة الصالحة!

وهكذا تضيق مجالات العمل التطوّعي في بلداننا رغم رحابتها، ويُحرم من عطائها قطاع واسع من المحرومين في الداخل والخارج رغم استحقاقهم، لتبدأ الآثار العكسية تبرز في صورة مسالك عُنف ومناهج تطرّف، يتغذى عليها المقهورون صبحًا وعشيًا، وغدوًا ورواحًا، لتنضج في شكل قنابل بشرية فردية أو جماعية، كما تتكرس نزعات الانتقام، وتنمو الضغائن والإحن، ويصبح السلم الاجتماعي في خطر داهم، ومسلسل الفتن الداخلية والخارجية في استمرار وتطوّر مطرد، والذريعة الجاهزة دوما هي



(يافطة) محاربة الإرهاب، وتجفيف منابع دعمه وتمويله!

أيًا ما تكن سطوة التحدّيات التي تواجه العمل الخيري داخليًا أو خارجيًا، وأيًا ما تكن حجم الأخطاء - المفترضة- للقائمين عليه، فإن ذلك لا يُبيح لأيّ كان، أن يحمل كبر المحاصرة له، أو يناصر التهم القادمة من وراء الحدود، ضدّ مواطني بلده وأشقائه، بل لابد من التحرر من ضغوط الخارج وتخذيل بعض الحسّاد والذيول في الداخل. ولو قُدّر أن ضُبطت- بيقين- تحركات مشبوهة، وقع في شركها هذا الطرف أو تلك الجهة فساعتئذ لابد أن تجري القوانين العادلة في أي بلد على كل من تتوافر أدلة يقينية بشأن التهم حوله -ولا كرامة- .

ليس أمام مجتمعاتنا إلا أن تعود إلى فلسفة التربية فيها، فتغذّي بها مناهجها، إذ تصبح أحد الأهداف الأساسية في مناهج التربية الإسلامية، والتربية الاجتماعية- على وجه الخصوص- تنمية العمل التطوّعي بكل أشكاله ومفرداته، ولن يتم ذلك مالم يُضمن محتوى المنهج المقترح بجملة النصوص القرآنية والآثار النبوية، والأقوال والحكم المأثورة، ذات العلاقة بالعمل التطوعي، وبذلك يمكن أن يسهم المحتوى في تحقيق الأهداف المنشودة، وتغدو الأنشطة في هاتين المادتين - في بعض أوجهها - عبارة عن تفاعل اجتماعي تطوّعي، عبر نشاط غير صفي، يتم فيه الاطلاع المباشر على أوضاع ذوي الابتلاء، سواء من المنكوبين، أم من ذوي الحاجات الخاصة، أم سواهم- وما أكثرهم- كما تزار فيه مؤسسات الرعاية الاجتماعية، ودور المسنين التي تضج بها بعض مجتمعاتنا- مع الأسف- كي يسهم الناشئة بأنفسهم، في تقديم خدماتهم، وخلق مشاعر تشاركية تجاههم. وأما الكوارث (الطبيعية) بكل ألوانها وصور مآسيها فإنها الفرصة الأسنح لتجسيد معاني العمل التطوّعي على نحو أكثر واقعية، وبعيدًا عن المواقف المدرسية التي قد تبدو أحيانا أقرب إلى الاصطناع منها إلى الحقيقة والواقع. هذا مع إيراد أسلوب القصة التي تحكي أحوال صنّاع العمل التطوّعي وتضحياتهم في تاريخنا البعيد والقريب. ويأتي عنصر التقويم ليبيّن مدى تحقق الأهداف والمحتوى وسائر الأنشطة بدلالة تحققها الفعلي. ■





نظريات العمل الخلاق

# بين التطوع و السخرة

أ.د. محمد الدعمي* - الأردن

* جامعة أربد.

**إذا كان «العمل» هو ظاهرة جوهرية أساس من ظواهر الوجود البشري والفعل الإنساني، فإنه قد أثار اهتمام أكبر العبقريات وأضنى أذكى العقول عبر تاريخ الأفكار. لذا خصّت الشرائع السماوية والفلسفات الروحية والأخلاقية القديمة العمل بالاهتمام حد التقديس، فكان العمل عبادة وجزءًا لا يتجزأ من الوجود الآدمي الحق. وقد شهد عصر الثورة الصناعية في بريطانيا القرن التاسع عشر، اهتمامًا خاصًا بالعمل من قبل فلاسفة ذلك العصر الذين بزوا أقرانهم في أوربا، الأمر الذي قاد نحو التمييز بين أنماط العمل وعلاقات العمل، حيث برزت أنواع المسميات لتشخيص أنواع العمل. لذا ازدحمت الاصطلاحات الأكثر دقة، فطفت على سطوح الحرف المكتوب والسطر المطبوع تسميات من نوع «الكدح» و«الشغل» و«السخرة» و«العمل الطوعي»، من بين مصطلحات أخرى كانت ترمي إلى التمييز بين أنماط الفعل البشري المنتج، خاصة تحت ظل ظهور المكنة التي أحالت العمل إلى كدح، وحولت الإنسان من سيد للماكنة إلى عبد لها.**

في الوقت الذي لاحظ فيه الفيلسوف الألماني «كارل ماركس» Marx، برغم الاعتراضات على نظريته، أن العمل يشكل أهم قيمة إنسانية، عادًا الإنسان «أعظم رأسمال» وداعيًا «الشغيلة» إلى الفعل السياسي تحت شعار «ياعمال العالم اتحدوا»، فإن فلاسفة آخرين ممن عاصروه حاولوا دراسة التاريخ البشري «من أصفهان إلى نورنمبرلاند»، حسب تعبير المفكر الإنكليزي «وليام موريس» Morris، من خلال تحليل طبيعة العمل و«تحقيب» أنماطه عبر أهم العصور التي شهدت تطور العمل وعلاقات الإنتاج. المهم في هذا السياق هو ما لاحظه مؤسس المذهب الجمالي، صاحب نظرية «الجماليات الأخلاقية» The Moral-Aesthetic Theory، «جون رسكن» Ruskin، عندما حاول دراسة تاريخ العمل عبر تحليله للعمارة أو للـ«نصوص» المعمارية التي عدها خير شاهد ثابت على تاريخ العمل وعلاقات العمل عبر الحقب. لقد كان رسكن من عشاق فن العمارة القوطية Gothic architecture، لذا فإنه حاول سبر أغوار كل جزئية وكل زاوية مما أبدعه البناؤون في العصر الوسيط كي يشخص «أسرار العمل» التي تمكنت من إنتاج شواخص العمارة القوطية البديعة. وقد حبّر رسكن كتبًا عظيمة حول هذا الموضوع، كان من أبرزها كتابه المهم، والمنسي في عالمنا العربي، المعنون (سرج العمارة السبعة) The Seven Lamps of Architecture (١٨٤٩). لقد خص رسكن «سراج التضحية» كأول وأهم المقومات التي ارتكنت إليها العمارة العظيمة: فلأن العمارة، فن، تهدف إلى إقامة صروح معمارية «يكون مجرد مشهدها مساهمة في صحة الإنسان العقلية»، فإنها لذلك تختلف عن «التشييد» العادي للبنايات. لهذا السبب فإن التضحية «تدفعنا لتقديم أشياء قيمة فقط لأنها قيمة، وليس لأنها نافعة أو ضرورية». وتبدو قيم اللامصلحية ونكران الذات والتضحية بالنفائس التي مجدها رسكن (بالنسبة للعقلية المادية/النفعية السائدة آنذاك) قيمًا لا معقولة ولا منطقية. لذا يستذكر رسكن العطاء الديني، إشارة إلى التكريس الروحي الذي كان يتمتع به قدماء الأوروبيين الذين أقاموا الصروح القوطية العظيمة التي تلفت نظره، ليس لجمالها المجرد فحسب، بل للـ«روحية التي أقامتها»، وهي روحية التضحية المحررة من التوق للشهرة أو للمال لأنها «من أفعال الحب»، حيث ينطلق إنجازها العظيم في

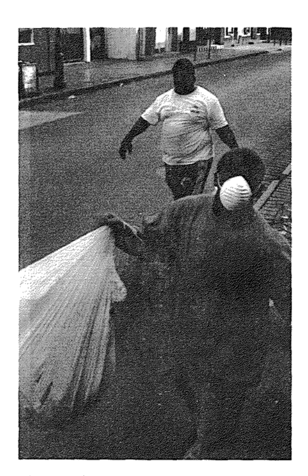
الفن من حقيقة تقديم الفنان القديم جهده تقربًا للإله. هكذا يستخدم رسكن التضحية، وهي رديفة للعمل التطوعي، نقدًا ملتويًا لعصر سيادة النظرية المادية النفعية آنذاك Utilitarianism. إنه يعتقد أن البنايات القوطية العظيمة الباقية في أوروبا من القرون الوسطى إنما تجسد كيف كان الإنسان يضع الآجرة فوق الآجرة، ليس من أجل ملء محفظته بالمال، وإنما كي يصعد درجة أعلى نحو السماء.

وإذا كان رسكن يحلم بإعادة روحية العمارة القوطية القديمة في عالم مادي براغماتي قاسٍ، فإن الكثيرين من نقاد ذلك العصر، الفكتوري، عدّوه مفكرًا طوباويًا «يوتوبيًا» حالمًا بعالم لا يمكن أن يكون. بيد أن أفكار رسكن حول العمل التطوعي المدفوع بالإيمان والتفاني الروحي لم تذهب سدى، فقد أخذ عنه «أمير شعراء» ذلك العصر The Poet Laureate، وهو الفيلسوف الفنان «وليام موريس»، تلك الأفكار لينطلق نحو التمييز بين نوعين من العمل على سبيل إصلاح بريطانيا عصر الثورة الصناعية وتخليصها مما ابتليت به من استغلال وإساءة للعمال، وهما: (١) العمل المفيد؛ (٢) الكدح اللامجدي. وبطبيعة الحال، كان موريس يقصد بالأخير، أي الكدح اللامجدي، طبيعة الشغل وحياة الشغيلة في عصر الثورة الصناعية، حيث كان الإنسان يكدح ويعد العمل عبئًا ثقيلًا من أجل أن يعيش، من اليد إلى الفم، كما يقال. هذا النوع من الكدح يقتل الإبداع وحب العمل عند الإنسان بالرغم من أنه شغل يقابل أو يقاس بالـ«أجور». أما مفهوم موريس للعمل الحقيقي والمبدع، فيمكن إختصاره بلفظة «الفن»، أي أن يكون العمل «لذة» للعامل وفائدة للمستهلك. هذه الحال المثالية لم تحدث في تاريخ العالم إلا في القرون الوسطى، بحسب رأي موريس، عندما كان كل منتج «يدوي» يقدمه العامل هو من فضائل هذا النوع اللذيذ من العمل الذي لا يرنو إلى المال فقط، ذاهبًا إلى «أنه لم تزل هناك في العالم صروح ترينا بأن الشغل البشري لم يكن كله ألمًا أو عبئًا على كاهل الإنسان. دعنا نتذكر العمارة الجبارة والجميلة، مثلًا، لأوروبا الوسيطة: الصروح التي ارتفعت إلى الأعالي قبل أن تتوج التجارة صرح الاستبداد».

وكي يوضح موريس نظريته، فإنه رجع إلى التاريخ لاستلال أو لانتقاء نموذجين لنوعين من العمارة، نمطين معماريين يرمزان لنمطين من أنماط العمل. النموذج الأول هو الأهرامات في مصر، إذ ذهب موريس إلى أن الأهرامات هي صروح عظيمة ولكن تفتقر إلى الجمال أو إلى ما اسماه بـ«البنية العضوية» في العمارة. وسبب ذلك، برأي موريس، هو أن الذين أقاموا هذه الأهرامات المهولة لم يكونوا سعداء بعملهم لأنهم كانوا من «أسرى الحروب» الذين سيقوا بالقوة والقسر لبنائها، الأمر الذي حول هذه الصروح إلى «تكويم» مجرد للحجارة، حسب رأيه. لذا لم يكن هذا الجهد عملًا تطوعيًا تخترقه المشاعر والعواطف الإنسانية، الأمر الذي أحاله من «فن» إلى «سخرة»، أي العمل بالقسر مقابل لا شيء.

إن التمييز بين العمل كأداء إنساني زاخر باللذة (الفن) من ناحية، وبين الكدح، كأداء إنساني قسري، يقبع في قلب مناقشة موضوع العمل التطوعي المنطوي على لذة العطاء والتضحية (بلا مقابل مادي أو حتى اعتباري أحيانًا). لقد أرست الشرائع السماوية والفلسفات الروحية القديمة أسس هذا النوع من العمل الفضيل، الأمر الذي تمخض عن قصص عظيمة لأناس عملوا بلذة خدمة الآخرين أو بلذة الشعور بخدمة الإنسان لأخيه الإنسان. بيد أن الذي حدث في التاريخ الحديث يتمثل في ليّ مفهوم العمل التطوعي لأهداف أنانية أو سياسية لا تمت للذة العطاء المجردة بأية صلة.

للمرء أن يلاحظ هذا وهو يأسى لما حدث في العصر الحديث، عصر المكنة والمادة الوحيد الجانب، من عمليات امتطاء المفاهيم والمبادئ المثالية على نحو تعسفي يؤول، في نهاية المطاف، إلى الإساءة واللاعدالة، حيث أدى هذا إلى تحويل العالم إلى عالم يعاني القبح، عالم تخترقه الاحتجاجات والتبرم الجماعي من الاستغلال باسم التطوع والتبرع. لقد تم تسليع الإنسان وقياسه بعدد طرقات المطرقة التي يمكن أن



يقوم بها خلال عدد معين من الساعات. لذا راح الإنسان الحديث «يوزن» كما توزن المواد الداخلة في الصناعة، دون الاكتراث بآدميته، كما راح يسخر في خضم أنواع الكدح تحت شعارات إنسانية مبهرجة وبراقة، تعلن شيئًا وتخفي شيئًا آخر. وقد عانت المجتمعات الحديثة في القرنين الماضيين من هذا «الاستغلال» أو الاستثمار الأناني للطاقات البشرية تحت شعارات التطوع ومحبة الآخرين أو الوطن أو المبدأ.

وإذا كان المرء ينسى فإنه لا يمكن أن ينسى كيف كانت تصلنا المجلات الدعائية لدول عديدة تظهر آلافًا من البشر وهم يعملون ليل نهار، بلا مقابل، ولكن صورهم تدل على أنهم كانوا سعداء عبر الابتسامات المصطنعة والضحكات المزيفة. هذا ما كان يجري في ألمانيا النازية أو في دول الكتلة الشيوعية، على سبيل المثال، حيث كان يساق النشء والشبيبة تحت عناوين التضحية والعمل التطوعي في معسكرات عمل دؤوبة من أجل إنتاج المزيد من الأسلحة والأعتدة التي أحرقت أوروبا لسنين.

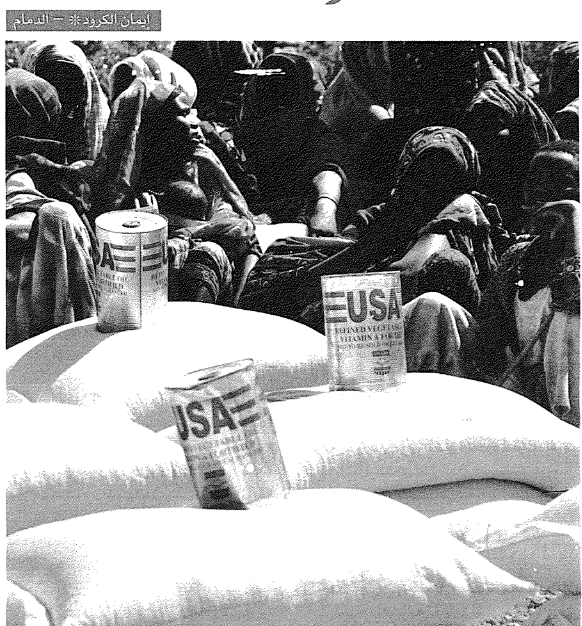
ولم تنجُ حتى دول العالم الثالث من هذا النوع القسري من العمل «اللاخلاق» الذي يعتمد على السخرة باسم الوطنية والخدمة العامة: فكانت خرافات من نوع «العمل الشعبي» و«الجيش الشعبي» الذي شمل العديد من جماهير الشعوب المظلومة تحت عناوين شعارات "ثورية" من نوع: «عليك أن تكون أول من يضحي وآخر من يستفيد». وهكذا وقعت العديد من الشعوب تحت طائلة تأبط المبادئ الإنسانية الفاضلة من أجل تحقيق أهداف سياسية وحيدة الجانب. لن يبالغ المرء إذا ما لاحظ انتشار هذا النوع من الامتطاء التعسفي لفكرة التطوع ونكران الذات عبر العديد من الحركات السياسية والجمعيات الاجتماعية التي لم تكن تهدف لغير إفادة القائمين عليها أو لتكريس سياساتهم ونظرياتهم، بغض النظر عن طبيعة العمل، أو عن التمييز فيما بينه وبين السخرة. لقد سيقت شعوب بكاملها تحت مثل هذه العناوين من أجل خدمة تاريخ «البلاط والمعسكر» بدلاً عن خدمة تاريخ الشعوب، تاريخ ملايين العمال والفنانين المجهولين الذين بنوا حضارة الإنسان من سومر وبابل حتى الآن، دون أن يتركوا أسماءهم لنا في كتب التاريخ: وإلاّ كيف بنيت عجائب الدنيا السبع، ومن الذي يحتفظ اليوم باسم واحد من أسماء هؤلاء الذين أقاموا الحدائق المعلقة في بابل، تلك الأعجوبة العظيمة التي لم تبن إلاّ من أجل ألا تشعر زوجة الملك الكلدي البابلي نبوخذ نصر بالاغتراب لأنها قد استُقدمت لهذه الزيجة من مناطق جبلية!

وعودة إلى مفاهيم أذهان عبقرية من نوع رسكن وموريس، فإن علينا ألا نخطئ في التمييز بين العمل التطوعي الحق الذي لا يرنو لسوى خدمة الآخرين، وبين العمل القسري، أو السخرة، الذي يريد استغلال قوة العمل الجماعي من أجل خدمة دوافع وإرهاصات ذاتية أو سياسية وحيدة الجانب. إنها لمن أجمل الظواهر أن يتطوع الطلبة والمعلمون في مدرسة أو كلية لزراعة حدائق بيوت العلم دون توقع مقابل، كما أنها من أبشع الظواهر أن يساق هؤلاء لخدمة فرد أو جماعة تتظلل بالشعارات الإنسانية المعلنة وتضمر استغلال الآخرين في دواخلها.■

الآثار المدمرة للمساعدات الأجنبية والمنظمات الخيرية العالمية

# الجميع يستفيد ماعدا الفقراء !!

إيمان الكرود* – الدمام




* كاتبة سعودية.

**منذ أكثر من نصف قرن والمساعدات الدولية تنهمر على إفريقيا ومنظمات الإغاثة تنتشر في أرجائها ومع ذلك مازالت إفريقيا غارقة في مستنقع الفقر. والغريب أن إفريقيا ما قبل هذه المساعدات أغنى وأحسن حالاً من إفريقيا اليوم. بل تكاد تكون هناك زيادة مطردة بين المساعدات الدولية والفقر. فكلما زادت نسبة هذه المساعدات زادت نسبة الفقر في إفريقيا. فهذه المساعدات التي كانت تتراوح سنويًا بين خمسين وستين مليار دولار وصلت في عام ٢٠٠٥ إلى ١٠٠ مليار دولار. ومع ذلك فإفريقيا اليوم تسجل أعلى نسبة وفيات بين المواليد وأقل مستوى دخل للأفراد وهي اليوم أكثر القارات تخلفًا في التعليم والصحة وجميع القطاعات الحيوية. فأين يا ترى ذهبت هذه المساعدات؟**

فالمساعدات التي تضخها أمريكا ودول العالم الغربي لإفريقيا ودول العالم الثالث ضخمة جدًا لدرجة أن المرء لا يملك إلا أن يتساءل هل الغرب حنون لهذه الدرجة؟ ولكن بعد برهة من تقليب الأمور يدرك المرء جيدًا أن الجميع يستفيد من هذه المساعدات ما عدا الفقراء.

فالشيء المؤكد أنه إذا كان ظاهر هذه المساعدات الرحمة فإن باطنها العذاب، وهذا ما تؤكده أيضًا الكثير من الأصوات التي تندد بهذه المساعدات وتتهمها بأنها لا تفيد قارة إفريقيا على الإطلاق بل هي في الواقع تضرها أيما ضرر.

فاليوم تظهر العديد من الكتب التي تتحدث عن هذه المساعدات وكلها تندرج تحت باب «وشهد شاهد من أهلها» إذ كتبها عدد من المنصفين من الغرب، بعضهم كانوا عمال إغاثة عملوا في منظمات الإغاثة الدولية ولكنهم اكتشفوا أنهم كانوا يجرون وراء سراب زائف حيث شاهدوا عيانًا الممارسات العبثية التي تمارسها هذه المنظمات. فالصورة الحقيقية لهذه المنظمات تختلف على الإطلاق عن تلك الصورة الملائكية التي تبثها لنا كاميرات وسائل الإعلام. إذ كثيرًا ما نشاهد عمال الإغاثة وهم متجمهرون حول عدد من الأطفال الذين هم قاب قوسين من الموت أو أدنى يحاولون جهدهم إنقاذ هؤلاء الضحايا. ولكن القليلين يدركون أن هؤلاء المنقذين هم أنفسهم من تسبب بهلاك الكثير من الأبرياء في قارة إفريقيا، وأن أكثر هؤلاء الأطفال أصيبوا بالمرض داخل المخيمات التي أقامتها تلك المنظمات وهنا تكمن المفارقة. الكثيرون ممن شاهدوا ما وراء هذه الصور خرجوا عن صمتهم ليرووا الحقيقة التي تدلسها لنا وسائل الإعلام. لدرجة أن البعض طالب بوقف هذه المساعدات التي لم تورث إفريقيا إلا الخراب إذ جعلت منها قارة عاجزة معوقة. بل إن منظمة أكشن وايد قالت إن هذه المساعدات ليست إلا نوع من السراب إذ قالت المنظمة إن المتبع لتوزيع المعونات والمساعدات المقدمة من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة يجد أنها نوع من مساعدات السراب لأن النسبة الكبرى من هذه المساعدات تعود بشكل غير مباشر للدول المتبرعة، ولا تسهم بفعالية في معالجة أزمات الدول الفقيرة والأكثر فقرًا، وذكر التقرير المنسوب إلى جماعة أكشن وايد أيضًا أن نسبة كبيرة من الأموال

التي تقدم على شكل معونات إنسانية ومساعدات تنموية تعود للدول المتبرعة من خلال الاتفاقيات التي تربط بين دفع المعونات وبيع سلع وخدمات من الجهات المتبرعة. وقال التقرير أيضًا إنه على سبيل المثال فقط عشر سنتات من كل دولار تدفعه واشنطن كمساعدات تشكل معونة حقيقية من الجانب الأمريكي فيما ينفق باقي المبلغ في إطار عقود جلب المنتجات الأمريكية والمستشارين والفنيين الأمريكيين.

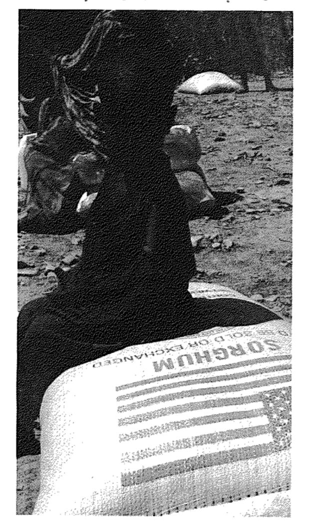
### الاستعمار الجديد

إذا كان لا يوجد أجمل من عمل الخير فإنه كذلك لا أخطر منه والله سبحانه وتعالى إذ يحثنا على عمل الخير وبذل الصدقات قيد الصدقة في كثير من المواقع بأن تكون خالصة لوجهه الكريم وألا يتبعها منّ ولا أذى بل قال سبحانه في آية كريمة مادحًا المؤمنين: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا). كل ذلك يعني أن عمل الخير قد يكون في كثير من الأحيان ليس أكثر من غطاء تتحرك خلفه الكثير من الأهداف وتتصارع وراءه الكثير من النوايا وهذا بالضبط ما تقصده الكثير من الدول المانحة للمساعدات. بل لقد كانت هذه المساعدات جزءًا من لعبة دولية أيام الحرب الباردة حيث كان كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة يسعيان لضم أكبر عدد ممكن من الدول تحت لواءيهما.

ولا أصدق من المثل القائل «أطعم الفم تستحي العين» في وصف الحال مع هذه المساعدات. إذ إن كثيرًا من هذه الدول تهدف وقبل كل شيء إلى فرض سيطرتها على بلاد إفريقيا الغنية بخيراتها وغيرها من دول العالم الثالث. وهو ما جعل البعض يسمي هذه المساعدات وما تجره معها من جيوش منظمات الإغاثة بالاستعمار الجديد. وقد يكون هذا الوصف هو الأقرب إلى الحقيقة لاسيما إذا عرفنا كيف صيرت هذه المساعدات من إفريقيا قارة خاضعة مستعبدة.

وهذا ما يقصده الكاتب الزيمباوي إيفانز مونيميشا في مقاله المعنون «المساعدات الدولية» عندما قال عن تلك المساعدات: «سمها ما شئت. ولكنني سأسميها باسمها الحقيقي: الاستعمار الجديد» وفي كتابه The Road To Hell «الطريق إلى الجحيم: الآثار المدمرة للمساعدات الأجنبية والمنظمات الخيرية العالمية» يصف مايكل مارين وهو الذي عمل مع عدد من منظمات الإغاثة ما يحدث بالاستعمار فيقول في فقرة من كتابه: «في إفريقيا، الناس الذين من المفترض أن يستفيدوا من المساعدات يرون ما يحدث. فهم يسمعون الأجانب يتحدثون عن التطوير، ولكنهم يعرفون أن التطوير هو سياسة استعمارية. التطوير هو سياسة الاستعباد. عندما وصل المستعمرون إلى الساحل لم يقولوا «نحن هنا لنسرق أرضكم ونأخذ مواردكم ونستخدم شعبكم لتنظيف حماماتنا وحراسة منازلنا الكبيرة». بل قالوا: «نحن هنا لنساعدكم.» ثم سرقوا أرضهم ومواردهم واستأجروا شعبهم لتنظيف حماماتهم. والآن جاء عمال الإغاثة الذين يقيمون في منازل استعمارية كبيرة ويقودون سيارات ضخمة بينما يصرون طوال الوقت على أنهم جاؤوا للمساعدة».

وهكذا إذا كانت الكثير من دول إفريقيا نالت



استقلالها في الستينيات حيث تصورت أنها تخلصت من نير العبودية التي خضعت أثناءه للمستعمر الأوروبي ردحًا من الزمن فإن هذا المستعمر عاد من جديد ولكنه يحمل معه نوعًا جديدًا من الأغلال اسمه المساعدات الدولية.

**منظمات الإغاثة... الصورة من قريب**

منذ فترة ظهر الدكتور رمضان بشار دوست، وزير التخطيط في حكومة قرضاي في أفغانستان على شاشات التلفاز محذرًا العالم من مرض جديد انتشر في الدول المضطربة. هذا المرض هو NGO-ism أي «مرض منظمات الإغاثة». فيقول: «أتمنى أن أرى منظمة إغاثة واحدة أنفقت ٨٠٪ من نقودها لصالح الشعب الأفغاني و٢٠٪ لصالحها». ويتابع الدكتور دوست اتهامه لهذه المنظمات فيقول: «إن منظمات الإغاثة الدولية تحصل على مبالغ ضخمة من شعوبها عن طريق عرض صور ومقاطع فيديو حساسة للأفغان. ولكنهم ينفقون كل النقود على أنفسهم ونحن غير قادرين على أن نكتشف كم هو المال الذي استلموه كإعانات خيرية».

و الدكتور دوست ليس إلا واحدًا من العديدين الذين شككوا في الدور الحقيقي الذي تقوم به هذه المنظمات.

فمنذ عقود ونحن نرى منظمات الإغاثة الدولية توجد بكثرة في أماكن الكوارث والاضطرابات والمجاعات ولكن مع ذلك لم يبد أنها قد أسهمت بالفعل في حل أي من المشكلات التي تزعم أنها تتصدى لها حتى إن الكاتب الزيمباوي إيفانز مونيميشا قال في مقال له «إذا كانت هذه المنظمات تقوم بعمل جيد في الترويج للتنمية بين الفقراء إذن فمن المفترض أن يكونوا قد انتهوا من عملهم الآن». فما هو الوجه الحقيقي لهذه المنظمات؟

ما لايعرفه الكثيرون أن أغلب منظمات الإغاثة التي تنتشر كما النمل في كثير من دول العالم الثالث هي في الواقع منظمات ربحية تجارية لا هم لها سوى الحصول على عقود ضخمة من حكوماتها وجمع التبرعات من مواطنيها وضمان بقائها. وهي تستغل أوقات المجاعات لنهب المزيد من الأموال من حكوماتها. فمن المعروف أن الحكومات الأجنبية

> الشيء المؤكد انه اذا كان ظاهر هذه المساعدات الرحمة فان باطنها العذاب. وهذا ما تؤكده ايضًا الكثير من الاصوات التي تندد بهذه المساعدات وتتهمها بانها لا تفيد قارة إفريقيا على الإطلاق بل هي في الواقع تضرها أيما ضرر

تدفع لهذه المنظمات الأموال الطائلة في مقابل تولي مهمة توزيع فائضها من الأطعمة. وهذه المنظمات تنفق أغلب هذه الأموال والتي قد تصل أحيانًا إلى ٨٠٪ منها على رواتب موظفيها ومكاتبهم الفخمة وسيارات اللاند كروزر التي يقودنها والحراس الذين يتولون حراستهم، وجزء بسيط جدًا من هذه الإعانات لا يتجاوز ٢٠٪ يصرف على مشاريع التنمية التي هي في الواقع مشاريع ارتجالية عشوائية. ويقول مايكل مارين في جزء من كتابه الطريق إلى الجحيم إنه اكتشف أن «توزيع المساعدات ليست إلا تجارة خاصة كبيرة تعتمد على عقود الحكومة». فالحكومة الأمريكية تدفع لهذه المنظمات حتى توزع الطعام الفائض الذي ينتجه المزارعون الأمريكيون الممولون من قبل الحكومة. وكلما وزعت هذه المنظمات طعامًا أكثر كلما حصلت على مال أكثر. وكم كانت صدمة مايكل مارين كبيرة عندما قالت له إحدى المسؤولات في المنظمة الاغاثية التي كان يعمل بها متحدثة عن إحدى المجاعات المتوقعة في إحدى المناطق: «لابد أن نستغل هذه المجاعة حتى نوسع من برنامجنا المعتاد». فيقول: «بالنسبة لها، ولمنظمتها، كانت المجاعة فرصة للتوسع. أيًا كانت النوايا الأصلية، أصبحت برامج المساعدة غاية في حد ذاتها. فالناس الجوعى أصبحوا زبائن مهمين يصطادون بنفس الطريقة التي تبحث فيها شركات زراعة الشعر عن زبائنها الصلعان».

وهل أسوأ من أن تستغل هذه المنظمات صور الأطفال الجوعى من أجل استدرار مشاعر الناس ومعها أموالهم ثم بعد ذلك هي لا تنفق من هذه النقود على هؤلاء الأطفال قرشًا واحدًا، لدرجة أن أحد العارفين ببواطن الأمور أطلق على هذه الصور مسمى «بورنو الجوع». وتتعرض اليوم إحدى هذه المنظمات وهي منظمة أنقذوا الأطفال Save the Children لهجوم عنيف بعد أن اتضح أن ما تروجه في إعلاناتها ليس إلا كذبًا محضًا. ففي إعلاناتها التي يبثها التلفاز تظهر صور لأطفال في حالة مزرية ينظرون إلى الكاميرا في استجداء ثم بعد ذلك يتحدث صوت رقيق يخبرك بأنك فقط بتبرعك بعشرين دولارًا شهريًا سوف تنقذ هؤلاء الأطفال وترسم لهم مستقبلاً جديدًا. ثم تعرض صور لأطفال يلعبون في سعادة. ثم يعود الصوت ليطلب منك أن ترفع سماعة الهاتف الآن وتتبرع بالمبلغ. وهكذا يهب الناس للتبرع ليناموا بعد ذلك قريري العين بعد أن ضمنوا أنهم الآن قد أنقذوا حياة أحد هؤلاء الأطفال. ولكن الحقيقة التي انكشفت هي أنه لا يصل لهؤلاء الأطفال أي قرش و٨٠٪ من هذا المبلغ الذي تبرع به المتبرع يذهب لسداد النفقات المكتبية وأجور المصورين ورواتب الموظفين أما ما يتبقى منه فهو يذهب لمشاريع تنموية تشرف عليها هذه المنظمة وأغلبها مشاريع فاشلة.

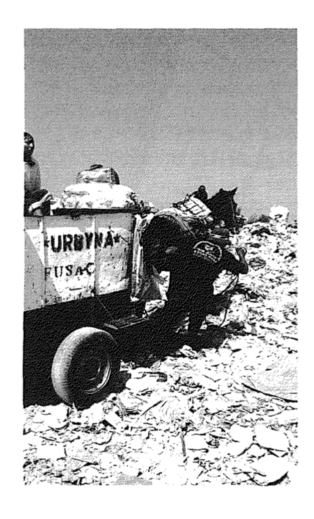
أما العاملون في هذه المنظمات فليسوا بالصورة الملائكية التي ترسمها لهم وسائل الإعلام فالكثير منهم يأتون لأسباب عديدة آخرها مساعدة الفقراء. ولا يغيب عن القارئ كم هو الغرب مبهور بالسفر واكتشاف الآخر. وهكذا يأتي الكثير من هؤلاء الشباب وهدفهم الأساسي هو قضاء فترة قصيرة من الزمن قد لا تتجاوز أحيانًا عدة أسابيع يهدفون من ورائها إلى التجوال في هذه القارة الغامضة واكتساب الخبرات التي تفيدهم لاحقًا في سوق العمل وطبعًا كل ذلك على حساب أهل إفريقيا. حيث توفر لهم منظمات الإغاثة فرصة التجول في الطبيعة البكر بالمجان. فاليوم في أمريكا ودول العالم الغربي ينتشر ما يسمى بإجازات التطوع تشرف عليها منظمات توفر للمسافرين فرصة السفر غير المكلف شريطة التطوع في إحدى مشاريعها كالتدريس أو التمريض أو حتى الإشراف على أحد المشاريع التي تنفذها هذه المنظمات. بل لقد تسربت لوسائل الإعلام كثير من القصص التي تثبت تورط هؤلاء العمال في قضايا أخلاقية من اهمها ما سمي بالجنس مقابل الغذاء حيث نشر موقع BBC في مايو عام ٢٠٠٦ نقلاً عن منظمة «احموا الأطفال» أن الفتيات الصغيرات في ليبريا مازلن يتعرضن للاستغلال الجنسي من قبل بعض العاملين في منظمات الإغاثة الدولية وقوات حفظ السلام بالرغم من تعهدات الأمم المتحدة بالوقوف أمام هذا الاستغلال. ووفقًا لتقرير المنظمة فإن فتيات لا تتعدى أعمارهن الثامنة يجبرن على ممارسة الجنس في مقابل الطعام وذلك من قبل بعض العاملين في الوكالات المحلية والدولية.

**وكل حديث عن فقر هذه القارة والمجاعات التي تعانيها أكثره مبالغات إعلامية تستفيد منها الدول الغربية ومنظمات الإغاثة والحكومات الفاسدة. فبينما تنقل لنا الكاميرات صورًا لأطفال منتفخي البطون دامعي العيون، يعيش الناس على بعد أميال عدة حياة عادية**

### جعجعة بلا طحن

وحتى تجد هذه المنظمات سببًا لبقائها وحتى تضمن استمرار تدفق أموال الإعانات في جيوبها فإنها تروج لمشروعات تنموية في البلدان الفقيرة هي في الواقع لا تتعدى كونها مشاريع على الورق. إذ يغلب على هذه المشروعات العشوائية والارتجالية ورداءة التنفيذ والكثير منها يتوقف قبل أن يكتمل ولا عجب في ذلك إذا عرفنا أن من يشرف على هذه المشاريع هم في الغالب شباب صغار السن قليلو الخبرة وأحيانًا عديموها.

ومثال على هذه المشاريع الفاشلة ذاك المشروع




الذي كان المقرر أن تنفذه هذه المساعدات في مالي في عام ١٩٧٦ وذلك لرفع معدل إنتاج الغذاء والتسويق. ودفعت هذه المساعدات عشرة ملايين في هذا المشروع الذي كان من المفترض أن يشتمل على بحث تطبيقي ومعدات وأسمدة للمزارعين وطرقات أفضل وتسويق للحبوب أفضل. ولكن كل شيء فشل ومع ذلك فقد استمرت المساعدات الدولية في تمويل هذا البرنامج حتى بعد أن اتضح لها فشله. فقد دفعت المساعدات لبناء ١٨ مستودعًا ولكن لم يتم بناء خمسة من هذه المستودعات وثلاثة لم تكتمل وثلاثة انهارت واثنان انفصل سقفهما وثلاثة انهارت بسرعة بسبب عيوب خطيرة في البناء. وكان من المفترض تعقيم أربعة وخمسين بئرًا ملوثة ولكن لم يعقم إلا تسعة. كما كان من المفترض بناء مئة طاحونة لطحن الحبوب إلا أن مديري المشروع قاموا ببناء وتجربة طاحونة واحدة ثم تخلوا عن الفكرة. أما مشروع تطوير الطرق فقد أصلح أقل من ربع الطرق المفترض إصلاحها.

الكاتب مايكل مارين تحدث في كتابه عن أحد عمال الإغاثة الذي أوكلت إليه مهة الإشراف على أحد مشاريع الري الذي تشرف عليه إحدى منظمات الإغاثة ففوجئ بأنه لا يوجد ماء في القنوات التي حفرها العمال وعندما استفسر عن السبب أخبره المسؤول الإفريقي بأنه لم يوجد ماء أبدًا وعندما أكد له أنه شاهد ماء يجري في هذه القنوات في الصور التي تحتفظ بها المنظمة حيث يقف على ضفاف القنوات مزارعون أفارقة سعداء أخبره المسؤول الإفريقي بأن مديري المشروع أحضروا مضخات وضخوا ماء في هذه القنوات من أجل الصور.

### مكب النفايات

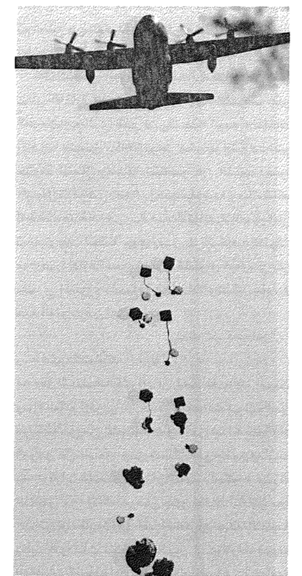
ما لا يعلمه الكثيرون أن أحد أهداف أمريكا ودول العالم الغربي من هذه المساعدات هو التخلص من الفائض من الأطعمة. فمن المعروف أنه كلما زاد العرض قل السعر. وهو ما كان المزارعون يعانونه في الولايات المتحدة قبل أن تتعهد الحكومة بشراء الفائض من الأطعمة حتى يكون هناك توازن بين العرض والطلب. ولما أصبح تخزين هذه الأطعمة يكلف الولايات المتحدة ملايين الدولارات قررت الولايات المتحدة أن تصدر الفائض من طعامها إلى الدول الفقيرة ولما لم تكن هذه الدول تملك من المال ما تدفعه لشراء هذه الأطعمة قررت أمريكا أن تصدر لهم هذه الأطعمة تحت مسمى المساعدات الدولية. وهكذا استطاعت الولايات المتحدة أن تنقذ مواطنيها بينما تسببت في إعاقة الدول الفقيرة. فما تدفعه أمريكا بالشمال تأخذه باليمين من هذه الدول الفقيرة. ومن المعروف أن الجميع يستفيد من هذه المساعدات من المزارعين الأمريكيين وتجار الحبوب وسفن الشحن الأمريكية حيث ينص القانون أن تكون ٨٠٪ من الشاحنات التي تنقل هذه المواد أمريكية رغم أن هذا يعني أن الدولة ستدفع من أربع إلى خمس مرات ضعف السعر الذي ستدفعه لو نقلت هذه الأطعمة على متن سفن أجنبية. وآخر من يستفيد من هذه المساعدات هم الفقراء. وقد أضرت هذه الأطعمة التي تلقيها الدول الغنية بالدول الفقيرة أيما ضرر. فإذا كانت أمريكا مثلًا استطاعت أن تنقذ مزارعيها بأن خلصتهم من الأطعمة الفائضة بحيث أضحى هناك توازن بين العرض والطلب فقد فعلت

العكس مع مزارعي الدول الفقيرة التي أدت هذه الأطعمة إلى نزول أسعار مزروعاتهم إلى الحضيض وجعلتهم يتكبدون خسائر فادحة حتى لم يعد هناك دافع للزراعة. بل أصبحت الكثير من تلك الدول التي كانت تتمتع في السابق بالاكتفاء الذاتي في الزراعة وعدد آخر من الصناعات تعتمد بشكل كبير على هذه المساعدات.

و ما يزيد الأمر سوءًا أن كثيرًا من هذه الأغذية فاسدة لا تصلح للاستهلاك البشري ولا حتى الحيواني. فيقول جراهام هانكوك في كتابه (سادة الفقر): «إن الغذاء المقدم من المجموعة الأوروبية كهدية عادة ما تصحبه كثير من الشكاوى من المنتفعين بناء على قول عضو البرلمان الأوروبي ريتشارد بالف الذي قال: «إنه من غير المقبول بتاتًا أن نقوم بتصدير غذاء لا نأكله نحن أنفسنا» ويضيف جراهام هانكوك في موضع آخر من كتابه: «في أعقاب انتشار الإشعاع الصادر عن حادث تشرنوبيل في روسيا عام ١٩٨٦م تحولت كميات من الأغذية الملوثة التي تعتبر غير قانونية في أوروبا إلى شحنات إغاثة. فقد تم إغلاق مصنع أغذية في البحر الأحمر بعد أن استخدم دقيقًا إيطاليًا من قمح يوناني ملوث بالإشعاع». وينقل الكاتب عن لاري سايمون المسؤول عن أوكسفام قوله: «في أوقات الكارثة تتدحرج إلينا جميع أنواع القاذورات». فقد قامت إحدى المنظمات التطوعية الأمريكية الخاصة-الغذاء للجوعى- بشحن ٩١ طنًا من الأدوية والأغذية المنقذة للحياة إلى كمبوديا أثناء المجاعة الكبرى عام ١٩٧٩-١٩٨٠م فكان الغذاء قديمًا لدرجة أن أصحاب حدائق الحيوان رفضوا إعطاءه لحيواناتهم! كما أن فعالية الأدوية كانت منتهية قبل خمسة عشر عامًا. ولكن قد يكون أكثرها طرافة شحنة الأدوية التي وصلت إلى الصومال وعندما فتحوها اكتشفوا أن ليس فيها سوى أدوية للتنحيف وأخرى لمقاومة قضمات الصقيع!

### تأجيج الحروب

وقد أدت هذه المساعدات دورًا كبيرًا في تأجيج الحروب الأهلية بين أهل البلد الواحد حتى لقد وصفها وزير الاقتصاد والتجارة في سنغافورة بأنها «قوى الدمار». إذ إن أغلب الأطعمة التي تقدم للاجئين تسرق من قبل الميليشيات وتباع في السوق حيث يصرف ثمنها على شراء الأسلحة. فدولة الكونجو مثلاً استخدمت الغذاء الذي يقدمه لها مشروع الغذاء مقابل السلام حيث باعت الطعام المجاني من أجل شراء مصنع صغير لبيع الأسلحة من إيطاليا. أما في أثيوبيا فقد نقلت جريدة نيويورك تايمز أن مسؤولي الإغاثة يعتقدون أن أثيوبيا كانت تبيع الغذاء المتبرع به لشراء أسلحة من روسيا. بل إن أثيوبيا استغلت منظمات الإغاثة لتنفيذ مخططاتها حيث عمدت إلى تجويع جزء من الشعب ثم تركيز الإعانات في جهة ما حتى إذا ما جاء اللاجئون لتلقي هذه الإعانات شحنتهم بشاحنات منظمات الإغاثة نفسها إلى مراكز الاعتقال. كما أن كثيرًا من منظمات الإغاثة تعمل جنبًا لجنب مع الجيوش



الغازية والتي تسمى تمويهًا قوات حفظ السلام حيث يساند كل منهما الآخر، فوجود قوات حفظ السلام معها يعني المزيد من التسليط الإعلامي وهو ما يعني المزيد من الأموال التي تتدفق على هذه المنظمات كما أن وجود هذه المنظمات هو أكبر مبرر لدخول تلك الجيوش تحت ستار حماية هذه المنظمات.

### الاتكالية

كما أن هذه المساعدات خلقت روح الاتكالية في نفوس اللاجئين الذين لم يعودوا مضطرين للبحث عن العمل مادام الطعام يوفر لهم بالمجان وبكثرة، بل إن كثيرًا من هؤلاء اللاجئين يبيع الفائض من هذه الأطعمة في السوق حيث كون ثروة ومع ذلك مايزالون يعيشون في هذه المخيمات، وهذا ما ولد الحقد في نفوس أهالي البلد من غير اللاجئين الذين أضحوا يرون أن كثيرًا من هؤلاء اللاجئين أصبحوا يحظون من الرفاهية ما لا يحصل عليه أهل البلد الذين يكدحون ليل نهار ومع ذلك لا يحصلون على ما يحصله هؤلاء اللاجئين. بل أصبح الكثيرون يحرصون على أن يبقوا جزءًا من عائلتهم أو أحد أفرادها في هذه المخيمات حتى يحصلوا على نصيب من هذه الخيرات. أحد القسيسين في تنزانيا نقل أن السكان في إحدى المناطق من الممكن أن يزرعوا كل الطعام الذي يريدونه، ولكنهم اختاروا ألا يزرعوا كل ما يحتاجون إليه بسبب توفر الطعام الأمريكي المجاني.

### تشجيع النخبة الفاسدة

المؤلم في الموضوع أن المستفيد الفعلي من هذه المساعدات هي حكومات البلاد الديكتاتورية التي أثرى أفرادها أيما ثراء من وراء هذه المساعدات. إذ أن قسمًا كبيرًا من هذه المساعدات يصب في جيوب النخب السياسية الفاسدة. فرئيس زائير مثلاً راكم ثروة شخصية تعد ببلايين الدولارات وبنى أحد عشر قصرًا رئاسيًا. بينما يعيش العديد من شعب إفريقيا من دون أن يحصلوا على قرش واحد من هذه المساعدات. وهذا ما يجعل حكومة مثل حكومة الصومال تصر على أن عدد اللاجئين يصل إلى مليون ونصف لاجئ بينما العدد الفعلي هو أدنى من ذلك بكثير حتى يقدره البعض بأنه لا يزيد عن ٤٠٠,٠٠٠ لاجئ وذلك حتى تحصل على أعلى نسبة من المساعدات. ولكن هل الحكومات الغربية بهذه السذاجة بحيث لا تعلم هذه الحقيقة؟ يقول الكاتب الأمريكي جيمس بوفارد في مقال تحت عنوان «الفشل المستمر للمساعدات الأجنبية» «لا يهم كم هي غير مسؤولة أو فاسدة أو ظالمة حكومة إحدى دول العالم الثالث. هناك دائمًا إحدى الحكومات الغربية أو إحدى المنظمات الغربية التي تتحرق لتزويدها بالمزيد من ملايين الدولارات، عن طريق تمويل اللامسؤولية السياسية والسياسات الفاسدة التي تسيء إلى المساعدات الأجنبية لفقراء العالم».

### أهل مكة أدرى بشعابها

عقود من تصوير إفريقيا بالقارة الفقيرة التي لا تستطيع أن تعيش لحظة واحدة دون مساعدة الدول الكبرى أفقدت الإفريقيين ذاتهم الثقة في أنفسهم وجعلت العالم كله ينظر إلى إفريقيا التي هي في الواقع منبع للخيرات كقارة مسكينة مغلوبة على أمرها بينما الحقيقة ليست كذلك. وكل حديث عن فقر هذه القارة والمجاعات التي تعانيها أكثره مبالغات إعلامية تستفيد منها الدول الغربية ومنظمات الإغاثة والحكومات الفاسدة. فبينما تنقل لنا الكاميرات صورًا لأطفال منتفخي البطون دامعي العيون، يعيش الناس على بعد أميال عدة حياة عادية.

ولكن تظل هناك ثلاثة أشياء مؤكدة. أولها أن الفقر الذي تعانيه إفريقيا ليس بسبب فقرها في الموارد ولكن بسبب السياسات الدكتاتورية التي تحكمها. ثانيها أنه أيًا كان هدف هذه المساعدات الدولية فمن الواضح جدًا أنها لم تورث إفريقيا إلا الدمار. وثالثها أنه مهما تعددت أهداف هذه المنظمات سواء كانت استخبارية أو ربحية أو تنصيرية فإنها في النهاية هدفها واحد هو أرض إفريقيا الثرية. وكما يقول المطران ديزموند توتو:

عندما جاء المنصرون إلى إفريقيا
كان عندهم الإنجيل وكان عندنا الأرض
قالوا «فلنصلي»
أغلقنا أعيننا
عندما فتحناها
كان عندنا الإنجيل وكانت عندهم الأرض ■

تبادليّة إن بدأت.. دامت

# تربية التطوّع و..التطوّع للتربية

محمد فالح الجهني* - المدينة المنورة

* قسم التربية- كلية المعلمين بالمدينة المنورة

**من أكثر مميزات النظم التربوية وضوحًا، أنها نظم اجتماعية مفتوحة، تأخذ من المجتمع لتعطيه، والمجتمع في نفس الوقت يأخذ من نظم التربية ليعطيها، في تبادلية مستمرة يفترض أن تدوم ولا تنتهي. وعندما تتعهد المنظومة التربوية قيمة خلقية وسلوكا مرغوبًا كالعمل التطوعي، ببرامج تربوية مجوّدة في سياق ما سنسميه «تربية التطوّع»، فإنه من المتوقع أن يحظى المجتمع بمتطوعين يقدمون الكثير من الجهد والمال والوقت، لمساندة ... المجتمع المختلفة، وأولها نظام التربية نفسه، وهو ما يمكن تسميته «... بية».**

... ط العمل التطوعي بالعديد من القيم والمعاني الإنسانية الرفيعة التي تسعى نظم التربية السليمة إلى تكوينها، كحب الخير، والتفاني في خدمة الآخرين بلا مقابل، والتعاون، والمحبة، والتآلف، والتفاهم، والتعايش، والتكافل الاجتماعي. والعمل التطوعي ممارسة تربوية بحد ذاته، لما يحققه من أهداف يمكن النظر إليها على أنها أهداف تربوية خالصة؛ كتنمية الحس الديني المبتغي للأجر والثواب وطلب الرحمة والمغفرة على الدوام، والتعبير العملي عن حب الآخرين بنفعهم ومساعدتهم وحل مشكلاتهم، وتكوين علاقات اجتماعية رفيعة بين أفراد المجتمع، والمساهمة في حل المشكلات الاجتماعية، خصوصًا في أوقات الأزمات، علاوة على اكتساب الممارس للعمل التطوعي مهارات عملية وحياتية جديدة ومتنوعة وتنمية وصقل قدرات واستعدادات أخرى يتمتع بها الفرد ابتداء. والعمل التطوعي من جهة مقابلة، يشعر من يتلقى ثمراته من المحتاجين بالطمأنينة وأن له إخوة يشعرون بما يشعر ويحرصون على تلمس احتياجاته وتلبيتها بلا مقابل سوى الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على المجتمع من النواحي النفسية والأمنية والأخلاقية والاقتصادية وغيرها.

من المؤكد بداهة أن العنصر البشري هو مناط العمل التطوعي بكافة أشكاله، سواء كان تطوعًا بالجهد أم تطوعًا بالمال أم تطوعًا بالوقت. وأكثر الفئات العمرية قابلية وفاعلية في القيام بالعمل التطوعي، لاسيما العمل التطوعي القائم على الجهد البدني، هي فئة الناشئة والشباب. تلك الفئة التي خصصت لها المجتمعات المعاصرة مؤسسات خاصة لنموها وإعدادها لوراثة الحياة ... المؤسسات التربوية والتعليمية.

### التطوع مدنيَة

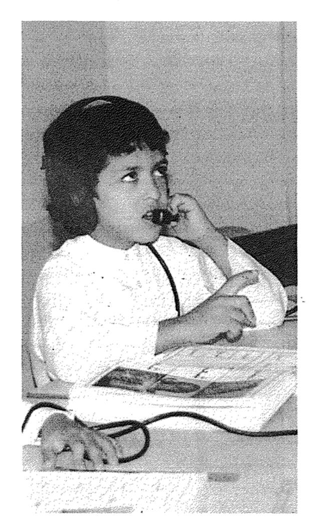
باتت الأعمال التطوعية دليلًا ومعيارًا لما يتمتع به المجتمع المعاصر من مدنية وتقدم ورقي في السلوك الحضاري لأفراده وفي السلوك الاجتماعي ككل. ففي الولايات المتحدة الأمريكية - على سبيل المثال - تشير الإحصاءات إلى أن أكثر من نصف مواطني هذا البلد يقومون بأعمال تطوعية، وذلك بحسب معهد هدسون للازدهار العالمي. ويمكن رد هذه النسبة المرتفعة إلى عدة أسباب، لعل من بينها وجود أكثر من ١٠٠ جامعة ومعهد في الولايات المتحدة تؤدي عملها كمؤسسات تعليمية وتربوية غير ربحية. وعمومًا فالعالم اليوم يتجه إلى تعزيز قيمة العمل التطوعي وضرورته لمجتمع

القرن الحادي والعشرين. ولا أدل على ذلك من اختيار السنة الأولى من هذا القرن (٢٠٠١م) سنة دولية للمتطوعين، وهو ذلك القرار الذي تبنته الأمم المتحدة بناء على توصيات من برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين UNV في أواخر التسعينيات من القرن العشرين الميلادي، وذلك على أساس أن الجهود التطوعية أصبحت مطلوبة في مجتمع القرن الحادي والعشرين لمعالجة الكثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والإنسانية عمومًا. يشار هنا إلى التحوّل العالمي في ممارسة الأعمال التطوعية في السنوات الأخيرة، فقد رصد المراقبون تحولاً في أهداف الأعمال التطوعية التي تمارسها مؤسسات المجتمع المدني اللاربحية في المجتمعات المتمدنة، وهو التحول من أهداف تقوم على مجرد تقديم الخدمة والرعاية الاجتماعية لأفراد معينين من المجتمع، إلى أهداف أكثر اتساعًا وشمولاً تصب كلها في مفهوم تنمية المجتمع.

وبالرغم من أن العمل التطوعي بمفهومه الحديث، كقرين للأعمال المنظّمة ذات الصفة اللاربحية، يبدو أكثر وضوحًا في المجتمعات المادية كالمجتمعات الغربية، إلا أنه أكثر ارتباطًا من الناحية الفلسفية بالمجتمعات التي تنطلق من فكر ديني خالص كالمجتمعات الإسلامية، ذلك لأن الدين الإسلامي يحث على التطوع سواء في جانب العبادات (أعمال الأفراد التعبدية المنصرفة لله وحده)، أو في جانب المعاملات (أعمال الأفراد المنصرفة للآخرين)، بل إنه يجعل من التطوع قناة تتحول خلالها المعاملات إلى عبادات، والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وسلوكيات السلف الصالح في هذا المجال أكثر من أن تحصر. ومع عدم توفر إحصاءات دقيقة، فإن الملاحظة العابرة تشي بتفوق لدى المجتمعات الغربية في ممارسة العمل التطوعي المنظّم والفعال، مقارنة بالمجتمعات الإسلامية التي يتوافر لها الأساس العقدي الداعم لممارسة العمل التطوعي والضامن للمثوبة والأجر عند من لا يضيع أجر المحسنين، الأمر الذي يعني حاجة المسلمين إلى استثمار منظومة القيم الإسلامية الجليلة التي تحث على نفع الآخرين لوجه الله تعالى في تربية أبنائهم على خلق وممارسة العمل التطوعي.ولعل السبيل الأمثل لذلك هو العمل التربوي المتقن.

### التطوع قيمة تربوية

يرتبط التطوّع بالتربية من المدخل السلوكي، فالتطوع في حقيقته الملموسة ليس إلا سلوكًا، وهو سلوك مرغوب ومقر، بل مطلوب. والتربية معنية على الدوام بتعهّد السلوك السليم وتعديل خلافه من السلوكيات، وذلك من خلال إتاحة الفرصة لنمو السلوك المرغوب، والبحث على الدوام عن الدوافع التي تقف خلفه والعمل على تعزيزها من خلال الحوافز التي توفرها الممارسة التربوية المناسبة. إلا أن التطوع يرتبط بالتربية، وبصفة أوسع وأعمق، من الناحية الأصولية الفلسفية، وذلك في مبحث التربية الأصولي المعروف بمبحث



القيم Values.

تجاوزًا للمعالجات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم القيم يكفي أن نشير إلى أن القيم من حيث علاقتها بالتربية عبارة عن «محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة فيها، أو من حيث سوؤها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة معينة ما بين هذين الحدين. وتعمل القيم بوعي أو بدون وعي كجزء من المؤثرات التربوية والاجتماعية في سلوك الإنسان والقرارات التي يتخذها والمنجزات التي ينجزها» (ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، مكة المكرمة: مكتبة هادي، ١٤٠٩هـ).

وبالرجوع إلى العمل التطوعي كسلوك إنساني تحكمه وتوجهه وتحكمه القيم التي تتوخاها التربية، يمكن القول إن العمل التطوعي قيمة روحية دينية تعبدية ندب إليها الإسلام، فقد قال الله تعالى (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ) (البقرة: ١٨٤) وقال سبحانه: (وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ١٥٨). والتطوع قيمة خلقية باعتبار الأخلاق Ethics or Morals نظرية عقلية في الخير والشر، وبهذا فالأخلاق قرينة للقيم على الدوام. والعمل التطوعي قيمة اجتماعية باعتباره من أرقى الممارسات الاجتماعية التي تنعكس خيرًا على المجتمع وتميّز مجتمعًا عن غيره من المجتمعات، والتطوع أيضًا قيمة اجتماعية كونه يصب في عدد من القيم الاجتماعية العمرانية (بالمفهوم الخلدوني) فهو يدعم الاستخلاف في الأرض، وينمي حس المسؤولية الاجتماعية، وعلاوة على هذا فهو يدعم قيمة اجتماعية معتبرة وهي قيمة الحرية، فهو عمل قائم على الحرية والاختيار كونه عملاً يأتي ابتداء من الفرد ولا يفرض عليه.

**من الممكن تعريف تربية التطوع بأنها «مجموعة من البرامج التربوية المجوّدة التي تتيح الفرصة لنمو منظومة من المعارف والمهارات والقيم لدى الناشئ، هادفة إلى ضمان تبرعه بجهده أو ماله أو وقته أو بها معًا لخدمة مجتمعه، ابتداء منه دون أن يكون مطالبًا بذلك»**

### قيم مرتبطة بالتطوع

يمكن القول إن العمل التطوعي يرتبط بـ (العلم) كقيمة توجه الطالب إلى التعرف على حقائق دينه، وأحكام عباداته، ليقوم بواجباته الدينية على بصيرة، وإلى التعرف على حقيقة الكون الذي يعيش فيه، والسنن والقوانين التي تحكمه، وبذلك يكون قادرًا على تسخير ما بثه الله تعالى فيه لإقامة مصالحه، وتحقيق الحياة الكريمة له ولمجتمعه. وبالتطوع كقيمة علمية يتفاعل الطالب بإيجابية ووعي مع الواقع الذي يعيشه، ومع معطيات الحضارة التي تحيط به، وتفد إليه، بعيدًا عن السلبية. كما أن التطوع كممارسة يمثّل قيمة أخرى وهي قيمة (العمل)، فالعمل التطوعي ينمي في الطالب الروح الإيجابية المنتجة، ليقبل على العمل المفيد له ولمجتمعه، والمتوافق مع إمكاناته واستعداداته، وتحصيله العلمي والفني، وبهذه الروح ينهض المجتمع ويتقدم، وتتطور حياته وتزدهر، وتتحقق فيه مطالب الحياة الكريمة والعزيزة للفرد والمجتمع. أيضًا يرتبط العمل التطوعي بقيمة ثالثة وهي قيمة (الرحمة)، فقيمة الرحمة، تورث الطالب رقة القلب، ولين الجانب، وخفض الجناح، وتحمله على مشاركة غيره في آلامه ومسراته، ويمتد أثرها الخير لأبويه وأقاربه، وكل من يتصل به، حتى تشمل ما لا يعقل من الحيوان والطير ليقينه أن «في كل كبد رطبة أجر».

تربية التطوع

يمكن التأكيد أن السلوك الإنساني ذو ثلاثة جوانب، بحسب معطيات المدرسة السلوكية في علم النفس التربوي؛ الجانب المعرفي المرتبط بالمعلومات والمعارف والأفكار والمفاهيم النظرية، والجانب المهاري المرتبط بالممارسة البدنية في الغالب، والجانب القيمي الوجداني المرتبط بالانفعالات والميول والاتجاهات والرغبات والتفضيلات. ومن جهة ثانية تضافرت أدبيات العلوم الاجتماعية على تعريف العمل التطوعي (التطوع Volunteering) بأنه تبرّع الفرد بجهده أو ماله أو وقته أو بها معًا لخدمة مجتمعه، ابتداء منه دون أن يكون مطالبًا بذلك، من خلال قيامه بأنشطة مهنية واجتماعية نافعة، بشرط ألا يتحرّى المتطوع مردودًا ماديًا أو مصلحة شخصية مقابل تقديمه لهذا التبرع.

وما دامت التربية إتاحة فرصة لنمو السلوك الإنساني نموًا إيجابيًا مرغوبًا، والتطوع سلوك إنساني خالص، فإنه من الممكن تعريف تربية التطوع بأنها «مجموعة من البرامج التربوية المجوّدة التي تتيح الفرصة لنمو منظومة من المعارف والمهارات والقيم لدى الناشئ، هادفة إلى ضمان تبرعه بجهده أو ماله أو وقته أو بها معًا لخدمة مجتمعه، ابتداء منه دون أن يكون مطالبًا بذلك، من خلال قيامه بأنشطة مهنية واجتماعية نافعة، بشرط ألا يتحرّى المتطوّع مردودًا ماديًا أو مصلحة شخصية مقابل تقديمه لهذا التبرع».

**يمكن القيام بتربية التطوع من خلال برنامج تربوي على مستوى المدرسة أو مؤسسة التعليم العالي، يتم تقديمه كوحدة مستقلة أو تضمين عناصره عددًا من المقررات التعليمية ذات الصلة**

**برنامج لتربية التطوع**

يمكن القيام بتربية التطوع من خلال برنامج تربوي على مستوى المدرسة أو مؤسسة التعليم العالي، يتم تقديمه كوحدة مستقلة أو تضمين عناصره عددًا من المقررات التعليمية ذات الصلة، بحيث يتيح هذا البرنامج التربوي الفرصة لنمو سلوك التطوع في نواحيه الثلاث المعرفية والمهارية والوجدانية لدى الطلاب. نشير هنا إلى استخدام مفهوم البرنامج التربوي القائم على النشاط Activity Programme تفاديًا لوصفه بالمنهج التربوي Curriculum، أو المقرر الدراسي Course ذلك لأن تربية التطوع لا تحتاج إلى إفراد منهج أو مقرر خاص بها، وذلك لعدة أسباب؛ من أهمها أنه يتم تنفيذ المناهج الدراسية بتقسيمها إلى مقررات، ثم إلى برامج تربوية. كما أن تربية التطوع تنتمي - في تقدير الكاتب - إلى منهج المواد الاجتماعية، وإلى منهج التربية الوطنية، أو منهج علم الاجتماع تحديدًا (لكن مقرر علم الاجتماع لا يقدم لكافة الطلاب). علاوة على أنه من الترف المنهجي إفراد تربية التطوع بمنهج تربوي أو مقرر دراسي مستقل، الأمر الذي يؤدي إلى المطالبات بمنهج أو مقررات مستقلة للتربية البيئية وأخرى للتربية المرورية، وللتربية الجنسية، وللتربية الأمنية... ومع القناعة بأن إعداد البرامج التربوية عملية تحتاج إلى تضافر عدد من الجهود التربوية المتخصصة والقائمة على المنهج العلمي والأساليب الفنية والتقنية الاحترافية، سواء في صياغة الأهداف أو تحديد المقومات أو اختيار الطرق والوسائل المناسبة للتدريس والتقويم، إلا أن الأمر لا يمنع من اقتراح التالي كملامح لبرنامج تربوي يتيح الفرصة لنمو سلوك التطوع لدى الطلاب:

**أهداف برنامج تربية التطوع:**

الأهداف التربوية المقترحة لبرنامج تربية التطوع، فيما يلي، تقوم على التصنيف

الشهير للأهداف التربوية، وهو تصنيف «بلوم» و«كراثوهل» Bloom ،Krathwahl (١٩٥٦) المعروف لدى ممتهني التربية والتعليم كافة. ويتميز هذا التصنيف بقيامه على أساس تسلسل هرمي لبناء القدرات الفردية داخل كل مجال من المجالات الثلاثة التي تمثل مجالات النماء لشخصية الإنسان: وهي المجالات المعرفية والمهارية والوجدانية. كما يتميز هذا التصنيف من ناحية أخرى بتركيزه على وصف السلوك المتوقع من الطالب بعد وأثناء مشاركته في الموقف التربوي، وذلك بعبارات محددة قابلة للقياس والتقويم.

**الأهداف المعرفية لبرنامج تربية التطوع:**

. يكتب الطالب قائمة بأهم خصائص المجتمع وميزاته.

. يحلل أهم مشكلات المجتمع واحتياجاته.

. يصوغ كلمة تعرّف بالعمل التطوعي وتوضح فوائده للفرد والمجتمع.

. يحدّد طرق الممارسة السليمة والفعالة للعمل التطوعي.

. يصنّف مجالات العمل التطوعي والموازنة بينها من حيث الأهمية واحتياجات المجتمع.

. يضع قائمة بمؤسسات العمل التطوعي القائمة في المجتمع المحلي.

. يصف طرق الاتصال بمؤسسات العمل التطوعي القائمة في المجتمع المحلي والانضمام إليها.

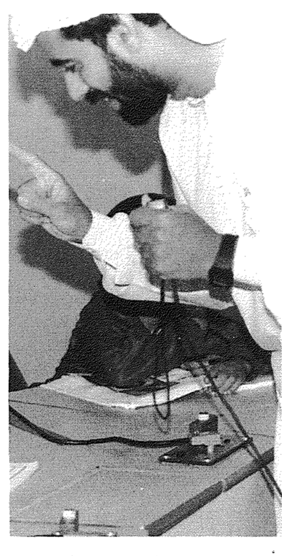
. يسرد قدرًا مناسبًا من الإحصاءات ذات العلاقة بمشكلات المجتمع التي يمكن الإسهام في حلها من خلال العمل التطوعي.

. يتنبأ باحتياجات المجتمع من الاحتياجات النوعية والكمية للعمل التطوعي في المستقبل القريب.

. يضع خطة نظرية لمشروع تطوعي يحتاج إليه المجتمع في المستقبل القريب والبعيد.

. يبتكر نشاطًا جديدًا لخدمة المجتمع من خلال عمل تطوعي جديد.

. يقيّم وينتقد برامج ومؤسسات العمل التطوعي القائمة في المجتمع... وغيرها من الأهداف المعرفية.



**الأهداف المهارية لبرنامج تربية التطوع:**

-يشارك الطالب بفعالية في إدارة عمل تطوعي.

-يضع خطة لنشاط تطوعي ويشارك في تنفيذها.

-ينظم مع زملائه برنامجًا تطوعيًا.

-يرسم خريطة بمواقع ومؤسسات تنفيذ العمل التطوعي في مدينته.

-يستخدم الحاسب الآلي وشبكات المعلومات في تنظيم وإدارة عمل تطوعي.

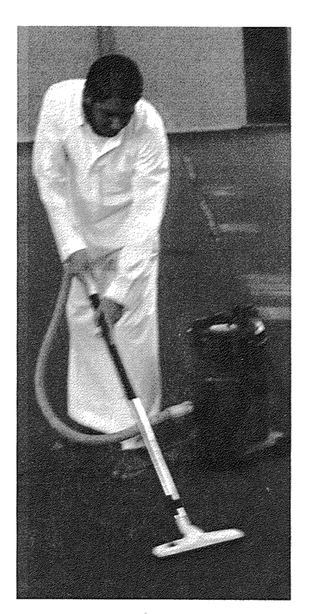
-يلقي كلمة في مسجد أو في احتفال عام تدعم العمل التطوعي.

-يشارك في تقديم برنامج مسرحي أو إذاعي أو تلفزيوني يدعم العمل التطوعي.

-يتعلم لغة الإشارة وغيرها من طرق الاتصال بالمحتاجين للعمل التطوعي.

-يصمم منشورًا يدعم العمل التطوعي.

-يصمم موقعًا على شبكة الإنترنت يدعم العمل



التطوعي... وغيرها من الأهداف المهارية.

**الأهـــداف الـوجـدانـيـة لـبـرنـامـج تـربـيـة التطوّع:**

يحتسب الطالب الأجر والثواب لدى الله سبحانه وتعالى عن قيامه بالعمل التطوعي. يشعر بالانتماء لمجتمعه والمواطنة لبلده. يحب الآخرين ويشعر بمعاناتهم. يبادر دائمًا بأداء الواجب الاجتماعي. ينكر ذاته من أجل الآخرين. يتجنب قيم الفردية في جانبها السلبي. يتخلص من نزعات الشح والبخل وحب الذات. يثق بنفسه وبالآخرين ويتعامل مع الآخرين على أساس الثقة. يكتسب خبرات حياتية جديدة ومتنوعة. يكتشف مواهبه وقدراته واستعداداته. يصقل مواهبه وقدراته واستعداداته باستمرار. يستثمر طاقاته المختلفة في نفع مجتمعه. يتخذ قراراته بأسلوب عملي. يرتّب أولوياته حسب أهميتها. يعبّر عن رأيه وأفكاره وميوله واتجاهاته. يتفاعل ويتواصل بفعالية مع الآخرين. يتحمل مسؤولياته ويقوم بها. يتبادل الخبرات مع الآخرين. يدير وقته بما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع. يستثمر وقت فراغه فيما هو مفيد. يحل المشكلات الاجتماعية بطرق علمية. يتدرّب على ممارسة الحياة العامة. يتحمّس لما هو مفيد ومنسجم مع أهداف المجتمع العليا. يتعوّد المشاركة في إدارة الأزمات الاجتماعية. يعمل من خلال تنظيم اجتماعي شرعي خلال الأزمات. يسهم في برامج الإصلاح الاجتماعي. يعمل على تعديل السلوكيات المنحرفة. يعالج العزوف الاجتماعي عن الخدمة التطوعية. يسهم في انسجام الجهد غير الرسمي مع الجهد الرسمي. يتمتع بصحة نفسية عالية وتوافق اجتماعي راق. يتمتع بحس اجتماعي عال. ينظر إلى المستقبل نظره تفاؤل وأمل مشرق. ينطلق في نشاطه الاجتماعي من قيم التآلف والتحابب والتكافل والتعايش. يحقق ذاته من خلال العمل التطوعي ويرضى عنها... وغيرها من الأهداف الوجدانية.

**تنفيذ برنامج تربية التطوع**

يمكن تنفيذ النشاط التربوي التعليمي، الرامي إلى تحقيق أهداف برنامج تربية التطوع بحسب الأهداف التربوية المقترحة سالفًا لهذا البرنامج، وذلك حسب التالي:

**المجال المعرفي:**

ويقترح تدريسه من خلال الحصص والمحاضرات النظرية ضمن منهج التربية الوطنية (يلاحظ أن مادة علم الاجتماع لا تقدم للأقسام العلمية على سبيل المثال)، وبأساليب مختلفة: كالطريقة الإلقائية، وطريقة الحوار والمناقشة، والعروض التقديمية، واستمطار الأفكار، والتعلم التعاوني وغيرها من استراتيجيات التدريس. ويقترح أن يحتوي المقرر الدراسي لمادة التربية

الوطنية على وحدة دراسية تتناول العمل التطوعي من كافة جوانبه، من مثل: مفهوم المجتمع الإنساني، مفهوم الرعاية الاجتماعية، مفهوم المنظمات الاجتماعية، المنظمات الخيرية التطوعية ووظائفها، مفهوم العمل التطوعي، الأسس العقدية والنظرية والعلمية والأمنية للعمل التطوعي، قضايا ومشكلات العمل التطوعي، تجارب المجتمعات الأخرى في مجال العمل التطوعي، إدارة العمل التطوعي وتنظيمه والتخطيط له، كيفية الانضمام إلى تنظيم تطوعي، وغيرها.

**المجال المهاري:**

إذا كان بالإمكان تدريس النواحي المعرفية للتطوع ضمن مقرر التربية الوطنية، فإنه من المتعذّر تطبيق هذه المعارف والأفكار خلال اليوم الدراسي، فحصة التربية الوطنية تأتي في سياق جدول مدرسي يومي مزدحم؛ ولذلك يقترح تدريس الجانب المهاري لتربية التطوع من خلال تنفيذ العديد من الأنشطة التربوية التطوعية التطبيقية القائمة على النشاط الحر، لما تمت دراسته في الجانب النظري المعرفي، وذلك بإشراف معلم مادة التربية الوطنية، ويراعى في هذه الأنشطة ما يلي:

- القيام بنشاط تربية التطوع وإدارته في أوقات الإجازات الدراسية: فمن مجالات التطوع التطوع بالوقت، ووقت الإجازة هو وقت حر خاص بالطالب، وعندما يجود به للقيام بخدمة تطوعية فهو إنما يتطوع بوقته علاوة على تطوعه بجهده: ومن هنا يكون الوقت الملائم للقيام بالنشاط التطوعي التربوي هو أوقات المساء، وإجازة آخر الأسبوع، وإجازة الربيع وإجازة الصيف، وربما كانت المراكز الصيفية بيئة ملائمة لإدارة العمل التطوعي والقيام بتنفيذه.

- التنويع في أنشطة تربية التطوع ومراعاة الميول والاتجاهات: وذلك بإتاحة الفرصة للطلاب بالالتحاق بعدد من الأنشطة المتنوعة التي يقترحها الطلاب أنفسهم بمساعدة وإشراف معلم مادة التربية الوطنية، وذلك لضمان حماس الطلاب وحسن تنفيذهم واقتناعهم بما يقدمونه من عمل

الوقت الملائم للقيام بالنشاط التطوعي التربوي هو أوقات المساء، وإجازة اخر الأسبوع، وإجازة الربيع وإجازة الصيف، وربما كانت المراكز الصيفية بيئة ملائمة لإدارة العمل التطوعي والقيام بتنفيذه

تطوعي، وهنا يمكن اقتراح التالي: صيانة المساجد ونظافتها، نظافة الحي والمدرسة، تنظيم حركة المرور، خدمة الحجاج والزوار والسياح، مساعدة العجزة،مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة. عيادة المرضى المنومين في المستشفيات وخدمتهم، تحفيظ القرآن الكريم في حلقات تحفيظ، تدريس الطلاب المتفوقين للطلاب منخفضي التحصيل في مجموعات للتقوية، وغيرها مما يقترحه الطلاب في حصة التربية الوطنية.

- قيام نشاط تربية التطوع على الرغبة والاختيار الحر: فمن خصائص العمل التطوعي قيامه على الاقتناع والرغبة، مما يضمن فعالية الطالب الممارس للعمل التطوعي في تحقيق أهداف النشاط التطوعي وتحقق الأهداف التربوية لبرنامج تربية التطوع.

التنظيم والمؤسساتية في ممارسة نشاط تربية التطوع:

فلم يعد العمل التطوعي ارتجاليًا وقائمًا على الجهود الفردية المتناثرة والمتعارضة في بعض الأحيان. فالتنظيم يضمن تكامل الجهود وتضافرها وحماس المتطوعين وتآزر جهودهم لتحقيق أقصى قدر من الفائدة من العمل التطوعي، والتربية جديرة بتنمية مهارة الإدارة والتنظيم في مجال العمل التطوعي لدى الناشئة حتى يكونوا متطوعين يمارسون عملهم التطوعي التنموي المأمول في المستقبل بصورة صحيحة وعصرية.

- عدم إخلال نشاط تربية التطوع بالبرنامج الدراسي: وفي ما سبق مراعاة لهذا الجانب،

بحيث تأتي المعرفة النظرية للعمل التطوعي ضمن البرنامج الدراسي، ويأتي التطبيق العملي الذي يحتاج إلى وقت أطول في أوقات الطالب الحرة، والتي يتطوع بها الطالب مختارًا.

- الدعم والتشجيع للطلاب الممارسين لنشاط تربية التطوع: وهو لا يعني المكافأة المادية بالمال أو بالعلامات (الدرجات) وإلا تحول العمل التطوعي عن حقيقته وعما تسعى تربية التطوع إلى تحقيقه من تكريس مفهوم العمل التطوعي كونه عملًا يأتي ابتغاء للأجر والثواب وتعبيرًا عن عدد من القيم النبيلة القائمة على الإيثار وحب الآخرين. وإنما المقصود هو المفهوم التربوي المعروف بالتعزيز Reinforcement، أو المفهوم الإداري المعروف بالحوافز Incentives. والذي يأتي تقديمه في صورة عدد من الممارسات التربوية المعروفة. كشهادات التقدير، والجوائز التقديرية الرمزية، والإطراء والذكر بلا مبالغة. والحمد والثناء بلا استجلاب للإعجاب بالنفس، والتكريم في الاحتفالات المدرسية. والتشجيع وحفظ المكانة الاجتماعية... وغيرها.

- توعية الأسر وكسب تأييدها لصالح نشاط تربية التطوع: وذلك بالعمل على توضيح الأهداف التربوية التي يحققها نشاط تربية التطوع لدى الطالب، وأن هذا النشاط جزء من المنهج الدراسي.

- التشويق والإثارة: وهما من الجوانب التي ترجع إلى براعة ومهنية معلم مادة التربية الوطنية، أو المعلمين الآخرين الذين يساهمون - تطوعًا- بالإشراف على أنشطة تربية التطوع.

- عدم التعارض مع القيم والأعراف الاجتماعية والبعد عن مواطن الشك والريبة: فمن أهم خصائص العمل التطوعي: الشرعية Legalism وإقرار المجتمع له ورضاه عنه ومباركته له. وكثيرًا ما اختلطت بعض الأعمال ذات الصبغة التنظيمية السرية أو السياسية أو التخريبية بالعمل التطوعي مما أدى إلى تشويه سمعة الأعمال التطوعية. ويمثل نشاط تربية التطوع فرصة ملائمة لتمييز الطلاب بين العمل التطوعي والعمل المشبوه.

- تقويم أنشطة تربية التطوع: فاحتياجات المجتمع تتغير من وقت لآخر، ولذلك تأتي أهمية مراجعة برامج التطوع الممارسة من خلال الأنشطة التربوية، حتى يتعلم الطلاب مهارة أخرى من مهارات تجويد العمل التطوعي.

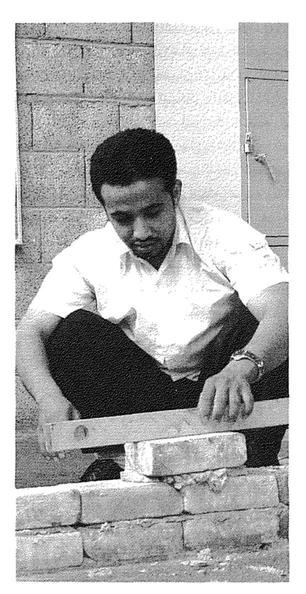
> عندما يقدم النظام التربوي للمجتمع أفرادًا يؤمنون بالتطوع كقيمة، ويمارسون العمل التطوعي كسلوك مرغوب، من خلال برنامج تربوي مجود، في سياق «تربية التطوع»، فإنه من المتوقع أن تحظى كافة نظم المجتمع بأفراد يتبرعون بجهدهم ووقتهم ومالهم لدعم نظم المجتمع ومؤسساته المختلفة. وأولها نظام التربية نفسه، وهو ما يمكن أن نسميه «التطوع للتربية»

**المجال الوجداني:**

يبدو المجال الوجداني أكثر ارتباطًا بمسألة القيم، ففي التصنيف السابق للأهداف الوجدانية لتربية التطوع مجموعة من القيم والاتجاهات المرغوبة المرتبطة بالتطوع. علاوة على أن التطوع نفسه قيمة مرغوبة. ويمكن تكوين القيم – تربويًا- من خلال خمس مراحل متتالية فصّلها (محمد محمود الخوالدة، أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، عمان: دار المسيرة، ١٤٢٥هـ) وهي كالتالي:

- مرحلة التعرّف والاستكشاف.
- مرحلة الاختيار والتفضيل.
- مرحلة التأييد والمشاركة.
- مرحلة الاهتداء والدعوة العلمية.
- مرحلة التضـ[illegible]ية والا[illegible]ـر [illegible] وفي كل مرحلة

من هذه المراحل الخ[illegible] [illegible] لتعلم أمام حالتين



من حالات العمل هما:

ـ حالة الاستعداد وهي حالة الإحساس والميل.

ـ حالة الفعل وهي حالة ترجمة الشعور والإحساس إلى عمل. ويمكن تربية التطوع والقيم المرتبطة به وجدانيًا عن طريق مناح مختلفة، بعضها يقوم على أسس سلوكية، وبعضها يقوم على أسس معرفية، وبعضها يقوم على أسس اجتماعية، والبعض الآخر يقوم على أسس إنسانية، وذلك كالتالي (بالاستفادة من دراسة الخوالده):

- أسلوب المنحى السلوكي: ويقوم على مبدأ أنه إذا عززت سلوك الفرد أو استجابته، فإنه يعمل على تكراره، وهذا يعني أنه إذا عملت على تعزيز أنماط السلوك المرتبطة بالقيم فإنه يزيد من احتمال استبقائها أكثر من تلك التي لا تعزز.

ـ أسلوب المنحى المعرفي: وذلك وفق الخطوات التالية:

- تحديد القيمة المراد تكوينها وذلك عن طريق الملاحظة والاستطلاع.

- تزويد الطالب بالتغذية الراجعة المرتبطة بموضوع القيمة غير المستهدفة، وهذا يعني تزويد الطالب بالمعلومات والحقائق والأفكار المرتبطة بالقيمة.

- إبراز محاسن القيمة المرغوب فيها، ومساوئ القيمة المرغوب عنها.

- دعم القيمة المرغوب فيها بتعزيز أنماط السلوكيات المرتبطة بها، وفي هذه المرحلة نحاول رفع الروح المعنوية عند الطالب والثقة بالنفس إلى أن تستقر القيمة في سلوكه.

ـ أسلوب المنحى الاجتماعي: ويمكن أن يمر تكوين القيمة في المنحى الاجتماعي بالخطوات التالية:

- تزويد الطالب بنماذج متعددة من الشخصيات التاريخية والدينية والاجتماعية أو غير ذلك من نماذج.

- تحليل نموذج القيم أو الاتجاهات التي تحملها نماذج الشخصيات التاريخية والدينية والاجتماعية.

- اختيار النماذج التي يرغب في أن يمثلها الطلبة ويتوحدون معها، بهدف تمثل الاتجاهات والقيم المتضمنة في النموذج.

- الدعوة والتبني للاتجاه والقيم المستهدفة.

ومن العوامل المساعدة في دعم هذا الأسلوب: أن يكون المعلم قدوة حسنة، ومثالاً للنماذج السلوكية المرغوب فيها، وعزل الطالب عن الأطر الاجتماعية السلبية ووضعه في أطر اجتماعية إيجابية، وتوفير الجو الآمن الديمقراطي، واستخدام التعزيزات والمثيرات، وإتاحة الفرص لممارسة الاتجاهات والقيم المرغوب في تعلمها.

### التطوع للتربية

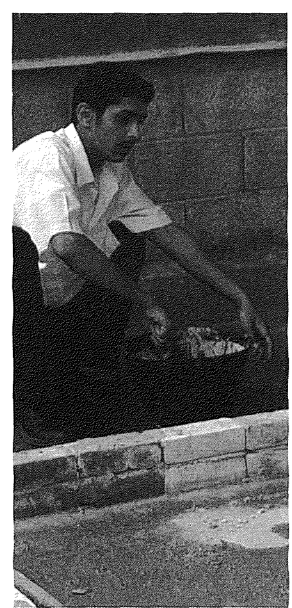
عندما يقدم النظام التربوي للمجتمع أفرادًا يؤمنون بالتطوّع كقيمة، ويمارسون العمل التطوعي كسلوك مرغوب، من خلال برنامج تربوي مجوّد، في سياق «تربية التطوع»، فإنه من المتوقع أن تحظى

كافة نظم المجتمع بأفراد يتبرعون بجهدهم ووقتهم ومالهم لدعم نظم المجتمع ومؤسساته المختلفة، وأولها نظام التربية نفسه، وهو ما يمكن أن نسميه «التطوع للتربية».

بإمكان أفراد مجتمعات الوفرة الاقتصادية الحصول على الخدمات التربوية التعليمية من المؤسسات التربوية الحكومية أو من القطاع الأهلي نظير رسوم دراسية محددة، لكن الحصول على هذه الخدمة الأساسية الضرورية للحياة، متعذّر لكافة أفراد المجتمع، في المجتمعات الفقيرة أو المجتمعات التي تعاني قلاقل واضطرابات وأزمات أمنية واجتماعية وسياسية. وفي كثير من مجتمعات الوفرة الاقتصادية، كمجتمع المملكة العربية السعودية، تولدت قناعة مفادها أن العمل التربوي التعليمي هو مهمة الحكومة أو أنه عملية خدمية يقدمها القطاع الأهلي وفق مبدأي الربحية والعرض والطلب، ولكن الممارسة التربوية في الثقافة والتراث الإسلامي، وربما في تراث معظم شعوب الأرض، كانت أكثر قربًا إلى وصف الممارسة التربوية على أنها ممارسة خيرية تطوعية.

ومن جهة أخرى يمثل قفل باب التطوع في مجال الخدمة التربوية أو عدم تنظيمه وتوجيهه هدرًا للطاقات والكفاءات الراغبة في توظيف خبراتها السابقة أو مواهبها أو طاقاتها الزائدة في هذا المجال الاجتماعي المهم. إذ يحال كثير من المعلمين والأساتذة، وفق نظم إدارية للخدمة المدنية لا تجري مراجعتها وتعديلها، إلى التقاعد في ذروة عطائهم التربوي التعليمي. ويمتلك بعض التربويين في الميدان طاقات إضافية يمنعهم من توظيفها في مزيد من العطاء التربوي تلك النظم الوظيفية المترهلة لمهنة التربية والتعليم. كما توجه الأموال والهبات والأوقاف بكثافة إلى مجالات تطوعية لا تخضع للمراجعة ودراسة الجدوى، ويتم تجاهل حاجة المجال التربوي لمثل هذه الموارد المالية المتدفقة، بحجة أن التربية والتعليم مهمة الحكومة، أو هي مجال خدمي للاستثمار التجاري الربحي. والحقيقة أن نظم التربية والتعليم حول العالم، وبلا استثناء، قد بدأت تعاني عجزًا فيما يتعلق بقضية تمويل التعليم وبرامجه، لعدة أسباب لعل من أهمها ارتفاع كلفة التعليم في ظل المطالبات المتزايدة بضمان المزيد من جودة التعليم وكفاءته، والنمو السكاني المتزايد الذي يعني مزيدًا من الطلب الاجتماعي على التعليم في كافة مستوياته. وكل ما سبق يعني بشكل أو بآخر أن التربية والتعليم مجال خصب للعمل التطوعي في عدد من المجالات التي يمكن التطوع من خلالها للتربية.

لم تعد خدمة التربية والتعليم، التي تقدم لأفراد المجتمع المعاصر، تلك الممارسة الفردية الاجتهادية غير المنظمة، وإنما أصبحت تقدم من خلال مؤسسات اجتماعية متخصصة تمارس



عملها في ضوء سياسات تعليمية واضحة، وخطط تربوية مدروسة، ومؤسسات فرعية منظمة. ولذلك فالتطوع للتربية ينبغي أن ينصب على دعم هذه المؤسسات بجهود تربوية تطوعية منظمة بدورها، علاوة على دعمها بموارد مالية ومادية مختلفة من قبل غير التربويين. وعليه يمكن تعريف التطوع للتربية بأنه «تبرّع عدد من أفراد المجتمع بخبراتهم التربوية أو خبراتهم الإدارية أو أموالهم وكل ما يستطيعون تقديمه، لمساندة جهود المنظمات التربوية ودعمها. ابتداءً منهم دون أن يكونوا مطالبين بذلك، بشرط ألا يتحرّى المتطوعون للتربية مردودًا ماديًا أو مصلحة شخصية مقابل تقديمهم لهذا التبرع».

### مجالات التطوع للتربية

من الصعب حصر المجالات التي يمكن لراغبي التطوع للتربية، تقديم جهدهم التطوعي من خلالها، لكنه من المؤكد أن الحاجة إلى العمل التطوعي المنصرف لمساندة المنظمات التربوية تكون أكثر إلحاحًا في أوقات الأزمات Crisis، سواء كانت أزمات سياسية أو أمنية أو أزمات تربوية. ويمكن التطوع للتربية من خلال التالي:

– تمويل التعليم: ففي ظل بوادر العجز الحكومي عن تمويل التعليم للأسباب الاقتصادية والاجتماعية والتربوية السابق ذكرها. يمكن للمتطوعين للتربية دعم المؤسسات التربوية ماليًا وماديًا، من خلال المنح والهبات والأوقاف والأموال العينية والمنقولة والمساهمة في إنشاء المباني المدرسية وتقديم كافة أنواع التجهيزات في هذا المجال.

– التدريس: ويبرز التطوع للتربية في مجال التدريس في أوقات الأزمات، كإضرابات المعلمين أو انسحاب مجموعات من المعلمين لأسباب وإشكاليات سياسية من الميدان التربوي بحيث يخلف انسحابهم فراغًا في مجال التدريس، أو تزايد حركة التقاعد للمعلمين، خصوصًا عند غياب التنسيق بين جهات إعداد المعلمين وجهات توظيفهم. كما يبرز هذا النوع من التطوع على مستوى المدرسة عند تعرض أحد المعلمين للغياب

**يمثل قفل باب التطوع في مجال الخدمة التربوية أو عدم تنظيمه وتوجيهه هدرًا للطاقات والكفاءات الراغبة في توظيف خبراتها السابقة أو مواهبها أو طاقاتها الزائدة في هذا المجال الاجتماعي المهم** 

أو للتوقف عن ممارسة عمله لأي سبب كان.

– الإشراف التربوي: ربما خلق الاتجاه نحو الإشراف التربوي التطوعي قيمة جديدة في الحقل التربوي، فالمشرف المتطوع يتبرع بخبراته وإمكاناته ومواهبه لتوجيه ومشاركة المعلمين الذين يحتاجون إلى مثل هذه الخبرات، دون النظر إلى مردود تشريفي بمنحه منصبًا قياديًا تربويًا.

– برامج محو الأمية: ويمكن أن يقوم بهذا الجهد في أوقات المساء معلمو المدارس النهارية، مساهمة في تنمية المجتمع وخدمة الأميين. ولعل جهود المربي البرازيلي «باولو فرايري» من أشهر الجهود التطوعية التربوية في هذا المجال.

– مجموعات التقوية: ويمكن أن تنظم هذه المجموعات على أساس العمل التطوعي، مساهمة في جودة المخرج التعليمي ومساندة للأسر الفقيرة المحتاجة إلى مثل هذا النوع من التطوع للتربية.

– تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة: خصوصًا ذوي صعوبات التعلم في المدارس العامة، بالنظر إلى الندرة النوعية في المتخصصين في برامج وأساليب التربية الخاصة، وتزايد الحاجة إلى مثل هذه الخدمة.

– الإدارة التربوية: يمكن المساهمة في إدارة التربية تطوعًا من خلال أي جهد تنظيمي أو وظيفة إدارية مساندة للعمل التعليمي المنظم يقدّمها المتطوع للتربية بدافع ذاتي، دون النظر إلى مردود مادي، ويمكن أن يقوم بمثل هذه الخدمات أولئك المتقاعدون، أو الذين يملكون وقتًا وخبرة إدارية، فالتطوع في مجال الإدارة التربوية يمثل دعمًا

مناسبًا للجهد التربوي فكثير من منظري الإدارة التربوية يرى أنها ليست إلا جهازًا مساندًا يخدم الجهاز التربوي الفني الميداني، فالأساس هو العمل التعليمي.

- البحث التربوي وتقديم الاستشارات التربوية: ويمكن للمؤسسات المتخصصة وبيوتات الخبرة التربوية تقديم الاستشارة التربوية تطوعيًا في فترات دورية، أو في أوقات الأزمات، أو من خلال تخفيض القيمة المادية لأتعاب الاستشارة التربوية. كما يمكن لأصحاب الخبرة من الباحثين وأساتذة التربية المتقاعدين أو أولئك الذين يقومون بالبحث التربوي بعيدًا عن الأغراض الوظيفية والترقية، تقديم مثل هذه الاستشارات تطوعيًا. والمجال يتسع لمساعدي الباحثين التربويين تطوعيًا من خلال خدمات الاتصال وتوزيع الاستبانات واستطلاعات الرأي وجمعها ومعالجتها إحصائيًا خدمة للباحثين التربويين.

- المنح الدراسية: وهي من البدائل المطروحة على الدوام كبديل وخيار مثالي لتمويل التعليم وفك أزماته التعليمية الاقتصادية في أوقات العسر.

- الرقابة والحسبة على العمل التربوي: وهي قيمة حث عليها الدين الإسلامي في كافة مناحي الحياة. والمؤسسات التربوية بحاجة إلى مثل هذه الجهود الإدارية الرقابية التطوعية، بالنظر إلى ضخامة المنظمات التربوية، خصوصًا وزارات التعليم العام.

> من الصعب حصر المجالات التي يمكن لراغبي التطوع للتربية، تقديم جهدهم التطوعي من خلالها، لكنه من المؤكد أن الحاجة إلى العمل التطوعي المنصرف لمساندة المنظمات التربوية تكون أكثر إلحاحًا في أوقات الأزمات، سواء كانت أزمات سياسية أو أمنية أو أزمات تربوية

- تقديم الآراء والمقترحات والنقد والتقويم: ويمكن أن يكون من خلال المخاطبة المباشرة لمتخذ القرار التربوي أو من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

- تحفيظ القرآن الكريم: وهي من أكثر الممارسات التربوية ارتباطًا بالتطوع طوال التاريخ الإسلامي.

- طبع ونشر الكتب والنشرات التربوية واللوحات الإرشادية: ويمكن أن يسهم في هذا النوع من التطوع التربوي أولئك القادرون على تصميم وصياغة وطباعة وإنتاج مثل هذه الوسائل.

**معوقات التطوع للتربية**

يمكن أن يعترض سبيل التطوع للتربية عدد من المعوقات التي قد تدفع بالمتطوعين للتربية إلى الإحجام عن تقديم خدماتهم وجهودهم التطوعية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- قصور نظام التربية نفسه في القيام بتربية التطوّع: فمن البديهي أن مجتمعًا لا يحظى بنظام تربوي يغذي ناشئته بقيم وسلوكيات التطوع، ألا يحظى ذلك المجتمع بمتطوعين للتربية.

- الفهم القاصر للتطوع في مجال التربية: ونعني به اعتقاد البعض أن لا مجال للتطوع للتربية، فالتربية مهمة الحكومات أو هي استثمار وخدمة اجتماعية يمكن تعاطيها وفق مبدأ الربحية.

- عدم وضوح الصورة وعدم إدراك فائدة التطوع للتربية: وتتحمل إدارات العلاقات العامة التربوية والإعلام التربوي مهمة خلق صورة ذهنية واضحة لدى أفراد الرأي العام عن جدوى التطوع للتربية، وتحفيز القائمين به. فللإعلام التربوي دور في التعريف بمجالات التطوع للتربية.

- انعدام البرامج التدريبية الخاصة بحقل التطوع للتربية: والفئة التي تبدو أكثر حاجة إلى التدريب في هذا المجال، هم أولئك الراغبون في التطوع للتربية من غير التربويين.

- قلة التشجيع والحفز للتطوع للتربية: والمقصود التشجيع والحفز ذو الصبغة المعنوية غير المادية، وإلا انحرف التطوع للتربية عن معناه وأهدافه وطبيعته.

- بيروقراطية الإدارة التربوية وتعقيد

الإجراءات التي يمر من خلالها العمل التطوعي للتربية: والتعقيد والروتين الإداري الممل كفيل دائمًا بصرف المتطوعين للتربية إلى حقول أخرى قد تكون أقل حاجة للتطوع من الحقل التربوي.

### إدارة التطوع للتربية

كان العمل الاجتماعي التطوعي، وفي معظم مجتمعات العالم، عملاً ارتجاليًا خاضعًا للجهود الفردية غير المنظمة حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، حين أخذت مؤسسات الرعاية الاجتماعية بمعطيات علم الإدارة ليتحول العمل التطوعي إلى عمل مؤسسي منظم يتوخى الفعالية والكفاءة في تحقيق غاياته، ويسعى على الدوام إلى الاستمرارية والنمو.

والعملية التربوية في جانبها المهني الاحترافي تحظى اليوم بحقل أكاديمي متنام من حقولها العلمية الهامة وهو حقل الإدارة التربوية. ونتيجة لمعطيات علم الإدارة التربوية وبحوثه ودراساته خلال أكثر من خمسة عقود صارت الممارسة الإدارية التربوية ممارسة تقوم على قدر كبير من المهنية التخصصية الرفيعة. والإدارة التربوية وهي تعمل على تحقيق أهداف التربية والتعليم من خلال استثمار كافة الموارد البشرية والمادية التي تقع ضمن دائرة ما يملكه النظام التربوي، ينبغي لها أن تعطي قدرًا من الاهتمام لموارد بشرية ومادية أخرى تقع خارج دائرة ملكية النظام التربوي، ويمكن للنظام التربوي أن يستفيد منها، وهي تلك الموارد البشرية والمادية التي قد توفرها قناة «التطوع للتربية». وعليه تبدو الحاجة ملحة لوجود إدارة للتطوع التربوي في كل وزارة للتربية والتعليم وفي كل إدارة منطقة تعليمية وفي كل جامعة أو معهد أو كلية؛ بحيث تستهدف هذه الإدارة أكثر من التالي:

- وضع السياسات والخطط والاستراتيجيات والبرامج اللازمة لتنظيم التطوع للتربية.
- سن اللوائح والقوانين والأنظمة التي تيسّر التطوع للتربية ولا تعوقه.
- إيجاد قاعدة معلومات للتطوع للتربية (أسماء المتطوعين-إحصاءات تربوية – قوائم مالية..).
- تلقي طلبات المتطوعين للتربية وإرشادهم.
- دعم وتشجيع المبادرين بالتطوع للتربية.
- تعريف وتنوير الرأي العام بمجالات التطوع للتربية.
- استقطاب المتطوعين للتربية والمحافظة عليهم.
- تنسيق جهود المتطوعين للتربية والعمل على تكاملها.
- إنشاء إدارة خاصة للأزمات التربوية، حيث يبرز دور التطوع للتربية بوضوح في الأزمات.
- التنسيق بين ما يمكن أن يقدمه المتطوعون للتربية وبين احتياجات النظام التربوي نفسه.
- متابعة جهود المتطوعين للتربية وتوجيهها والقضاء على العقبات التي تعترضها.
- الرقابة والتدقيق المالي على الموارد المالية والعمل على استثمار رأس المال التطوعي للتربية.
- القيام بالبحوث والدراسات الميدانية الرامية إلى زيادة الاستفادة من جهود التطوع للتربية.
- نقل الخبرات والتجارب العالمية المقارنة في مجال التطوع للتربية والإفادة منها. ■

# برنامج مقترح لتنمية ثقافة العمل التطوعي لدى الطلاب

حسن الباتع عبد العاطي* - الإسكندرية

* مدرس تكنولوجيا التعليم بكلية التربية - جامعة الإسكندرية

**بينما كنت جالسًا أسطر مقالتي هذه، وأفكر فيما تكون المقدمة، اقتحمت خلوتي ابنتي المحبوبة هاجر ابنة الثلاثة أعوام ونصف العام، فقد عادت من دور الحضانة مسرعة نحوي، وقدمت لي مظروفا لمحت بطرفة عيني عبارة كتبت عليه «تبرعوا لمرضى الجزام جزاكم الله خيرًا». فأحببت أن أتأكد من فهمها لمضمون الرسالة، فإذا هي تقول: - بنفس اللفظ دون إعادة صياغة - «يا بابا هم ناس غلبانين والمفروض نساعدهم» فقلت لها: من قال لك ذلك؟ فردت «الأستاذة ......» من هنا جاءت المقدمة، بل قل: من هنا تبدأ التنشئة الاجتماعية، وتنشأ ثقافة التطوع من المدرسة، بل قل: من رياض الأطفال، حيث السنوات الخمس الأولى التي تتشكل فيها شخصية الطفل التي تؤثر عليه فيما بعد.**

يعد المنهج المدرسي من العناصر الرئيسة التي تمارس - بقوة - دورًا كبيرًا في إعداد الأجيال الناشئة بما يتفق والفلسفة التي ينتهجها المجتمع، والمبادئ والقيم التي يرتضيها، وهو كذلك أداة فعالة في معالجة المشكلات والتحديات التي يواجهها المجتمع، ولكي يكتب للمنهج المدرسي النجاح، ويؤدي الأدوار المنوطة به، ويحقق الأهداف المرجوة منه ينبغي مراعاة الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية والمعرفية عند الشروع في تخطيطه، وتصميمه، وتنفيذه. وبالرغم من أهمية تلك الأسس جميعها في عملية بناء المنهج، وفي نجاح مهمته، فإن الأساس الاجتماعي يعد أقوى أسس المنهج المدرسي تأثيرًا في مخططي المنهج، وذلك نظرًا لظروف كل مجتمع، وخصوصياته، وعاداته، وتقاليده، وقيمه، وطموحاته، ومشكلاته التي تختلف عن ظروف أي مجتمع آخر.

### الأنشطة التربوية والعمل التطوعي

حين نورد الحديث عن المنهج لا نقصد به المقررات الدراسية فقط، فلا تكفي الدروس وحدها في تكوين المواطن الصالح، ولكن ما قصدناه المنهج بكل عناصره، وما يهمنا هنا عنصر رئيس من عناصر المنهج وهو الأنشطة التربوية، ويقصد بها «أنماط من السلوك التربوي يمارسها التلاميذ بتوجيه من المعلمين خارج حصص المواد الدراسية، بما يساعد على نمو معرفتهم وخبراتهم، ويحقق نموهم بشكل متكامل». ولهذا يعد النشاط من أكبر العوامل في هذا التكوين، فيمكن بواسطته الكشف عن ميول التلاميذ لاستغلالها في النشاط الملائم. كما يمكن عن طريقه

تنمية استعداداتهم وقدراتهم والعمل على استثمار وقت الفراغ بما ينفع الفرد والمجتمع في آن واحد.

ويعد العمل التطوعي من أهم الأنشطة التي يمكن توجيه النشء نحوها فيتحقق للشخصية نموها الاجتماعي، حيث يصاحب برامج النشاط قيم اجتماعية وسلوكية تسعى النظم التعليمية لتحقيقها. ففي النشاط تدريب على أعمال الخدمة العامة، سواء أكان ذلك داخل المدرسة أم خارجها، وأساليب العمل البناء في جو تعاوني ديمقراطي بما يحقق الولاء والانتماء للمجتمع الأصغر (المدرسة) والأكبر (المجتمع).

**أسس الأنشطة التربوية في العمل التطوعي**

ولكي تحقق الأنشطة التربوية أهدافها فيما يتعلق بالعمل التطوعي يجب أن تقوم على عدة أسس، أهمها:

- أن يكون للنشاط هدف محدد وواضح ومرغوب فيه.
- أن تتعدد أوجه النشاط أمام التلاميذ، فيختار كل منهم مع ما يتناسب معه من ميول ورغبات وقدرات، وهذا التعدد في أوجه النشاط يتبعه تعدد في أدوار التلاميذ.
- أن يراعي مستوى نضج التلاميذ عند اختيار لون النشاط، وكذا الفروق الفردية. فعلى سبيل المثال لا يطلب من تلميذ في المرحلة الابتدائية التبرع بالدم كعمل تطوعي، غير انه يمكن أن يطلب منه المشاركة في حملة دعائية لحث الشباب على التبرع بالدم.
- ضرورة مراعاة طاقات التلاميذ، بحيث لا يطغى العمل التطوعي على وقت راحتهم ومراجعة دروسهم، حتى لا نبني في جانب ونهدم جوانب أخرى.
- مراعاة اتباع الأسلوب الديمقراطي عند تنظيم الأنشطة التربوية المتعلقة بالعمل التطوعي وتحديد أدوار كل تلميذ، وتدوير تلك الأدوار بينهم حتى تكتمل خبرتهم.
- ضرورة ارتباط الأنشطة التربوية المتعلقة بالعمل التطوعي بالبيئة وحاجات المجتمع، وتمثل المدرسة البيئة الصغرى لميدان العمل التطوعي من خلال حملات النظافة العامة وتزين المدرسة ومساعدة التلاميذ غير القادرين، كما يمثل العمل التطوعي خارج المدرسة البيئة الكبرى للتلميذ، فيشارك في نظافة الحي وتنظيم المرور وحملات التبرع بالدم وغيره.
- أن تتسم الأنشطة التربوية المتعلقة بالعمل التطوعي بالجدية والإيجابية والبعد عن المظاهر الدعائية، فيترسخ في شخصية التلميذ الجدية والاهتمام المقرون بالمسؤولية الملزمة.

وكمثال على تشجيع فئة الشباب للانخراط في العمل التطوعي وأهميته في التقدم الحضاري للغرب، تذكر إحدى الفتيات التي تدرس في المرحلة الإعدادية في بريطانيا، أنها تسلمت رسالة من مدرستها تحثها على العمل التطوعي ولمدة خمسين ساعة في السنة.



وفيما يلي نسخة مترجمة من الرسالة التي تسلمتها تلك الفتاة:

«كما تعلم، لديك فرصة التطوع للمساهمة في خدمة المجتمع من الآن حتى نهاية السنة الدراسية. التطوع ينبغي أن يغطي خمسين ساعة خدمة لكل العام الدراسي، وذلك بالطبع سيسهم في تقديم شيء ما لكل المجتمع، مثلاً: ربما يتضمن العمل في دور الرعاية الاجتماعية، والتطوع ببعض الساعات لمصلحة الجمعيات التطوعية، أو القراءة لشخص ما لا يستطيع الرؤية. من فضلك يجب أن تلاحظ أن المدرس المسؤول سيسجل لك هذه الخدمة في المستقبل - فقط - في حال استلم منك الوثائق المطلوبة.

إذا كنت قد حصلت على مكان ما للقيام بالعمل التطوعي، فالرجاء منك إرجاع الاستمارة المرفقة، بالإضافة إلى رسالة التعهد التي يجب أن توقع من قبل الجهة التي ستقوم بالاستفادة من تطوعك».

وقد أرفقت الرسالة بالاستمارة «انظر النموذج ١»:

منسق العمل التطوعي:........................................

اسم الطالب:........................................

عنوان الطالب ورقم الهاتف:........................................

اسم المنظمة أو الجمعية التطوعية وعنوانها:........................................

هاتف الجمعية التطوعية:........................................

اسم الشخص الذي يمكن الاتصال به:........................................

الوقت المقترح للعمل (الرجاء ضع دائرة على المكان الصحيح):

◯ السبت ◯ الأحد ◯ الاثنين ◯ الثلاثاء ◯ الأربعاء ◯ الخميس

باختصار الرجاء اكتب ماهية العمل التطوعي الذي ستقوم به:

........................................

........................................

........................................

النموذج (١)

لعل النموذج أعلاه يعد نموذجًا أو فكرة بسيطة، غير أنها إذا طبقت من قبل مليون طالب في السنة، فسنجد الحصيلة هي خمسون مليون ساعة عمل تطوعي، وهي نتيجة لا تقدر بثمن من ناحية معطياتها على مستوى المجتمع والطلبة أنفسهم الذين سيحصلون على تجارب ثرية تغنيهم في حياتهم العملية.

ولعل الهدف من عرض هذه الفكرة هو أن نأمل أن تحتذي بها مدارسنا وجامعاتنا فتطبق الفكرة، بشكل أو بآخر. ولعل مجتمعاتنا تبلغ هذا المستوى الحضاري الذي يشجع الناس، والشبان على الخصوص، على الانخراط في العمل التطوعي وخدمة المجتمع.

كما أن هناك أفكارًا كثيرة أخرى مثل: إعطاء التلاميذ استمارات معينة تحثهم على جمع التبرعات من ذويهم وجيرانهم لصالح إحدى الجمعيات التطوعية (ولعل هذا ما فعلته محبوبتي هاجر). فيأتي الطفل من مدرسته وهو مملوء بالحماسة، ويبدأ بجمع الأسماء والتوقيعات لكل متبرع، ويكتب المبلغ الذي تم التبرع به أمام اسم كل شخص وتوقيعه. ويذكر أن المبلغ المطلوب حصوله من كل متبرع لا يتجاوز الجنيه الواحد، غير أن كثيرًا من المتبرعين يقدمون أحيانًا مبالغ تفوق ما يطلبه التلاميذ منهم.

ومن الأفكار الجيدة أيضًا التي يمكن تطبيقها في المدارس الابتدائية تخصيص يوم لكي يأتي الأطفال ببعض المبالغ البسيطة من ذويهم كتبرعات لصالح الجمعيات التطوعية أو لصالح حملة خيرية معينة لإغاثة منكوبي حدث معين أو لصالح دور الأيتام. وفي بعض الأحيان تخصص المدرسة يومًا تسمح فيه لتلاميذها بارتداء زي حر خلافًا للزي الموحد المعمول به، وذلك في مقابل أن يأتي الطفل ببعض التبرعات من ذويهم.

وهكذا.. هناك العشرات من الأفكار التي تشعر الأطفال بالقضايا الإنسانية، وتدفعهم للمساهمة في التخفيف من أعبائها وتعمق بالتالي لديهم ثقافة العمل الخيري والتطوعي. وفيما يلي برنامج مقترح نأمل عند تطبيقه تحقيق أهدافه:

**برنامج مقترح لتفعيل ثقافة العمل التطوعي لدى التلاميذ/ الطلاب في نظم التعليم العربية:**

مسمى البرنامج: العمل التطوعي واجب ديني ومطلب اجتماعي.

الجمهور المستهدف: تلاميذ وطلاب المدارس والجامعات.

القائم بالتدريس: معلمون مدربون على العمل التطوعي. فضلاً عن دعوة الخبراء من أعضاء بعض الجمعيات المشاركة في الأعمال التطوعية، كما يمكن مشاركة علماء الدين في ذلك.

أهداف البرنامج: يتوقع بعد دراسة التلاميذ/ الطلاب لهذا البرنامج أن يصبحوا قادرين على:

- تحديد مفهوم العمل التطوعي.
- التعرف على نشأة العمل التطوعي ومراحل تطوره.
- تمييز الأشكال المختلفة للعمل التطوعي.
- التعرف على نظرة الإسلام للعمل التطوعي.
- استنتاج أهمية العمل التطوعي وما يمكن أن يقدمه بالنسبة للفرد والمجتمع.
- تحديد دور التعليم متمثلاً في المدرسة والجامعة في نشر ثقافة التطوع.
- المشاركة في بعض الأعمال التطوعية داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.
- نقد تجارب وخبرات بعض الدول العربية وغيرها في العمل التطوعي.
- تحديد المعوقات التي تحول دون تفعيل العمل التطوعي في البيئة العربية والإسلامية.
- الخروج بإطار مقترح لتفعيل العمل التطوعي في البلاد العربية والإسلامية وتطويره استناداً للتجارب العربية وغيرها.

طبيعة البرنامج: يتضمن البرنامج عدداً من الموضوعات النظرية التي تغطي الجانب المعرفي للبرنامج، فضلاً عن جانب تطبيق ميداني يتبع المعرفة النظرية.

مدة دراسة البرنامج: فصلان دراسيان كاملان، الأول يختص بالجانب المعرفي للبرنامج، فيما يختص الفصل الدراسي الثاني بالجانب الميداني.

مستويات تدريس البرنامج: يمكن أن تتعدد مستويات تدريس البرنامج بما يتناسب مع المرحلة العمرية والدراسية التي تخاطبها. وبالتحديد يمكن تقسيم تلك المستويات إلى ثلاثة: الأول البسيط، والثاني المتوسط، أما الثالث فهو المستوى الأعلى.

موضوعات البرنامج: مفهوم العمل التطوعي، ونشأته وتطوره، وأشكاله، والعمل التطوعي من منظور إسلامي، وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع، ودور المدرسة والجامعة في نشر ثقافة التطوع، وتجارب عربية وغير عربية في العمل التطوعي، ومعوقات تحول دون تفعيل العمل التطوعي، وتوصيات ومقترحات بشأن تطوير العمل التطوعي في الدول العربية الإسلامية.

مصادر البرنامج وأدواته: ويقصد بها مجموعة المصادر والأدوات التي يتيحها البرنامج، ويستخدمها التلميذ/ الطالب بهدف التفاعل مع الزملاء، والمشرف، وموضوعات البرنامج، ومن هذه المصادر والأدوات على سبيل المثال لا الحصر: المراجع، والمناقشات والحوارات، والزيارات الميدانية، والمشاركة الفعلية في بعض الأعمال التطوعية والأنشطة.

**الأنشطة التطوعية العملية المقترحة في البرنامج:**

تتعدد الأنشطة التطوعية العملية في البرنامج لتشمل أنشطة داخل المؤسسة التعليمة وأخرى خارجها. بالنسبة للأنشطة داخل المؤسسة فتتمثل في: نظافة حجرة الدراسة والفناء، والمشاركة في تشجير المدرسة وتزيينها بالورود والنباتات، وعمل مجلات للحائط، سواء أكانت مجلات علمية أم لوحات إرشادية، والخدمة العامة (حيث يخصص يوم أو أكثر لكل تلميذ/ طالب يقوم ببعض الأعمال التي توكل إليه)، وجمع تبرعات من القادرين لغير القادرين، والمساهمة في عمل مجموعات تقوية للتلاميذ/ الطلاب المتأخرين دراسياً لظروف خاصة مرت بهم ...إلخ. أما فيما يتعلق بالأنشطة التطوعية خارج المؤسسة التعليمية، فتتمثل فيما يلي: نظافة البيئة، وحملة للتوعية بمخاطر التلوث، وتشجير الشوارع، وتجميل الميادين، وحملات تبرع بالدم، وجمع تبرعات، وكفالة أيتام وأرامل، ومساعدة المحتاجين، وحملة التوعية بمخاطر التدخين وأضراره... إلخ.

كيفية تناول موضوعات البرنامج: يجب أن يتناول كل موضوع من موضوعات البرنامج العناصر التالية:

**الموضوع**

- الهدف العام:..............................
- الأهداف الخاصة:..........................
- المحتوى:..................................
- الأنشطة:..................................
- التقويم:..................................

تصميم ورقة/ استمارة النشاط:

يمكن تصميم ورقة/ استمارة للنشاط الذي سيسند إلى التلميذ/الطالب للمشاركة في العمل التطوعي، ويكون تصميمها كما في النموذج (٢):

تقويم البرنامج: يتم تقويم التلاميذ/ الطلاب بعد مرورهم بالبرنامج بأسلوبين، الأول: اختبار تحصيلي للجانب المعرفي الخاص بالبرنامج، والثاني فحص أوراق/استمارات الأنشطة التطوعية التي سبق للتلاميذ/ الطلاب تسجيل أعمالهم بها، من خلال المشرف على العمل التطوعي، ويقاس ذلك ببطاقة تقييم كما في النموذج (٣):

غير أن تبني البرنامج وحده لا يكفي لتنمية ثقافة التطوع لدى الناشئة، فما البرنامج إلا مكون من مكونات منظومة كبرى تؤثر وتتأثر ببقية العناصر، وفيما يلي عدد من التوصيات والمقترحات التي من شأنها أن تفعل وتطور العمل التطوعي في بلادنا العربية:

النموذج (٢)

**ورقة/ استمارة النشاط**

- اسم المشرف على العمل التطوعي:..........................................
- طرق الاتصال بالمشرف:....................................................
..
- اسم التلميذ/ الطالب:.......................................................
- المرحلة التعليمية والصف الدراسي:......................................
- طرق الاتصال بالتلميذ/ الطالب:..........................................
- اسم الجمعية التطوعية:.....................................................
- طرق الاتصال بالجمعية:....................................................
- نوع العمل التطوعي المطلوب:..............................................
- العمل التطوعي داخل/ خارج المؤسسة:....................................
- عدد ساعات العمل أسبوعيًا:.................................................
- اليوم/ الأيام المقترحة للعمل خلال الأسبوع:.............................
- الوقت المقترح للعمل خلال اليوم:..........................................

**بعض المقترحات والتوصيات لتطوير العمل التطوعي:**

- ضرورة تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة، وذلك من خلال قيام مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة كالأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في نفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.

- ضرورة أن تتضمن البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المفردات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي، ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية، مما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب، مثل: حملات تنظيف محيط المدرسة، أو العناية بأشجار المدرسة أو خدمة البيئة.

- ضرورة وجود برامج إنسانية لمختلف المراحل الدراسية تتخذ طابع الممارسة العملية الموجهة لخدمة المجتمع من خلال إحداث سلسلة من العمليات والبرامج باستغلال الموارد والإمكانات المتاحة لتنمية قدرات الطالب، وإعداد «الطالب الإنسان» ذي شخصية اجتماعية إيجابية منتم ومتفاعل مع مجتمعه وبلده.

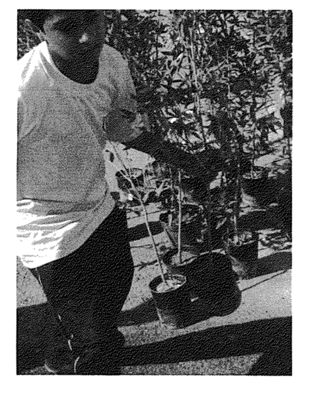
- دعم المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي ماديًا ومعنويًا بما يمكنها من تأدية رسالتها وزيادة خدماتها.

- إقامة دورات تدريبية للعاملين في هذه الهيئات والمؤسسات التطوعية، مما يؤدي إلى إكسابهم الخبرات والمهارات المناسبة، ويساعد على زيادة كفاءتهم في هذا النوع من العمل، وكذلك الإفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال.

- التركيز في الأنشطة التطوعية على البرامج والمشروعات التي ترتبط بإشباع الاحتياجات الأساسية للمواطنين، الأمر الذي يساهم في زيادة الإقبال على المشاركة في هذه البرامج.

- مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيرًا، من خلال تثقيف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي، ومدى حاجة المجتمع إليه، وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.

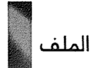
- تدعيم جهود الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية حول العمل التطوعي، مما يسهم في تحسين واقع العمل الاجتماعي بشكل عام، والعمل التطوعي بشكل خاص.



- استخدام العمل التطوعي في المعالجة النفسية والصحية والسلوكية لبعض المتعاطين للمخدرات والمدمنين أو العاطلين أو المنحرفين اجتماعيًا.
- استخدام التكنولوجيا الحديثة لتنسيق العمل التطوعي بين الجهات الحكومية والأهلية لتقديم الخدمات الاجتماعية وإعطاء بيانات دقيقة عن حجم واتجاهات وحاجات العمل التطوعي المهمة للمجتمع.
- إقامة الندوات والمؤتمرات التي تتناول موضوع العمل التطوعي وقضاياه لزيادة الوعي والاهتمام به من المجتمع.
- إنشاء هيئة يناط بها العمل التطوعي وشؤونه يكون عليها رسم سياسة العمل التطوعي، والعمل مع المؤسسات ذات العلاقة لفتح العمل التطوعي، وتسهيل الإجراءات للراغبين في المشاركة وتشجيعهم ومنحهم حوافز معنوية تقديرًا لما يقومون به.

النموذج (٣) **بطاقة تقييم أداء التلميذ/ الطالب لأنشطة العمل التطوعي**

| م | المعيار | درجة توافر المعيار | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | كبيرة | متوسطة | قليلة | غير متوفرة |
| ١ | تعكس الأنشطة التطوعية التي أداها التلميذ/ الطالب أهداف البرنامج المرجو تحقيقها | | | | |
| ٢ | تتسم أنشطة العمل التطوعي بالتنوع | | | | |
| ٣ | تتم الأنشطة داخل المؤسسة التعليمية بشكل كاف | | | | |
| ٤ | تتم الأنشطة خارج المؤسسة التعليمية بدرجة معقولة | | | | |
| ٥ | تتوزع الأنشطة على أيام الأسبوع | | | | |
| ٦ | تتوزع الأنشطة على مدار اليوم | | | | |
| ٧ | يلتزم التلميذ/ الطالب بتوجيهات المشرف | | | | |
| ٨ | عدد ساعات العمل التطوعي كافية | | | | |
| ٩ | يلجأ التلميذ/ الطالب إلى المشرف عند طلب المساعدة | | | | |
| ١٠ | يكتسب التلميذ/ الطالب مهارات اجتماعية جديدة | | | | |
| ١١ | يكتسب التلميذ/ الطالب مهارات حياتية تؤهله للحياة المهنية | | | | |
| ١٢ | تكسب الأنشطة التلميذ/ الطالب مهارات الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية | | | | |
| ١٣ | تتكون لدى التلميذ/ الطالب اتجاهات إيجابية نحو العمل التطوعي | | | | |
| ١٤ | يقترح التلميذ/ الطالب بعض الأنشطة التطوعية غير الموجودة بالواقع | | | | |
| ١٥ | يشارك التلميذ/ الطالب في توعية زملائه بضرورة المشاركة في الأعمال التطوعية | | | | |



# التضحية بالعمر من أجل الآخرين

أسامة أمين* - ألمانيا

* باحث إعلامي.

**عندما نقوم من النوم صباحًا للذهاب إلى العمل، والسعي إلى الرزق من أجل الأبناء والزوجة، أو من أجل الوالدين، أو من أجل الذات فقط، لابد أن نتذكر أن هناك أناسًا يعملون من أجل البشرية جمعاء، وهبوا حياتهم بدون مقابل مادي لخير الإنسانية، دافعهم لذلك ديني، أو أيدولوجي، أو أخلاقي، المهم أن وجود هؤلاء في هذا العالم، أصبح ضرورة لا ترفًا يمكن الاستغناء عنه. ورغم كافة التهم وسوء الظن الذي يوجهه البعض لهم، فإنهم ماضون في طريقهم لأنهم لا ينتظرون من الناس جزاء ولا شكورًا. ربما أسهمت الكلمات التالية في تشجيع البعض على اللحاق بهؤلاء المتطوعين.**

### من روضة الأطفال حتى المفاعل النووي

إذا نظرنا إلى أوضاع رياض الأطفال في عالمنا العربي، فهي واحدة من ثلاث، إما أن تكون روضة خاصة، أنيقة حديثة مزودة بكل ما يحتاج إليه الطفل، وعندها ستكون التكلفة الشهرية باهظة، أو أن تكون حكومية برسوم رمزية، ولكنها تفتقد كل شيء، أو أن تكون ذات توجه ديني تابعة مثلًا للراهبات، فتجدها توفر الكثير من الخدمات، مقابل رسوم زهيدة، لأن العاملات فيها لا ينتظرن أجرًا في الأرض، ولا يحق لهن امتلاك أي شيء، فيخدمن الأطفال ويقدمن لهم من الحب والرعاية الكثير، لأنهن لا يحتجن إلى تبشير الأطفال بالكلمات، فيكفي أن ترى الطفلة المسلمة قدوتها في راهبة مسيحية.

إلا أن هناك في الغرب طريقًا رابعًا، وهو العمل التطوعي، فمع كل روضة أطفال تنشأ معها (جمعية رعاية الروضة)، عبارة عن خمسة أشخاص يسجلون أنفسهم في المحكمة، ويوزعون العمل فيما بينهم، فتجدهم يعرضون على أولياء الأمور الاشتراك في هذه الجمعية بقسط شهري يعادل يورو واحد، ويعملون احتفالات لاستقبال الأطفال الجدد، ويبيعون الفطائر والعصائر، وغير ذلك كثير من الأنشطة التي تجلب المال، ثم يمولون بهذا المال شراء احتياجات الروضة من ألعاب جديدة، إلى تحمل تكاليف رحلة يقوم بها الأطفال إلى حديقة الحيوان، إلى البحث بين الأهل عمن يجيد الأعمال اليدوية، لإصلاح الأعطال في الروضة.

وأهم ما في هذا العمل أن التزام أعضاء مجلس إدارة هذه الجمعية بالمهام التي فرضوها على أنفسهم صارم إلى حد لا يمكن تصوره، ومن لا يثبت جديته تجري إقالته واستبداله بآخر أو أخرى، دون إبطاء، حتى لا يتوقف العمل.

### عمال المطافئ ليسوا موظفين

أما الأمر الغريب العجيب أن الغالبية العظمى من العاملين في مجال الإطفاء في ألمانيا مثلًا، ليسوا موظفي دولة، بل هم متطوعون، فإذا قرر الشخص أن ينضم إلى المطافئ، فإنه يحصل على دورات سنوية، ويخصص له وقت عمل، بمعدل نوبة أسبوعية، يقتطع هذا الوقت من فراغه ونومه، دون أي أجر، فإذا جاءت نوبته توجه إلى مقر دائرة الإطفاء، وبقي هناك، فإذا جرى استدعاء المطافئ كان جاهزًا للعمل، وكان خبيرا في مجاله، وقادرًا على القيام بمهمته،

أي يعرِّض حياته للخطر، والمقابل لا شيء، باستثناء الشعور بالمسؤولية. هذا الشعور الذي يجعله لا يعرف الأعذار، بتعطل السيارة، أو المرض أو الإرهاق في العمل الأصلي، أو غير ذلك من الأعذار التي نعرفها جميعًا، بل ونلجأ إليها كثيرًا، عند صاحب العمل الذي يدفع راتبًا. فما بالك إذا كان العمل مجانيًا؟

بالله عليكم هل نستطيع أن نشعر بالأمن وأن ننام في هدوء إذا قيل لنا إن غالبية المسؤولين عن إطفاء الحرائق في الحي الذي نسكن أناس متطوعون للعمل الشريف؟

ولا يقتصر الأمر على عمال الإطفاء بل يشمل أيضًا العاملين في مواجهة الكوارث، ليس في داخل حدود دولتهم فحسب، بل في العالم أجمع. إذا وقع زلزال هنا أو هناك، أو إذا غمرت الفيضانات سواحل ومدن هذه الدولة أو تلك، عندها تفرض قوانين الدولة أن يعفي صاحب العمل الأصلي، موظفيه المدربين على العمل التطوعي في مناطق الكوارث، طوال فترة ممارستهم لهذا العمل التطوعي، حتى يعودوا إلى بلادهم.

### المنظمات الإنسانية

كلنا يعرف الدعاية التي تصل إلينا عن طريق البريد أو في قنوات التلفزيون أو عن طريق الصحف والمجلات، من صور لأطفال أيتام يحتاجون إلى المال، أو صور أناس مشردين، أو صور نساء حزينات يقفن أمام بيوتهن المهدمة، وتحتها أرقام الحسابات البنكية التي ينبغي علينا أن نتبرع إليها.

وقد تعرضت هذه المنظمات الإنسانية في السنوات الأخيرة إلى اتهامات قاسية، بتمويل الإرهاب تارة، أو التربح منها تارة أخرى، إلى استغلالها لتحقيق أهداف سياسية أو دينية.

ورغم أن هذا الموضوع أوسع من أن يتم تناوله في سطور قلائل، إلى أنني أشير إلى أن بعض هذه المنظمات يهدر ثلث الأموال أو أكثر في أمور لا علاقة لها بمساعدة المحتاجين، فمثلًا حين يسافر مديرو هذه المنظمات بالطائرة، فإنهم يركبون في الدرجة الأولى، ويسكنون في أفخم الفنادق، ويأكلون ألذ الأطعمة، في حين يعتذرون للمرأة المشردة في معسكرات اللاجئين عن تزويدها بالحليب لطفلها الرضيع، لأن الميزانية مخصصة للمشردين من البالغين فقط، ويرفضون زيارة بيت للأيتام إذا كان الطريق وعرًا، أو داخل منطقة غير آمنة.

إلا أن الحقيقة التي لا يجب كتمها أيضًا أن هناك أناسًا وهبوا حياتهم للخير، فتجد مدير إحدى هذه المنظمات يرفض السكن في الفندق الفاخر، ويتنازل عن تكاليف السكن ليستفيد منها المحتاجون، ويقرر السكن معهم في نفس المعسكرات، ويتناول نفس طعامهم، ويرتدي نفس ملابسهم الرثة، بل والله تجده يبيع السيارة المخصصة لتنقلاته ليضع ثمنها تحت تصرف الأمهات الثكالى والأطفال الرضع.



فهناك مثلًا (منظمة أطباء بلا حدود)، وهي عبارة عن مجموعة من الأطباء من مختلف بقاع العالم، يقررون التوقف عن العمل في العيادات الخاصة أو المستشفيات الحكومية، ويتوجهون إلى مناطق الأزمات، ليعالجوا المرضى، وليساهموا في تخفيف محنتهم.

أما كيف نعرف المنظمة التي تستحق دعم أنشطتها من التي لا تستحق ذلك، فلابد من البعد عن المنظمات التي تميل إلى الإثارة بالصور المبالغ فيها، والتي لا تمتلك تقارير تثبت شفافيتها، ولابد من البحث في الإنترنت عن تقارير ليست صادرة عن هذه المنظمات، وليست دعائية، تتضمن المدح المفرط فيه، بل تقارير موضوعية ومتوازنة، وقبل كل ذلك لابد أن تكون الأجهزة المختلفة للدولة قد رخصت لها بالعمل، وسمحت لها بجمع التبرعات.

لو فكر كل منا في حياته، لوجد الكثير مما يمكن أن يقوم به من أجله قريته أو مدينته، أو دولته أو حتى العالم أجمع، لأن الخروج عن حيز الذات الضيق، إلى حيث الاهتمام بالقرية والمدينة والمحافظة والدولة والعالم أجمع، يجعلنا أكثر سموًا بالنفس، وأرقى خلقًا

### الرياضة والثقافة

إذا كانت ممارسة الرياضة في الكثير من الدول العربية تقتصر على السويعات القليلة التي يمضيها الطفل أو الشاب في حصص التربية الرياضية في المدرسة، أو اللعب في الشارع، أو في النوادي الرياضية التي لا يدخلها سوى أبناء الصفوة، لأن الاشتراك السنوي بالآلاف، ولأن الحصول على العضوية فيها أصلًا حلم لا يمكن تحقيقه، فإن الاتحادات الرياضية في الغرب، كلها تحت إشراف أشخاص متطوعين للعمل فيها، فالمدرب المحترف في أحد النوادي، يقوم في الحي الذي يسكن فيها بعمل دورات بأسعار رمزية لتغطية تكاليف التدفئة والإنارة في الأندية التي توفرها إدارة كل حي سكني، في حين لا يحصل هذا المدرب على أي مقابل مادي، ومع ذلك لا يكون أقل حماسًا مع فريقه الذي يدربه تطوعيًا، عن فريقه الذي يدربه بأجر باهظ.

كذلك فإن المكتبات العامة تعيش على أكتاف العاملين المتطوعين، هم يرتبون الكتب ويشرفون على الإعارة، ويقدمون النصح للزوار في كيفية اختيار الكتاب المناسب لهم.

وهناك في كل حي أيضًا دورات دراسية يومية بعد الظهر لمساعدة التلاميذ والطلاب في عمل الواجبات المنزلية، وغالبية الطلاب فيها من الأجانب الذين يعجز أهلهم عن مساعدتهم لعدم إتقان اللغة، أو لأنهم لم يدرسوا هذه المناهج التعليمية.

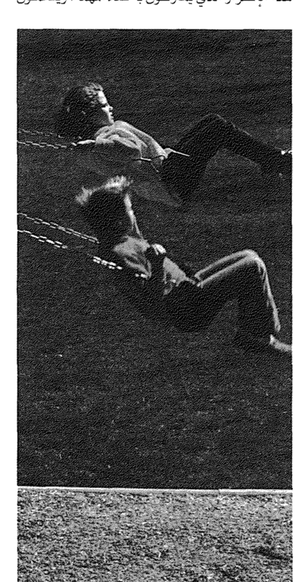
ولعل فكرة (المدارس الشعبية العليا) تجسد استراتيجية نشر العلوم والمعرفة في مختلف أوساط الشعب، وتحقيق مبدأ (التعليم طوال العمر)، بدون تكاليف باهظة، حيث تقام الدورات في المساء، بحيث تتاح الفرصة للعاملين في مختلف الجهات أن يطوروا معارفهم بمبالغ رمزية، بعد انتهاء أوقات العمل الرسمية.

وهناك دورات في كل شيء في هذه المدارس الشعبية، إذ تشمل طهي الطعام، والحرب العالمية الثانية، وأبعاد السياسة الأمريكية، وتعلم اللغة اليونانية، والتعريف بالفرق الصوفية في العالم العربي، وتنظيم الرحلات العلمية إلى المكسيك، وتعلم كيفية التعامل مع الطفل المعوق ذهنيًا، وتناول المتغيرات في مهام أجهزة الاستخبارات الغربية بين الحرب الباردة وبين مرحلة ما بعد ٩/١١.

أما عن المحاضرين في هذه الدورات فهم من كافة طبقات المجتمع، من الأستاذ الجامعي، إلى رجل الدين، إلى إعلاميين، إلى أجانب يستعرضون ملامح بلادهم، إلى فني أو طباخ أو مزارع، المهم أن يكون عنده ما يعلمه للآخرين، وأن يكون قادرًا على توصيل المعلومات بصورة سلسلة لمختلف الشرائح الاجتماعية والعلمية، وأن يكون مستعدًا للعمل التطوعي.

**العمل ما أجل البشرية**

إلا أن هناك أناسًا آخرين يركبون قاربًا صغيرًا، ليقفوا أمام ناقلة عملاقة، يتسرب منها النفط بسبب قدمها وتردي حالتها الفنية، ويجبرونها على العودة أدراجها من حيث جاءت، لإصلاح أعطالاها ووقف تلوث البيئة، أو للتوقف عن مغادرة الميناء، لأنها أصبحت غير قادرة على نقل النفط بسلام، ومن شاهد صور الناشطين في منظمة السلام الاخضر (جرين بيس) وهم في عرض البحر، يراهم مثل النملة التي تصارع فيلا، عندها لابد أن يتساءل عن العزيمة الجبارة التي تحرك هؤلاء الأشخاص، وعن هذا الإصرار الذي يمارسون به هذه المهمة، ويتحملون



من أجلها السجن والغرامات المالية والإيذاء، المهم أن يحموا البشرية من الشر الذي يحدق بها، حسب اعتقادهم.

نفس الأمر ينطبق على أولئك الذين يربطون أنفسهم بالسلاسل على قضبان السكك الحديدية، بحيث لا تستطيع القطارات أن تواصل رحلاتها المكوكية، لجلب المخلفات النووية، من إحدى الدول، وتخزينها لسنوات طويلة في مكان آخر، قبل التخلص منها نهائيا، فيأبى هؤلاء النشطاء إلا أن يعطلوا السفينة، غير مكترثين بعواقب ذلك، فقد أصبح من المعتاد أن تصدر الشرطة فاتورة حساب تدخل كل هذا العدد من رجال الشرطة، وتطالب المنظمين لاعتراض طريق القطارات بدفع هذه الفاتورة.

**من هم المتطوعون؟**

ليس صحيحًا أن منظمات العمل التطوعي تقبل أي شخص للالتحاق بها، فمثلًا (جمعية النجم الابيض)، الألمانية التي تشرف على ضحايا العمليات الإجرامية والاغتصاب، تشترط على المتطوعين لديها أن يكون سجل الحالة الجنائية الخاص بهم ناصع البياض، وكذلك من يعمل في خدمة الأطفال لابد أن يكون ذا خبرة في القضايا التربوية، وفي كيفية التعامل مع الأطفال.

كذلك فإن من الخطأ تصور أن المتطوعين هم أناس متقاعدون، يريدون التسلي بأوقات فراغهم، أو أنهن نسوة أرامل يردن الخروج من الجدران الأربعة التي يقبعون وراءها بعد موت أزواجهن.

المتطوعون أناس قادرون على العطاء، استنادًا إلى شهادات علمية وخبرات مهنية، واجتياز المقابلة الشخصية، وإنهاء التدريب العملي بنجاح، عندها يجد الجميع يتسابق لكسبه.

لو فكر كل منا في حياته، لوجد الكثير مما يمكن أن يقوم به من أجله قريته أو مدينته، أو دولته أو حتى العالم أجمع، لأن الخروج عن حيز الذات الضيق، إلى حيث الاهتمام بالقرية والمدينة والمحافظة والدولة والعالم أجمع، يجعلنا أكثر سموًا بالنفس، وأرقى خلقًا، ويجعلنا نحقق مفهوم (القرية العالمية) بأسلوب إيجابي، وإظهار أن الجميع سيتضامن من أجل ألا يخرق أحد سفينتنا، فتغرق بنا جميعا، لأنه ليست هناك أطواق نجاة من المخاطر التي تتهدد العالم.■



## تجارب في العمل التطوعي

# متطوعة في مدرسة إنجليزية

مرام عبدالرحمن مكاوي *- بريطانيا

* كاتبة سعودية، طالبة دراسات عليا.

**خلال سنوات دراستي في المملكة، سواء في المدرسة أو الجامعة، لم يكن مصطلح «العمل التطوعي» يعبر ذهني أو يحتل مساحة من تفكيري، فلم أعرفه من تلقاء نفسي، ولم يحاول أحدٌ من حولي أن يهديني إليه. ويبدو الأمر في المجتمعات العربية والإسلامية كما لو أن حدود مساعدتنا للآخرين تكمن في أن نجود عليهم بمالنا وحسب، مع أن التكافل مبدأ أصيل في الإسلام، ولا شك أنه يشمل جوانب أخرى غير المال، الذي على أهميته يظل عاجزًا عن الوفاء بمختلف متطلبات الحياة. ومع أن الكثيرين من أهل الخير في بلادنا يقومون ببذل المال أو الوقت أو الجهد أو الممتلكات لمساعدة الآخرين، وهي جهود مباركة ومقدرة، إلا أنها في الغالب جهود فردية مبعثرة، ونوع المساعدة المتصور ليس في متناول الكل. فمثلاً في حين يستطيع رجلٌ أن يذهب لشراء حاجيات عائلة ما، فإن شقيقته المرأة ستتحسر ربما وتقول: للأسف أنا لا أستطيع أن أعمل أي شيء للآخرين!**

في المجتمعات الغربية الرأسمالية التي يمكن أن يظن المرء من خلال بعض أدبياتنا الانهزامية، والتي تحاول أن ترفع من معنوياتنا بوصم هذه المجتمعات بكل نقيصة، ومنها أنه مجتمع أناني. جشع، يهتم المرء فيه بنفسه فقط، وبالرغم من أن الفردانية منتشرة بالفعل في المجتمعات الغربية، إلا أن الواحد منا سيدهش حين يطلع على عدد وحجم المنظمات والهيئات والمؤسسات والجمعيات الخيرية والتطوعية التي تدافع وتدعم مختلف شرائح المجتمع: الفقراء، الأطفال، النساء، المهاجرين، المرضى، المعوقين، وغيرهم. كما يمتد دعم بعضها ليشمل المحتاجين لخدماتها خارج الدولة وخارج القارة، مثل ضحايا الكوارث الطبيعية، أو ضحايا الحروب. بالإضافة إلى تلك المهتمة بوجه خاص بحماية الحيوانات والبيئة والمصادر الطبيعية في هذا العالم الذي لم يسلم من أذى الإنسان. وهذه المنظمات تؤدي أدوارًا حيوية جدًا، ولبعضها (مثل منظمة أوكسفام) تمثيل قوي، وتستطيع أن تمارس ضغوطات أحيانًا على السلطات المحلية، أو حتى الحكومة من أجل الدفع لايجاد حلول لقضية ما، غالبًا ما تكون عادلة، ومن أجل حث الدولة على تقديم المزيد من الدعم المادي أو المعنوي.

في مركز المدينة حين أقيم، يوجد محل صغير خاص بالأعمال التطوعية، حيث يمكن للشخص الراغب بالمساعدة أن يذهب إلى هناك، ويستفسر عن الفرص المتاحة له، والتي تتناسب مع ميوله أو ساعات فراغه، وهناك مختصون. لديهم المعلومات الكافية، وقاعدة بيانات خاصة بكل الفرص التطوعية التي تنتظر متطوعًا ما

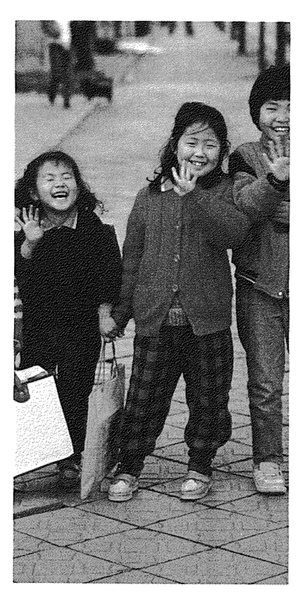
في المنطقة. وفي نفس الوقت فإنه غالبًا ما يمكن الاستفسار عن هذه المعلومات إما عن طريق الهاتف، أو البريد، أو شبكة الإنترنت، وبالتالي ما عليك سوى أن تقرر وتختار.

بالنسبة للأعمال التطوعية المتاحة فهي كثيرة للغاية ولا يمكن حصرها، وسأحاول أن أذكر بعضها هنا. مثلاً هناك مساعدة بعض كبار السن الذين يعيشون وحدهم بأخذهم للتسوق، أو القيام بشراء احتياجاتهم مرة أو مرتين في الأسبوع، أو أخذهم في نزهة إلى الحديقة لكسر وحدتهم، أو مساعدتهم في المنزل بمجرد الحديث معهم والقراءة لهم. وهناك أيضًا مساعدة المراهقين الذين يعانون اضطرابات سلوكية أو دراسية أو عقلية. إما بالحديث معهم، أو بأخذهم في نزهات أو بمساعدتهم في دروسهم، أو بمجرد محاولة بث الأمل فيهم بأن هناك حياة جديدة تنتظرهم. أو قد يكون هذا العمل التطوعي المساعدة في تنظيف حي ما، أو طلاء جدار في مدرسة، أو إعطاء دروس لأبناء ذوي الدخل المحدود في اللغة أو الموسيقى أو أي شيء آخر يجيده المتطوع حتى لو كان لعبة كرة القدم.

وهناك أيضًا العمل فيما يعرف بالمحلات الخيرية. وهذه المحلات تقوم على التبرعات الشخصية، فمثلاً حين أردتُ أن أتخلص من بعض ملابسي التي لم أعد أحتاج إليها غسلتها ورتبتها، وحملتها إلى أحد هذه المحلات القريبة مني. والتي ستختار المناسب منها وتعيد بيعها بسعر زهيد، وريعها مخصص لهدف طيب مثل مساعدة الأطفال المحتاجين، أو كبار السن، أو مرضى القلب أو السرطان وغيرها. وهذه المحلات تبيع أي شيء وكل شيء! مادام بحالة جيدة. فتجد فيها الملابس المستعملة، الكتب، الألعاب، التحف، أوراق اللعب، إطارات الصور، أحذية، أسطوانات موسيقى، وأشياء أكثر من أن تحصى. وكما ذكرت فإنه يصعب عليّ أن أحصر هنا كل الأعمال التطوعية المتاحة للفرد في بريطانيا، فبعضها تقليدي، وبعضها مبتكر جدًا.

ولأن النيات الطيبة لا تكفي، ولأن هذا العالم مبتلى بأناس يلبسون جلد الشاة وهم في الحقيقة ذئاب، فإن هناك قوانين تحكم وتنظم عملية التطوع هذه. فمثلاً في أعمال بعينها، لابد من التحري الدقيق عن الشخص المتطوع، ومراجعة سجله لدى الشرطة (إن كان لديه واحد) في كل الأماكن التي عاش فيها، للتأكد من أنه لم يرتكب جرائم خطيرة، خاصة مثل السرقة، التحرشات الجنسية ولا سيما بالأطفال، أو العنف بأي شكل. وحين يأتي الأمر للعمل مع الأطفال، تصبح القوانين أكثر تشددًا باعتبارهم أكثر عرضة للاستغلال، خاصة بعد أن وقعت حوادث مؤسفة (وإن كانت محدودة) في الماضي.

والجامعة في بلد مثل بريطانيا، ليست منعزلة عن المجتمع، بل هي جزء منه، تتفاعل معه. وتحاول أن تقدم عبر ثروتها البشرية من الشباب شيئًا له.



وهكذا فإن في كل جامعة تقريبًا مكتبًا مصغرًا، يشبه ذلك الموجود في قلب المدينة، ولكنه هنا خاص بمنسوبي الجامعة من الطلبة وغيرهم. وهو يمارس نفس الدور باحتراف مع الفارق بأن من يدير هذا المكتب هم بدورهم متطوعون وطلبة أيضًا.

زرتُ هـذا المكتب خـلال سنتي الأولى في الجامعة، بعد أن قرأت عبر منشوراتهم عن مشروع اسمه «أصدقاء اللغة»، وهو مشروع يهدف إلى مساعدة الطلبة الذين انضموا إلى نظام التعليم البريطاني أخيرًا منتقلين من نظام آخر، يستخدم لغة أخرى، فوجدوا أنفسهم ضائعين. خاصة وأن ظروف الكثير منهم صعبة، فبعضهم أبناء لاجئين سياسين، أو لاجئين بسبب الكوارث والحروب، وفي حالات كثيرة فإن آباءهم لا يجيدون الإنجليزية. وهـكـذا تجـد المدرسـة نفسها في وضـع صعب. فالطفل وعائلته لا يفهمون لغة المدرسة والبلد، والآخرون لا يفهمون لغتهم بالمقابل، ومن الصعب في بلد كبريطانيا يستقبل آلاف اللاجئين كل عام، من كل بقعة من الأرض، أن يعينوا مترجمًا لكل اللغات الحية. ولذلك فإن وجود متطوعين ممن يجيدون الإنجليزية ولغة أخرى يعملون مع المدرسة سيساعد الجميع. وحين قرأت أن اللغة العربية هي إحدى اللغات المطلوبة لم أتردد في أن أقدم طلب الالتحاق بالبرنامج.

استغرق الأمر بعض الوقت، فأنا سأعمل مع الأطفـال في مدرستهم، وبالتالي فإنه لابد من أخضع لعملية تحر للتأكد من أن ليس لي تاريخ سيئ في هذا المجال. ولما لم يكن قد مضى عليَ خمس سنوات في بريطانيا فكان عليّ أن أحضر شهادة من بلدي تثبت بأنني سليمة قانونيًا، وكانت تلك قضية صعبة، لأن العاملين بالسفارة غير معتادين على طلب من هذا النوع. على كلٍ بينما تنتهي أوراقي، بدأ تجهيزي للمهمة، أولاً عن طريق حضور دورة تدريبية عامة لكل الطلبة المتطوعين، وأخرى خاصة بمن سيعملون في هذا المشروع. وبالتالي سمح لنا بأن نسأل ونستفسر عن دورنا وعما ما هو مطلوب أو متوقع منا. وتم إعطاؤنا كتيب للقراءة يحوي معلومات لنا، وأخرى يمكن ان تساعدنا في شرح بعض القوانين المدرسية لأهالي

> في مركز المدينة حيث أقيم، يوجد محل صغير خاص بالأعمال التطوعية، حيث يمكن للشخص الراغب بالمساعدة أن يذهب إلى هناك، ويستفسر عن الفرص المتاحة له، والتي تتناسب مع ميوله أو ساعات فراغه، وهناك مختصون، لديهم المعلومات الكافية، وقاعدة بيانات خاصة بكل الفرص التطوعية التي تنتظر متطوعًا ما

الطلبة، إذ كانت هـذه الكتيبات باللغة العربية فيما يتعلق بي. وأجريت لي أيضًا مقابلة شخصية مع مسؤولة في وزارة التربية والتعليم والتي تقوم بالتنسيق مع مختلف المدارس، والحقيقة أنها كانت لطيفة جدًا وشاكرة لتعاوني، مما جعلني أتفاءل وأتطلع للعمل بشغف.

مـن حسن حظي أن المدرسة التي تقرر أن أساعدها (والتي حرص المنظمون على أن تكون قريبـة مـن مكـان سكني، ولـو أنـه يحـق لي أن أطالبهم بثمن تذاكر المواصلات)، كانت مدرسة ثانوية للبنات، وهي المدرسة الحكومية الوحيدة المتبقية التي تقوم على فصل الجنسين في مدينتي، وهذا أسعدني وأراحني، فلم أكن أحب أن أتعامل مع المراهقين من الذكور في هذا البلد، أو أن أدخل مدارسهم لأنهم بدوا لي وأنا أراهم في الشارع أو الحافلة أنهم مزعجون ويمكن أن يكونوا عنيفين وغير مهذبين.

حين وصلت إلى المدرسة استقبلتني المعلمة المسؤولة عن صف هـؤلاء الطلبة الأجانب. فقد ابتكرت المدرسة (وهـي حكومية) فكرة ممتاز تقوم على أن يوضع كل الطالبات الجديدات في صف واحد، بغض النظر عن أعمارهن، كخطوة ابتدائية، بحيث يشعرن بالراحة وسط أولئك اللاتي يعشن ظروفًا مشابهة، ولا يُجِدن اللغة،

ثم يتم توجيههن شيئًا فشيئًا حسب التقدم الذي يحرزونه إلى صفوفهن المناسبة، وبعضهن يستمر في الدراسة مع صفه ومع هذا الصف الخاص في الوقت نفسه، حسب المادة التي يدرسنها. وفي هذا الفصل أيضًا توجد أجهزة كمبيوتر مزودة ببرامج تساعد الطلبة على تعلم مبادئ اللغة والحساب باللغة الإنجليزية. فمعظم الطالبات يعلمن أن ١+١ =٢ ولكنهن لا يعرفن كيف يقلن ذلك بالإنجليزية، وبهذا تساعدهن هذه البرامج في تعليمهن هذه المصطلحات.

أول ما لفت نظري حين دخلت الصف، هو أن النسبة العظمى من الطالبات هن من بناتنا المسلمات! ومعظمهن لاجئات هنا بسبب الفقر أو الحروب أو الكوارث. فهذه من الصومال، وتلك من إيران، وثالثة من أفغانستان، ورابعة من باكستان، وخامسة من السودان، وسادسة من اليمن، وسابعة من تركيا. وقد تقرر أن أعمل ابتداء مع طالبة واحدة، وقد فرت عائلتها (العربية) من دارفور بالسودان. ثم تقرر أن أعمل مع فتاتين أخريين واحدة من اليمن، والأخرى من أرتيريا وهي تجيد العربية بطلاقة.

باختصار كنت أذهب للمدرسة كل أسبوع لمدة ساعتين، أساعدهم في القراءة، ونذهب للمكتبة لهذا الغرض، او أحضر لهن معي قصصًا، وأحيانًا

**نعم أنا لا أستطيع أن أوقف الحروب في دارفور، ولا أن أقضي على الفقر في اليمن، أو أن أعيد بناء الصومال أو أفغانستان، وبالتالي أن أوقف هذا النزيف البشري من الجنوب إلى الشمال، لكنني أستطيع أن أساعد أناسًا من هذه البلدان، ليندمجوا في هذا المجتمع الذي سيعيشون فيه بإيجابية عن طريق التعليم والوعي**

في حل الواجبات، وأحيانًا نتكلم وحسب، وذات مرة زرت إحدى العائلات مع المعلمة لنستفسر عن سبب توقف إحدى الطالبات عن تناول الطعام، وأيضًا لنحاول إقناع الوالد عن طريق توفير المعلومات له بشأن رحلة تعتزم المدرسة القيام بها إلى إحدى الشواطئ الإنجليزية.

ومع أنني أشعر بأنني لم أقدم شيئًا وأنه كان يمكن أن أقدم أكثر، فقد حال عدم التنظيم من المدرسة أحيانًا، وعدم وضوح ما يجب عليّ فعله، بالإضافة إلى قصر المدة (حوالي ثلاثة أشهر أو تزيد قليلاً) في التقليل من حجم الاستفادة برأيي، إلا أنني سعيدة بخوض التجربة. فلقد أحببتُ البنات وأحببنني بدورهن وحين أقابلهن اليوم مصادفة في مكان ما فإنهن يسرعن لاحتضاني والسلام عليّ، فقد كنت أختًا كبرى لهن، وكن يتفنن في تقديم الشكاوى من المدرسة لي، ولاتزال إحداهن ترسل لي من حين لآخر رسالة إلكترونية وتسألني لم لا أعود؟

طوال الفترة التي كنت أعمل فيها في المدرسة كنت أتمنى من كل قلبي لو أستطيع أن أنقل تجربتي هذه، أو قريبًا منها إلى بلدي. كم من الطاقات المعطلة في المدارس والجامعات بل وحتى في البيوت، وما أكثر ما نستطيع (حتى كنساء رغم قدرتنا المحدودة على التنقل وغيرها) أن نفعله لأهلنا ومجتمعنا، سواء كنا مواطنين أو مقيمين، صغارًا أو كبارًا، مرتبطين بعائلة أو بدون.

لماذا لا نحاول أن نساعد دور الرعاية الاجتماعية في مدينتنا أو قريتنا؟ فمن تجيد مهارة ما مثل حفظ القرآن، أو الحاسب الآلي، أو اللغة الإنجليزية، أو الأعمال الفنية، أو التصوير، يمكن أن تقدم ساعتين أسبوعيًا فقط من أجل تقديم دورة مجانية لهؤلاء الصغيرات اللاتي أتوقع أنه قد قتلهن الملل والبقاء لفترات طويلة داخل الدار، والأمر نفسه في حالة الصبيان. وإذا كنت شابًا أو رجلاً، ولديك قدرة على التنقل فيمكنك أن تخصص ساعة أو ساعتين أسبوعيًا، لتنقل مجانًا من يحتاج إلى أن ينتقل ولا يجد سيارة، ويضطر لركوب سيارة أجرة، مثل زيارة رجل مسن لطبيبه، أو لمراجعة دائرة ما. وربما يكون بالتفاهم

مع المسؤول عن الأنشطة الخيرية، أن تتعهد بأن تتولى شهريًا أو أسبوعيًا شراء احتياجات الأسر (وليس شرطًا أن تدفع من مالك الخاص.. فهناك من لديه المال وليس لديه الوقت والعكس صحيح) المقيمة هنا، ومعظمهن نساء بلا عائل. أحيانًا يكون ما يحتاج إليه المرء ليس بأكثر من كلمة طيبة وشعور بالاهتمام، فزيارة دار الأيتام، أو دار العجزة (بالنسبة للجنسين) مرة في الشهر، مع شراء بعض الهدايا البسيطة، ومساعدة الأطفال في التلوين، أو الحديث مع مسن عن الزمن الغابر، أو أخذه لزيارة بيت الله أو لزيارة حارته القديمة، يمكن أن يصنع فرقًا في حياة الآخرين. وإذا كنت رب عائلة، أو أمًا فلما لا تجربون أن تصطحبوا طفلاً أو طفلة معكم ومع أطفالكم إلى البحر أو مدينة الملاهي ذات مرة؟ علهم يعيشون يومًا في الحياة الحقيقية، وليس بيئة الدار الصناعية.

كما أن المساهمة مع جمعيات مكافحة الإدمان والتدخين حتى لو بتصميم الملصقات الدعائية، أوتوزيع المطويات التي تحذر من التدخين على الطلبة أو الطالبات (وأنا أخاطب هنا بشكل خاص القراء ممن لازالوا مثلاً على مقاعد الدراسة)، فكلها أمورٌ بسيطة ولكنها يمكن أن تصنع فرقًا في بلادنا ومجتمعنا، وأجرها عند الله عظيم، أليس ديننا هو الذي جعل إماطة الأذى عن الطريق صدقة؟ وجعل أجر الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالصائم لا يفطر والقائم لا يفتر؟

مضى ما يقارب عامين على عملي كمتطوعة في مدرسة «ماننغ» الثانوية للبنات، ومع ذلك إلى اليوم، ما أزال أتذكر تلك الفترة بكثير من الاعتزاز، لأنني يومها فعلتُ شيئًا غير مألوفًا بالنسبة للمبتعثات السعوديات، ولأنني شعرتُ بأنني استثمرت وقتي وجهدي (إذ تحملتُ السير مثلاً تحت المطر في بعض الأحيان) من أجل هدف نبيل، وهو مساعدة أولئك الذين يحتاجون للمساعدة، وكان من حسن حظي أنني كنت أساعد في الوقت نفسه أناسًا يعتنقون ديني.

نعم أنا لا أستطيع أن أوقف الحروب في دارفور، ولا أن أقضي على الفقر في اليمن، أو أن أعيد بناء الصومال أو أفغانستان، وبالتالي أن أوقف هذا النزيف البشري من الجنوب إلى الشمال، لكنني أستطيع أن أساعد أناسًا من هذه البلدان، ليندمجوا في هذا المجتمع الذي سيعيشون فيه بإيجابية عن طريق التعليم والوعي، وأن أقدم لهم صورة إيجابية عما يمكن أن تقدمه امرأة مسلمة، في بلد غير مسلم.

أن تساعد الآخرين، مهمة مربحة أبدًا، فالرضا الداخلي هو أول الجوائز في الدنيا، ويظل رجاء المثوبة من الله جل ما يرجوه المرء.. وفي كل ذات كبدة رطبة أجر. ■

متطوعة في مدرسة إنجليزية

## تجارب في العمل التطوعي

# الجمعيات الأهلية المصرية .. في الميزان

ممدوح الوالي * - مصر

انحصر مفهوم العمل التطوعي في عالمنا العربي حتى منتصف الثمانينيات على ذلك العمل الفردي أو الجماعي غير المنظم الذي يظهر عند حدوث الكوارث والملمات، ثم تطور تدريجيًا إلى تلك المنظمات التي تقدم خدمات اجتماعية للمجموعات الضعيفة والتي يطلق عليها المجموعات الخاصة في علم الخدمة الاجتماعية، مثل رعاية الأطفال الجانحين أو غير الشرعيين والمعوقين والمكفوفين والصم والبكم. وهناك منظمات تطوعية تهتم بغير هذه المجموعات، والمجتمع المصري أحد المجتمعات العربية التي نما فيها العمل التطوعي مؤخرًا وإن ظل يغلب عليه الطابع الفردي ويفتقر إلى التنظيم السليم والدراسة الوافية للأبعاد الاجتماعية والثقافية التي يتطلبها هذا العمل.

وعلى الرغم من ذلك فإن الجمعيات الأهلية تؤدي دورًا مهما في المجتمع المصري، سواء في تقديم المعونات المالية للأسر الفقيرة أو في توفير العلاج لغير القادرين. وهذان الجانبان هما الأكثر إلحاحًا بالنسبة للحالة المصرية. لكن هذه الجمعيات تفقد كثيرًا من أهميتها والمعونات المقدمة لها في حالة غياب الشخص المؤسس لها أو وفاته. وهناك أمثلة متعددة على ذلك : مثل ما حدث لمشروع (ليلة القدر) بعد وفاة راعيه الكاتب الصحفي مصطفى أمين، وكذلك المشروعات الخيرية التي توقفت بعد وفاة الكاتب عبدالوهاب مطاوع.

و على الرغم من أن هناك آلاف الأسر التي تعيش في «العشش» ولا تجد ما تفترشه على الأرض، فضلاً عن عدم وجود مياه للشرب أو دورات مياه صالحة للاستخدام، أو ملابس أو طعام كاف، وأنه لولا دور المتطوعين والجمعيات الأهلية لأصبح أفراد هذه الأسر متسولين أو مجرمين، وأن الجمعيات التطوعية تقدم ٦٠٪ من الخدمات الصحية للفقراء وترعى نحو ١٢ مليونًا تحت خط الفقر في مصر طبقًا لإحصائيات الأمم المتحدة، إلا أن رجال الأعمال لا يثقون بهذه الجمعيات ولا يقدمون الجهد الكافي من الرعاية لها.

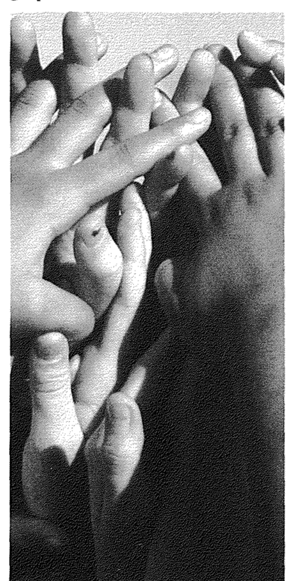
ومن خلال عملي في عضوية الاتحاد العام للجمعيات الأهلية المصرية لاحظت أن الكثير من هذه الجمعيات مازال في طور التكوين، وأنها تفتقر إلى وجود الكوادر البشرية المدربة، إلى جانب عدم تبادل الخبرات فيما بينها، وهو ما يمثل قصورًا كبيرًا يشتت جهود العمل التطوعي، ويؤدي إلى سوء التوزيع في الاختصاصات، وبنظرة بسيطة يمكنك أن تدرك أن عددًا كبيرًا من الجمعيات يكرس جهوده في مكان واحد رغم وجود العديد من المناطق الشعبية والأحياء السكنية المحرومة وهي في أشد الحاجة لمثل هذه الخدمات.

بالإضافة إلى ذلك هناك عدد كبير من هذه الجمعيات ليس لديه أية إمكانيات، ومقر كل منها عبارة عن غرفة أو غرفتين في إحدى الوحدات السكنية، بجانب أن بعضها قد أنشئ

* عضو الاتحاد العام للجمعيات الأهلية المصرية

لغرض استثماري، وتستغل مثل هذه الجمعيات بعض الشعارات التي تجذب المنح والتبرعات الأجنبية. وفي المقابل هناك الكثير من الجمعيات التي تمارس دورًا فعليًا في تنمية المجتمع وإن كان الكثير منها يقتصر على منطقية جغرافية بعينها، أو أنه أنشئ لخدمة مجموعة عرقية بعينها مثل: نادي أبناء النوبة وجمعية أبناء سوهاج ودار الأشراف وغيرها.

إن المشكلة الرئيسة التي تواجه الجمعيات الأهلية في مصر من وجهة نظري هي حالة العشوائية في العمل وغياب المعلومات والإحصائيات الدقيقة التي قد تساعد هذه الجمعيات على التوجيه السليم لجهودها مثل: نسبة البطالة، وعدد العاطلين في كل محافظة، وعدد الأسر التي تقع

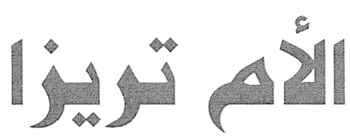


تحت مستوى خط الفقر، وكذا التوزيع الجغرافي للأحياء الفقيرة، وأعداد الأسر التي توفي عائلها، وغير ذلك من الإحصائيات التي تحتاج إليها الجمعيات التطوعية، لذلك تجد أن هذه الجمعيات تتحرك بشكل عشوائي وتتركز في مكان وتختفي في آخر .كما أن أعداد هذه الجمعيات غير معروفة بدقة، وتتضارب أرقامها لدى الأجهزة الرسمية المختلفة.

كما أن وجود العديد من المعوقين في الشوارع والميادين الذين يحترفون التسول ويذهبون للجمعيات للحصول على إعانة أو كرسي متحرك ثم يعودون لممارسة التسول، يعطل سير العمل التطوعي، ويدعم مناخ عدم الثقة وهو أيضًا نتيجة لغياب التنسيق وعدم وجود حصر لهذه الحالات، كما أن الغلاء لم يترك فائضًا لدى كثير من الناس يتبرعون به، ومن جانب آخر فإن الأثرياء محاصرون بأدوات الرقابة والقوانين التي تجرم التبرع للجمعيات الأهلية دون الحصول على تصريح رسمي مسبق.

ويضاف إلى كل ما سبق عدم وجود كوادر بشرية مدربة على كثير من مجالات العمل التطوعي، وأذكر أنني ذهبت مرة مع فريق من المتطوعين في إحدى الجمعيات لزيارة مستشفى الأمراض النفسية بالعباسية وقد وجد أفراد الفريق ضمن ما وجدوا مرضى عليهم ثياب متسخة وقذرة تنبعث منها رائحة كريهة، وحينما أردوا تغيير ملابس أحد المرضى كانوا يفعلون ذلك بأطراف أصابعهم، ويبعدون وجوههم تجنبًا للرائحة، ولم يتموا مهمتهم في مساعدة باقي المرضى، وعندما عاودت زيارة نفس المستشفى مع فريق ينتسب لمنظمة أجنبية لحقوق الإنسان رأيت أحد أفراد هذا الفريق يقوم بخلع مثل هذه الملابس ويقوم بغسلها باستخدام الصابون والفرشاة بمهارة عالية ودون خجل أو تقزز، ورأيت أحد أفراد هذا الفريق وقد ذهب لتجهيز الحمام لإزالة الأوساخ التي علقت بجسم المريض، وهذا هو الفرق بين الأفراد المدربين بشكل عملي على مساعدة المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، وبين من لا يحسنون التصرف في مثل هذه الحالات.

أشهر متطوعة في القرن العشرين



# الأم تريزا


محمد الصاوي* . مصر


* كاتب صحفي.

**في ألبانيا وُلدت عام ١٩١٠. وعندما صارت في التاسعة عشرة ركبت البحر سبعًا وثلاثين ليلة إلى الهند، لتصلها عام ١٩٢٩، فتعمل معلمة للجغرافيا. وهناك حصلت على الجنسية الهندية عام ١٩٤٩، فصارت تعرف بـ «تريزا دي كالكوتا» Mother Teresa Of Calcutta. في سنة ١٩٥٠ أسست مع ١٢ راهبة «الإرساليات الخيرية» missionaries of charity ليصل تعداد أعضائها حاليًا أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة من الراهبات والرهبان. وبحصولها على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٩ تأكدت شهرتها العالمية. وفي عام ١٩٩٦ مُنحت الجنسية الأمريكية الفخرية. وصُنع عن حياتها أكثر من فيلم سينمائي طويل. وفي عام ١٩٩٧ فتحت ألبانيا والهند سفاراتهما في دول العالم لتسجيل التعازي في وفاتها. وفي جنازتها لُف الجثمان بالعلم الهندي، وأُجريت لها مراسم التشييع التي تقام لرؤساء الدول، وحُملت على عربة المدفع التي حُمل عليها جثمان «غاندي» و«نهرو». وبعد سنة من وفاتها نُسبت إليها من المعجزات ما جعل بابا الفاتيكان في ٢٠٠٣ يضعها في مرتبة «قديسة»، فباتت في نظر كثيرين فوق أي نقد. وصارت عبارة «الأم تريزا» جزءًا من اللغة ومجازها.**

قليلون حفروا أسماءهم في القرن العشرين، انقضى القرن ولكن هم بقوا. زمرة من الأفذاذ، كل في مجاله. ومهما اختلف الناس في تقدير الشخصيات البارزة فلن يخالف إلا قليلون في أن الأم تيريزا علامة بارزة في القرن العشرين. فالعظمة الشخصية تحققت في كثير من ذوي (الكاريزما)، لكن قلة من هؤلاء هم الذين تركوا خلفهم أشخاصًا يحملون فكرتهم، ويبلغون رسالتهم، ويواصلون مسيرتهم، ويسعون لتحقيق مقاصدهم. وفي تصوري أن الأم تريزا هي واحدة من تلك الشخصيات التي تمتد حياتها في عدة آلاف من الراهبات اللاتي يواصلن عملها. لأن الأم تريزا ببساطة تحولت إلى (مؤسسة). فهناك راهبات يعملن اليوم في نحو مائة وثلاثين دولة، في إطار «إرسالية راهبات المحبة» التي أنشأتها الأم تيريزا، وتعرف بالراهبات الهنديات أو راهبات الأم تريزا. فهل تمثل الأم تريزا جسرًا للتفاهم والمحبة بين بني الإنسان؟ من يدري! ربما لو أجمع الناس - أو غالبيتهم - على تقدير الأم تريزا، فقد يجتمعون على معاني الحب، ويسقطون عنهم الأقنعة الأيديولوجية، ويقنعون بأن ما يجمع بين بني الإنسان لهو أكثر بكثير مما يفرق بينهم. من منا لا يحتاج إلى أن يحب وأن يحَب؟

بالرغم من أن نشاطاتها تجاوزت الحواجز

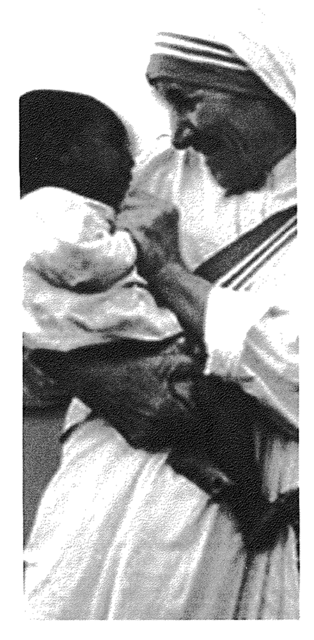
الطبقية والوطنية والطائفية. فإن هذا لم يمنع ألبانيا ومقدونيا اليوم من التنازع على نسبة الأم تريزا، كل يريدها تنتسب إلى جنسية دولته، بالرغم من أن التاريخ يشهد أن تريزا ولدت لأبوين ألبانيين كانا يعيشان في سكوبيا Skopje (العاصمة الحالية لمقدونيا) في الوقت الذي كان هذان البلدان ما يزالان جزءًا من الدولة العثمانية. فتقول ألبانيا إن هذا يجعل من الأم تيريزا ألبانية. وطالب رئيس الوزراء الألباني بأن يدفن جثمانها في ألبانيا. غير أن الجانب المقدوني يقول إن كون مسقط رأسها في سكوبيا يجعل منها مقدونية، فضلاً عن أن اسمها الأصلي «جونشي بوياخيو» Ganxhe Bojaxhju طبقًا للرواية المقدونية، أو طبقًا للجنة نوبل Agnes Gonxha Bojaxhiu.

تعلمت في بداية حياتها في مدرسة لليسوعيين في الرهبانية اليسوعية اليوغسلافية. وفي ١٩٢٨ أرسلت إلى دبلن في إيرلندا للدراسة والتأهيل. فكانت البداية هي الرهبنة في دير في أيرلندا Sisters of Loreto. ثم أُرسلت إلى دير تابع بالقرب من كالكوتا في الهند (أكبر مستعمرات بريطانيا). عملت في مهنة التدريس في مدرسة تابعة للدير على مدى ١٧ عامًا، حتى أصبحت مديرة لثانوية «القديسة مريم» في كالكوتا.

في عام ١٩٤٨ أُذِنَ لها بمغادرة الدير والذهاب إلى أحياء كالكوتا الفقيرة؛ لإنشاء أول مدرسة لها في الهواء الطلق. ولحقت بها تلميذة سابقة لها. ثم تبعتها راهبات أخريات. وفي عام ١٩٥٠ أسست بموافقة الفاتيكان «إرسالية راهبات المحبة». تميزت راهباتها بالثوب الذي صار علامة عليهن، وهو عبارة عن (ساري) أبيض ذي إطار أزرق، مع شارة الصليب على الكتف اليسرى. وأُعلن أن هدف الإرسالية «العناية بالجائعين والعراة والمشردين والعاجزين والعميان والمنبوذين. كل هؤلاء البشر الذين يشعرون بأنهم غير مرغوب فيهم، أو محرومون من العناية والمحبة. أولئك الذين يعتبرهم أفراد المجتمع عبئًا عليهم؛ فيتجنبوهم».

عاونتها السلطات في تخصيص منزل لرعاية المصابين بأمراض مميتة، للعناية بهم في أيامهم الأخيرة؛ لكي يموتوا بكرامة. وأنشئ منزل آخر للمرضى المزمنين. ثم مجموعة منازل صغيرة لإيواء المنبوذين من المصابين بأمراض معدية. ثم مأوى للأيتام.

في عام ١٩٦٥ منحها الفاتيكان الإذن بالتوسع والعمل في أنحاء العالم كافة. فتوسعت الإرسالية وزاد عدد الراهبات، وامتد نشاطهن إلى فيتنام



وكمبوديا وأفغانستان وأثيوبيا وجنوب أفريقيا وألبانيا ولبنان واليمن ومصر وليبيا والأردن والبرازيل وأرمينيا وسورية، ودول الاتحاد السوفيتي السابق، وشرق أوروبا، وأستراليا، وحيثما تقع الكوارث. (من اللافت أن المرضة يطلق عليها في كثير من البلاد العربية لفظ sister).

صارت «إرسالية راهبات المحبة» مؤسسة عالمية، إذ تضم نحو ٥٧٠ مركزًا حول العالم، تتولاها بصفة أساسية ٤٥٠٠ راهبة، إلى جانب (أخوية) من ٣٠٠ راهب، إضافة إلى ما بين مائة ألف وثلاثمائة ألف متطوع، يخدمون في مدارس حول العالم، أو يعملون في العناية بمرضى الإيدز والبرص والعاجزين والأيتام، بميزانية تعدل ثلاثة أضعاف ميزانية اليونيسيف.

بسبب وجود المؤسسة في أماكن الخطر والمصائب والأوبئة والمجاعات، حظيت الأم تريزا بإعجاب العالم. ولكن السيدة التي لم تكن تحسب للمال أي حساب عرفت كيف تستغل سمعتها العالمية بذكاء من أجل جمع المال لخدمة القضية التي جعلتها هدفًا لها. وكانت تعرّف نفسها بالقول:«أنا ألبانية الدماء وهندية الجنسية. إيماني إيمان راهبة كاثوليكية. دعوتي أن أكون للعالم، وقلبي ملك بكليته ليسوع».

كان الإعلام يلاحقها، وحرص كل إعلامي بارز على أن يكتب عنها أو يجري معها مقابلة. أعطت الأم تريزا حق كتابة فيلم عن حياتها حصريًا للكاتب Dominique Lapierre الذي كتب عنها فيلم «In the Name of God's Poor»، ولم يكن بالفيلم الوحيد عنها. نشرت مجلة التايم صورتها على صدر غلافها في ديسمبر ١٩٧٥، ثم اختارتها المجلة الأمريكية واحدة من أهم مائة شخصية في القرن العشرين (من وجهة نظر المجلة). ترى هل استفادت مؤسسة الأم تريزا من الاهتمام الإعلامي، أم استفاد الإعلاميون، أم استفاد الفقراء؟ إنها طريقة الغربيين في صناعة المشاهير. لقد جعلوا منها نجمة (سينمائية)، وهي بريئة من هذه الطريقة في الدعاية. لقد كانت طريقتها هي: «يجب أن يكون هناك القليل من الكلام... خذ المكنسة ونظف بيت أحدهم، هذا هو ما يعبر عن كل شيء».

> ربما كانت أفعالها أبلغ كثيرًا من أقوالها، وإن لم ينقص كلامها بلاغة البساطة. فمن أقوالها: «اخترتُ أن أكون فقيرة: لأن الفقر بالنسبة لي مرادف للحرية. إن ما يستطيع الغنيّ أن يحصل عليه بقوة المال نقدمه نحن بمحبة وعاطفة وحنان، إلى جميع المحتاجين»

وضعت الأم تريزا مجموعة مؤلفات، منها:

«Mother Teresa: In My Own Words»

«No Greater Love»

«The Joy in Loving: A Guide to Daily Living»

«Everything Starts from Prayer: Mother Teresa's Meditations on Spiritual Life for People»

«Meditations from a Simple Path»

«Simple Path»

One Heart Full of Love

In the Heart of the World: Thoughts, Prayers, and Stories

A Gift for God: Prayers and Meditations

Seeking the Heart of God: Reflections on Prayer

Words to Love

وكتب آخرون عنها – وبالاشتراك معها أحيانًا – عدة مطبوعات. وعلى الشبكة الدولية مواقع شتى خصصت للأم تريزا ومؤسستها، من أبرزها:

HYPERLINK "http://www.ewtn.com/motherteresa" http://www.ewtn.com/motherteresa

HYPERLINK "http://www.motherteresa.org/" http://www.motherteresa.org

قد يجد بعض الأثرياء والمترفين في العمل التطوعي تسلية ومتنفسًا، يهرب إليه من شقائه الروحي، وإحباطاته العاطفية، وتعاسته الوجدانية. وقد يكون العمل التطوعي أحيانًا غطاء لنشاطات سرية مشبوهة. لكن عندما يتجرد شخص من زخرف الدنيا وزينتها، ويحيا بمحض إرادته حياة الفقر والفاقة والعوز، ثم يكرس حياته للعمل التطوعي في خدمة البؤساء والمرضى والأيتام، فإن من الصعب أن يتشكك أحد في غاياته. ولكن هل من المقبول أخلاقيًا أن يكون العمل التطوعي مجالاً لتحويل بعض المحتاجين والضعفاء عن دينهم

نحن لا ندعو أحدًا إلى تقديس الأم تريزا: فهناك ما يكفي من الأشخاص الذين يؤمنون بأنها قديسة (طوباوية). لكنها فرصة لكي نتأمل في جدوى العمل التطوعي: باعتباره ضرورة تمليها علينا عقيدتنا وظروفنا العسرة، ومناسبة لكي نستحث بني قومنا حتى يقدموا يد الاحسان إلى من تقدمت إليهم الأيادي بالإساءة

وعقائدهم التي نشؤوا عليها؟ هل يصح أن يكون العمل الإنساني التطوعي تابعًا للعمل السياسي؟ وهل يليق أن يقدم العمل التطوعي في زفة دعائية وفي طوفان من الأكاذيب والتلفيقات؟ أصابع الاتهام تشير أحيانًا إلى جهات تتوسل بالعمل التطوعي بين البسطاء، لكي تغريهم بالارتداد عن دينهم، واتباع ديانة من يقدمون لهم العون.

الملايين في العالم يقدرون شخصية الأم تريزا ويحبونها، ولكن لا تخلو حياة الأم تريزا من منتقدين (أو متحاملين): فقد اتهمت بمخالطة شخصيات دكتاتورية في ألبانيا وهاييتي، وبالترويج لصورة متشددة من الكاثوليكية، وبقبول تبرعات من أشخاص ليسوا فوق الشبهات

HYPERLINK "http://www.salon.com/sept97/news/news3.html" http://www.salon.com/sept97/news/news3.html). واتُّهمت مؤسستها بالترويج للكاثوليكية في دار الإسلام، مستغلة ظروف الفقراء، ومستغلة المشاعر الطيبة للمسلمين تجاه المسيحية، لكونهم يؤمنون بأن السيد المسيح رسول الله، ويصدقون بما جاء به من معجزات أخبر عنها القرآن، كما يؤمنون بأن أمّه مريم صديقة اصطفاها الله وطهرها وفضّلها الله على نساء العالمين.

امرأة هندوسية قالت: «أنا حذرة جدًا من الحركات الكاثوليكية.. إن بعض أعمالهم الصالحة هي في الواقع مرتبطة بمنافع مادية. لكن تريزا بصفتها الشخصية تحوز كل ثقتي». وصحفي كاثوليكي قال: «إن تريزا تجهر بإيمانها، ولكنها لا تفرض عقيدتها؛ لأنها لا تجبر أحدًا بأية طريقة كانت... تقيم شراكة بعيدة جدًا عن الإكراه أو التبشير أو الدعاية لمذهب».

وتكلم أناس عن علاقة الأم تريزا بالأميرة ديانا، لكن الأم تريزا كانت تقول إنها علاقة غير متينة، ولاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار طلاقها، وكانت الأم تريزا ضد الطلاق من حيث المبدأ. برغم أنها كانت تزمع تأدية صلاة لراحة نفس

الأميرة، التي سبقتها إلى العالم الآخر بخمسة أيام.

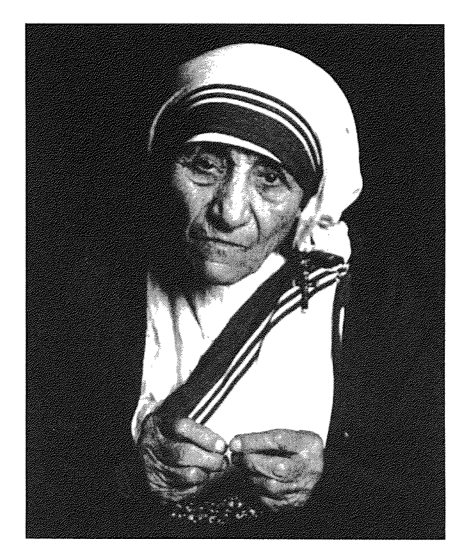
وذكر مؤلف نشأ وعاش في كالكوتا (Aroup Chatterjee) أن الإعلام روّج لصورة نمطية غير مطابقة للواقع عن كالكوتا، وأنه بالغ كثيرًا في تضخيم الدور الذي لعبته الأم تريزا هناك. (راجع كتابه Mother Teresa The Final Verdict). وبقليل من التفاصيل ذكر كيف أذاعت القناة الرابعة في بريطانيا فيلم Hell's Angel، متحديةً «أسطورة الأم تريزا»، ولم ينس المؤلف أن يعبر عن اعتراضه على بعض ما جاء في الفيلم؛ فقد كان يدافع عن صورة كالكوتا، أكثر من كونه ينقد الشخصية. وحكى أن الجهة الوحيدة التي لم تشارك في إغاثة ثلاثة ملايين مشرد في كالكوتا، على إثر السيول سنة ١٩٩٥، كانت «Missionaries of Charity» المؤسسة التي هي في نظر العالم مرادفة لكلمة كالكوتا. انظر أيضًا HYPERLINK "http:// members.lycos.co.uk/bajuu/" /http://members.lycos.co.uk/bajuu

بل يتساءل بعض الناس عن جدوى أو مشروعية نظام الرهبنة نفسه (أو معقوليته). ويثير بعضهم الشكوك حول دور مزعوم لراهبات - في رواندا وليبيا - خرجن عن الرسالة الإنسانية. ولعل الأم تريزا نفسها كانت تعي ما يدور في رؤوس كثيرة، فنجدها تقول: «العديد من الناس يخطئون في حكمهم على عملنا..

من جهة أخرى هوجمت الأم تريزا بسبب مناهضتها لمنع الحمل، ومناهضتها لمحاولات تقنين الإجهاض. فقد عبرت عن موقفها بالقول: «الإجهاض» إنه قتل إنسان في الرحم؛ فكل طفل هو هدية من الله. إذا كُنتَ لا تريدهُ فأعطه لي.. أخطر ما يدمر السلام الإجهاض؛ لأنه إن كانت الأم تستطيع قتل طفلها، فما الحاجز الذي سيمنعني من قتلك أو يمنعك عن قتلي. إنه لفقر كبير أن يكون على جنينك أن يموت، كي تعيشي أنت كما يحلو لك».

لكن لنا أن نتوقف ونسأل: هل الإجهاض حق





من حقوق النساء؟ من غرائب عصرنا أنك تجد من (الحكومات والمؤسسات والأفراد) من يدافع بقوة عن حق المرأة في إجهاض جنينها، في حين تجدهم هم أنفسهم يتهجمون بقوة أكبر على رغبة المرأة في ستر جسمها أو تغطية شعرها!

ومن عجائب عصرنا أنك تجد من يحتفل بإنشاء ملجأ تافه لإيواء الأيتام والفقراء، أو وحدة صحية تقدم رعاية صحية عشوائية. في حين أنه أصم أبكم حيال الشركات الاحتكارية الدولية التي تصنع الفقر بكل قواها في العالم الثالث. ويتعامى عن الجيوش الجرارة المتعطشة للتدمير، التي تصنع ملايين اللاجئين والأيتام في أركان الأرض.

ربما كانت أفعالها أبلغ كثيرًا من أقوالها، وإن لم ينقص كلامها بلاغة البساطة. فمن أقوالها: «اخترتُ أن أكون فقيرة؛ لأن الفقر بالنسبة لي مرادف للحرية. إن ما يستطيع الغنيّ أن يحصل عليه بقوة المال نقدمه نحن بمحبة وعاطفة وحنان، إلى جميع المحتاجين. إننا نقدمه حبًا للرب». «يجب أن يعرف الفقراء أننا نحبهم». «الفقير هو الفقير، لا تسأل عن هويته أو جنسيته أو ديانته». «علينا ألا ننتظر القادة، بل لنعمل وحدنا، شخص لشخص». «أبشع أنواع الفقر الشعور بالوحدة، وبأن لا أحد يحبك».

مثلما صنع الشيخ القرضاوي الذي تبرع مرارًا بقيمة جوائزه، وكانت إحداها مليون درهم، ومثلما تبرع الشيخ الشعراوي في إحدى المرات بمليون جنيه قيمة جائزته، تبرعت الأم تيريزا بقيمة جائزة نوبل لصالح الفقراء. بل طلبت إلغاء حفل العشاء الذي يقام على شرف الفائز. وكررت هناك على مسامع العالم موقفها: «إذا سمعتم بامرأة تريد الإجهاض، أقنعوها بأن تحافظ على جنينها. وعندما تضع أعطوني المولود. أنا سأحبه. سأرى فيه علامة محبة الله لنا». (وكانت تعلم بأن السويد تبيح الإجهاض).

وعندما أعطاها بابا الفاتيكان سيارته البيضاء، جعلتها جائزة (يانصيب) لصالح الفقراء. هكذا كانت تلك المرأة النحيلة البدن

(كانت تزن ٤٥ كج، وطولها ١٥٥ سم) العملاقة القلب. إن البشر في حاجة إلى كل خيمة أكسجين، في عالم يختنق بالاحتباس الحراري واللامبالاة والأنانية والقراصنة.

عن الحرب في بيروت ١٩٨٢ قالت: «لم يسبق لي أن عشت في حرب من قبل.. لكني رأيت الجوع والموت.. كنت دائمًا أسأل نفسي: ماذا يشعرون عندما يفعلون ذلك؟ أنا لا أفهم. كلهم (أحباب) الله.. لا أفهم لماذا يفعلون ذلك؟». وفي ١٩٩١ وجهت رسالة إلى الرئيسين الأمريكي والعراقي: «أرجوكم اختاروا طريق السلام.. فعلى المدى القصير فإنه يمكن أن يكون بينكم رابح وخاسر في هذه الحرب التي كلنا نخافها.. لكن هذا لا يمكن أن يبرر لأحدكما المعاناة والألم والخسائر. في الأرواح، التي سيزهقها استعمال السلاح». وعن نشاطاتها قالت: «نحن نشعر بأن ما نفعله هو قطرة في محيط. لكن المحيط سيكون أقل إذا لم نفعل».

عندما بلغت من العمر ٧٥ عامًا ظهرت عليها بوضوح آثار السنين، مع آثار العمل الطويل، وسط المرضى، في أفقر الأحياء. ناهيك عن رحلاتها حول العالم بشكل لا يكاد يتوقف. فبينما كانت في رحلة إلى روما أصيبت بذبحة قلبية عام ١٩٨٥. وعاودتها الذبحة ثانية في ١٩٨٩؛ فزرع لها منظم لضربات القلب. لكن المنظم فشل عام ١٩٩١ عندما سافرت إلى المكسيك، وأصيبت هناك بذات الرئة. وتكاثرت عليها الأوجاع في ١٩٩٦؛ إذ عانت الملاريا. وكانت تردد: «دعوني أمت بسلام، مثلما يموت الناس الفقراء الذين أساعدهم». فكان من الحتمي تنصيب من تخلفها في رئاسة المؤسسة، قبل ستة أشهر من وفاتها. فانتُخبت سيدة هندوسية اعتنقت الكاثوليكية تدعى «نيرمالا يوشي» خليفةً للأم تريزا.

في الخامس من سبتمبر ١٩٩٧ آن للقلب الذي حمل عبئًا ثقيلاً أن يستريح من أحماله. ولكن كيف للناس أن يستريحوا عندما يحتفلون سنويًا باليوم العالمي للعمل التطوعي، فيتذكرون أعمال الأم تريزا؟ من المألوف أن ترى شخصًا يتطوع لمساعدة الآخرين في الشدائد، لكن أن يمارس التطوع طوال عمره، فهذا فقط فعلته الأم تريزا.

أخشى ما أخشاه أن يعتقد العالم أن الأم تريزا قد أدتّ الواجب نيابة عنه؛ فيذهب الناس إلى فراشهم مستريحي الضمير. يكتفون بالاحتفال بذكرى الأم تريزا، ويتعامون عن الفقراء واللاجئين والمرضى الذين كانت الأم تريزا في خدمتهم.

ويبقى السؤال يوخز الضمائر والهمم: هل تنفصل الشعائر التعبدية عن العمل التطوعي؟ لنصغ إلى الحديث القدسي: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل بها على خلقي وقطع النهار في ذكري، ولم يبت مصرًا على معصيتي، ورحم الأرملة واليتيم والمسكين وابن السبيل». ولنتأمل مليًا توجيه النبي صلى الله عليه وسلم: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل). ولننظر في إخباره صلى الله عليه وآله وسلم «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين. وضم بين السبابة والوسطى». ولنتدبر إرشاد الإمام علي كرم الله وجهه: «الناس صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق».

إننا أمام قضيتين: الأولى حض الناس على العمل التطوعي، مجاراةً للأجواء الاحتفالية باليوم العالمي للتطوع. والثانية تعرض العمل التطوعي والإغاثي للشك والتوجس والملاحقة من قبل كثير من السلطات.

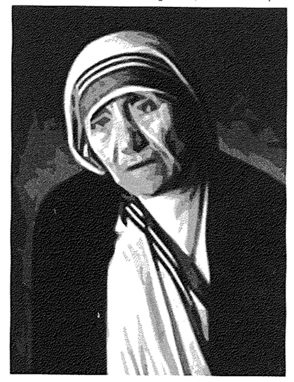
أضحى العمل التطوعي أول ضحايا ما يسمى بالحرب على (الإرهاب). وباسم تجفيف منابع ما يوصف بأنه (تطرف) أُغلقت مدارس ودور لرعاية الأيتام والأرامل، وفرضت مراقبة على مساجد ومراكز إسلامية، وصودرت أموال، وضويق أناس في حياتهم وحرياتهم، وأُخذ البريء بذنب المسيء.

وعلى النقيض، تحولت بعض مؤسسات العمل التطوعي إلى لافتات كبيرة لأشياء

صغيرة: إلى خطب رنانة، واحتفالات وكاميرات، وانتخابات ولجان، وأوراق واجتماعات، ومبادرات واستراتيجيات لا تشبع جائعًا، ولا تكسو عريانًا، ولا تواسي مكلومًا، ولا تؤوي شريدًا، ولا تثقف جاهلاً، ولا تشغل عاطلاً. (من يتذكر «لجنة القدس»).

إن امرأة أتاها (إلهام) بأن تفعل الخيرات للفقراء والمرضى فامتثلت حتى الرمق الأخير. فما بالنا بمن تنزّل عليهم وحي ربهم، وأكدت عليهم سنة نبيهم بما تقدمت الإشارة إليه؟ ألسنا نحن المعنيين بالنداء (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)؟ أو لسنا نحن أمة (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون)؟

ذكرت إحدى المجلات أن النساء في بعض بلادنا العربية أنفقن في عام واحد حوالي مليار دولار على العطور... وأنفقن ٣ مليار دولار على صبغات الشعر. فكيف يستقيم ذلك؟ (لم تذكر المجلة كم مليارًا للسجائر). كم قرأنا في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول يوم القيامة: (يا ابنَ آدم. مرضتُ فلم تعُدْني قال: يا رب وكيف أعودك



الأم تريزا

وأنت رب العالمين؟ قال: أمَا علمتَ أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمتَ أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي).

لن يكون من الحكمة أن نطالب ضباط الشرطة بأن تكون لهم عواطف الأم تريزا، ولكن مصالح العباد تقتضي أن نتعامل مع العمل التطوعي بانفتاح، وبما يراعي ظروف أوطاننا، بعيدًا عن مشيئة قوى التجبر والاستكبار المتعولم. نحن لا ندعو أحدًا إلى تقديس الأم تريزا؛ فهناك ما يكفي من الأشخاص الذين يؤمنون بأنها قديسة (طوباوية). لكنها فرصة لكي نتأمل في جدوى العمل التطوعي؛ باعتباره ضرورة تمليها علينا عقيدتنا وظروفنا العسرة، ومناسبة لكي نستحث بني قومنا حتى يقدموا يد الإحسان إلى من تقدمت إليهم الأيادي بالإساءة، من ضحايا قاذفات القنابل والمتفجرات العنقودية والمعتقلات السرية والعلنية.

إن أعظم دعوة للإسلام هي أن نعيشه واقعًا حيًا متفاعلاً، وأن نمارسه في حركة الحياة بكل أبعادها. وأن نعلم العالم أن القرآن قد حكم بأنه (من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا). وأن نعلم العالم أن نبي المرحمة قد بشّر: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة». ورضي الله عن الذين نزل فيهم: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) ■

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوما.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: عبدالرحمن السميط، الناشط في مجال العمل الخيري والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام.



## عبدالرحمن السميط:

# طلبت «ميكروسكوبًا» فتطلب الأمر ٩٤ توقيعًا فتركت العمل الحكومي واتجهت للعمل الخيري

*** «رئيس جمعية العون المباشر» و«خادم فقراء إفريقيا» و«سفير القارة الإفريقية» مناصب متعددة لمهام متشابهة!**

- أفخر بأن أكون خادمًا للدعوة في إفريقيا وهو أقرب الألقاب إلى نفسي.

*** «أنا شاكر جدًا للروتين والبيروقراطية في مستشفياتنا، فلولا الله ثم هذا الروتين لما اتجهت نحو العمل الخيري في إفريقيا» د. عبدالرحمن السميط.**

- لولا الملل والبيروقراطية التي واجهتها في عملي الطبي لما سنحت لي الفرصة لخدمة الفقراء والمحتاجين في إفريقيا ولربما كنت على رأس عملي المستشفى أو العيادة. وأذكر على سبيل المثال أن هناك أسبابًا كثيرة لتركي مهنة الطب لكن السبب الرئيسي طلبي لميكرسكوب في الجناح للتأكد من بعض الفحوصات وبعد أشهر و٩٤ توقيعًا بالموافقة تم رفض الطلب...!

*** إفريقيا القارة السوداء (أو السمراء) التي ظلمها العالم.**

- إفريقيا التي قدمت العشرات من الصحابة رضوان الله عليهم ظلمت من الغرب باستعمارها وسلب مواردها واستعباد أبنائها وظلمت من العرب والمسلمين بنسيانها.

*** «البطن الخاوي لا سمع له» مثل إفريقي.**

- هذا الكلام موجه للإخوة الذين يريدون استغلال الحاجة والمجاعة لنشر مبادئهم وعقائدهم. والعاملون في مجال الدعوة والإغاثة بحاجة إلى فقه الأولويات وفقه الواقع قبل أن يبدؤوا عملهم.



أقرب الألقاب إلى نفسي: خادم الدعوة في إفريقيا.

الغرب ظلم إفريقيا باستعمارها وظلمها العرب بنسيانها.

زكاة الأسهم في السوق السعودي تكفي -وحدها- لإغناء فقراء العالم!

جمعية «العون المباشر» أخذت بنظم الإدارة الغربية ولذا كان تأثرنا بأحداث ١١ سبتمبر محدودًا.

* إفريقيا قارة الجفاف والإيدز والمجاعات والحروب والماس والذهب والنفط والمحاصيل الزراعية الوفيرة!

. قارة إفريقيا فيها خير كثير وفيها كذلك مشاكل وشرور وعلينا أن نكون متفائلين دائمًا.

* «الجهل في إفريقيا يمثل مشكلة سيدفع العالم ثمنها باهظًا إذا لم يتم تصحيحها». بيل كيلنتون - الرئيس الأمريكي السابق.

. هذه حقيقة صادقة ولابد من تدارك أخطاء الدول التي استعمرت إفريقيا وتركتها خرابًا.

* «عدد الأطفال الملتحقين بالمدارس الابتدائية في قارة إفريقيا عام ٢٠٠٤م لم يتجاوز زهاء ٦٥٪ ممن هم في سن الدراسة» معهد الإحصاءات التابع لمنظمة اليونسكو.

. معلوماتي الشخصية تقول إن المناطق الإسلامية لم تصل نسبة الطلبة في بعضها في المرحلة الابتدائية حتى ٤٥٪.

* «من كل مئة دولار يتبرع بها المواطن الأمريكي لغرض إغاثة إفريقيا تصل منها ثلاثة دولارات فقط» إدارة الضرائب الأمريكية.

. هذا الكلام غير صحيح على إطلاقه ولكن ينطبق على بعض المؤسسات التنصيرية الأمريكية مثل منظمة المنصر بيللي غراهام.

* زكاة أموال العرب تكفي لسد حاجة أكثر من ٢٥٠ مليون مسلم في العالم.

. قلت هذا قبل سنوات واليوم غيرت رأيي وأقول إن زكاة الأسهم في سوق الأسهم السعودية وحدها لو أخرجت وأحسنا إنفاقها تكفي لإغناء كل فقراء العالم وسد حاجتهم فكيف لو أضفنا الثروات الأخرى.

* ثلث التبرعات التي حصلت عليها «جمعية العون المباشر» كانت من داخل إفريقيا ومن المنظمات الدولية والغربية.

. نعم هناك أفارقة كثيرون يتبرعون لصالحنا وهذا دليل ثقة الناس بنا هناك. والتبرعات من الحكومات والمنظمات الغربية والدولية قلّت بعد ١١ سبتمبر رغم إيمانهم بأننا بعيدون عن الإرهاب.

* «جمعية العون المباشر» أخذت بمقاييس الإدارة الغربية لذلك لم تتأثر كثيرًا بأحداث ١١ سبتمبر.

. كل المؤسسات الإسلامية تأثرت ولكن الذين أخذوا بنظم الإدارة الغربية كان تأثرهم أقل.

* «أظهرت نتائج دراسة أجريت في عام ٢٠٠٥م حول مصداقية الإعلام الأمريكي أن ٤٤٪ فقط من الشعب الأمريكي يثق في وسائل الإعلام الأمريكي بوجه عام، وأن هذه النسبة انخفضت (بشكل حاد) إلى ٢٨٪ فيما يتعلق بالثقة في الصحف وقنوات الأخبار التلفزيونية» «عن مؤسسة «جالوب» المتخصصة في أبحاث الرأي العام والدراسات الإحصائية».

. رأيت بعيني مدى مصداقية الإعلام الأمريكي في أكثر من مكان في إفريقيا. حيث الكذب وتغيير الحقائق ورسم قصص خيالية.

* (جمعية أصدقاء المؤسسات الخيرية FOCA) المسجلة رسميًا في الكونجرس الأمريكي سوف تتحمل مسؤولية جسيمة تجاه العمل الإسلامي الخيري على مستوى العالم أجمع.

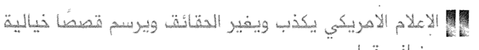
. --------

* أنشطة الكنيسة والتبشير مادة رئيسية لموضوعات مجلة «الكوثر» التي تصدر عن «جمعية العون المباشر».

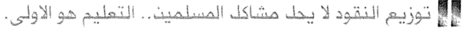
. إذا لم نتعلم من نجاحات وأخطاء الطرف الثاني فلا خير فينا. يجب أن نطور أنفسنا باستمرار ونستفيد من تجارب المنافسين.

* عشرة أعوام في الزمن الفاصل بين فوز الدكتور عبدالرحمن السميط بجائزة الملك فيصل





الإعلام الامريكي يكذب ويغير الحقائق ويرسم قصصًا خيالية عن افريقيا.



توزيع النقود لا يحل مشاكل المسلمين.. التعليم هو الأولى.

لا أتوقع تطورًا كبيرًا في إدارة العمل الخيري.



عبدالرحمن السميط

**العالمية عن خدمة الإسلام (عام ١٩٩٦م)، وفوزه بجائزة حمدان بن راشد آل مكتوم للعلوم الطبية العالمية (عام ٢٠٠٦م).**

- لم أعمل لكي أكسب جوائز في الدنيا ولكن هذا يعكس ثقة القائمين على هذه الجوائز وظنهم خيرًا بالعبد الفقير رغم تقصيري.

*** «أجمل صوت في الوجود هو صوت الثناء».**

- لا وألف لا بالنسبة لي ونعم لمن يعمل معي. أنا لا أريد إلا الدعاء.

*** «... رأيت بعض العاملين في مؤسسات خيرية يوزعون النقود في الشوارع، وأغلب المستفيدين منها يشترون بها السجائر والخمور، ورأيت بعيني أحدهم يوزع على بعض الطلبة المسلمين نقودًا خرجوا بها جميعًا يتمتعون مع نساء الشوارع». د. عبدالرحمن السميط.**

- هذا حدث في بعض الدول الإفريقية مع الأسف، ولابد أن يقتنع المسلمون أن توزيع النقود ليس حلاً لمشكلات المسلمين وأن تعليمهم أولى وأهم.

*** «الكوادر التي تقود المؤسسات الخيرية والإغاثية الإسلامية لديها المفهوم الحضاري في التعامل مع الأديان والثقافات والشعوب». هاني البنا - مدير الإغاثة الإسلامية في بريطانيا.**

- أؤيد الأخ هاني البنا تمامًا فيما ذهب إليه.

*** حتى اليوم لا يوجد في جامعات العالم العربي كليات أو أقسام متخصصة تمنح شهادات علمية في العمل الطوعي!**

- هذا من المآسي بكل أسف، لذا لا تتوقع تطورًا كبيرًا في إدارة العمل الخيري.

*** تدريب الشباب والأسر على العمل التطوعي لا يدخل ضمن برامج أو اهتمامات المؤسسات الخيرية في العالم والإسلامي.**

- مع الأسف ما ذكر هو انعكاس حقيقي لما يحدث في مجتمعاتنا ومازلنا نظن أن الأعمال الخيرية لا تحتاج إلى التزام ودوام.

*** نحن نستورد من العالم كل شيء تقريبًا ولا نصدر لهم سوى البترول والتبرعات!**

- لدى العرب والمسلمين القدرة على أن يغيروا العالم ولكنهم متقاعسون.

*** «مئات الآلاف من الأطفال على قيد الحياة اليوم بفضل مشاهير هوليود». منظمة «أنقذوا الأطفال» الحقوقية البريطانية.**

- هذه حقيقة والسؤال: ماذا فعل ممثلونا وراقصاتنا ومغنونا غير تدمير القيم الأخلاقية.

*** قائمة أكثر عشرين متبرعًا في العالم لا تضم أي اسم عربي.**

- أمر مؤلم مع الأسف رغم وجود ركن الزكاة والحث على الصدقات في ديننا.

*** شهادات التاريخ تثبت أن المرأة أكثر بذلاً للمال من الرجل.**

- هذا أمر واقع يشهده كل من عمل في مجال الخير.

*** بفضل المؤسسات الخيرية الإسلامية في إفريقيا سوف تحل «العربفونية» بدلاً من «الفرنكفونية».**

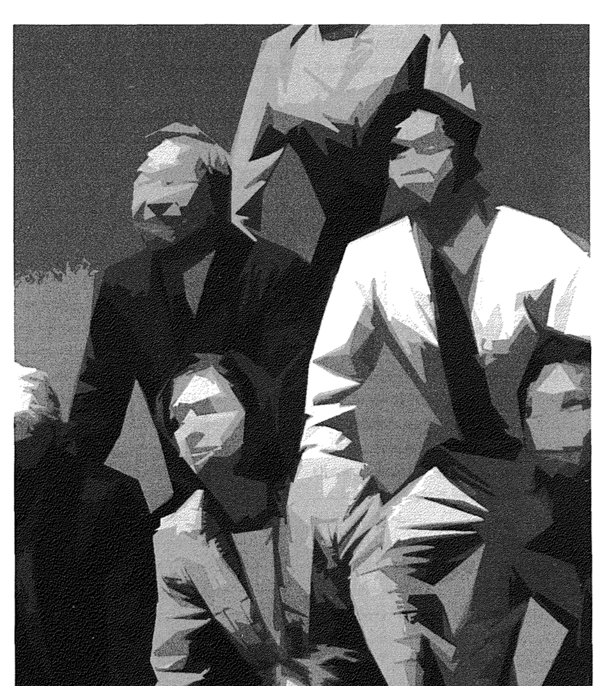
- نحن لا نريد معاداة أحد ولا مهاجمة أحد ونترك الأمر للأفارقة يقررون ماذا يريدون. ■

عبدالرحمن السميط

## في تطويع الصعب

# لا تكن «شوكة حوت»*

فاطمة العتيبي - الرياض



* بتصرف من كتاب «التعامل مع الانماط البشرية الصعبة » لمؤلفه «يورك برس».

**قد يجدك زميلك في العمل شخصًا صعب المراس يصعب التعامل معك بينما آخر يراك متعاونًا وطيبًا!**
**كلتا وجهتي النظر صحيحتان، لأن كلا الطرفين قد بنى رأيه وفقًا لخبراته ومشاعره الشخصية.. فالكلمة تخضع للحكم الشخصي والذاتي.**
**لكن إن كنت ذلك الشخص الذي يجده كل الزملاء صعبًا.. صعبًا جدًا (دون خيارات أخرى)، ويحكم عليك الجميع بأنك مزعج، غير عقلاني، سيئ وغير متعاون، ومعيق.. إلى غير ذلك من الصفات لدرجة تجعل ساعات العمل معك جحيمًا لا يطاق، يكدر الصفو، ويستفز طاقات الصبر.. فدون شك أنت فعلاً شخص صعب. فما الذي يجعلك صعبًا، و«شوكة حوت» هل ذلك قدرك؟ دون شك لا، لأنه لو قدر لك أن تختار شخصًا تتعامل معه ستتفادى التعامل مع الشخص الصعب فلماذا تكون الشخص الذي ترفضه؟ لماذا يسلك أحدنا طريق الشخص الصعب الذي يصعب فهمه، إدارته، والتعامل معه؟**

هناك العديد من الأسباب التي تجعل من أحدهم صعبًا في بيئة عمله أو خارجها:

كأن يواجه بظروف ومتغيرات جديدة كإدخال أساليب تكنولوجية وعلمية تفرض عليه ممارسة أساليب غير معروفة لديه ولخبراته السابقة مما يجعله يشعر بالتوتر ويكون مزعجًا غير مريح لغيره. كما أن هناك عوامل أخر يعزى إلى ضياع الأخلاق الحميدة في ظل ضغوطات العمل وغياب أبسط أساليب اللياقة والتهذيب في المعاملة بين الزملاء، فينظر إلى كل مهمة أنها عاجلة وكل قرار ملزم ويتطلب الإنجاز فتختفي أسس التعامل الإيجابية.

مناخ العمل المتنوع الذي يجمع بين نماذج متعددة من الموظفين، والكفاءات، والجنسيات.. مما يجعل البعض يخشاهم لشعوره بأنهم مختلفون عنه. هذا المناخ يولد مظاهر تحيز ومشاعر سلبية ويخلق بيئة ينمط فيها الأفراد تبعًا لأحكام مسبقة ليس لها أساس أو نمط موحد، إضافة للتعالي والفظاظة والوقاحة في أسلوب التعامل مع الآخرين. ولاشك أن هذا الوضع يصيب البعض بالقلق ويفرز أشخاصًا يصعب التعامل معهم.

- الوظيفة المملة التي ليس لها هدف ولا تثير الحماس أو الطموح، لاسيما إن كانت مؤهلات الفرد أكبر من حجم الوظيفة، أو أن يجد تهميشًا من مديره الأعلى، خوفًا من تفوقه أو غيره من تميزه، حيث يتنامى شعور لدى الموظف بأنه يستحق عملاً أفضل أو أنه لا يقدر من الآخرين، يمضي ساعات عمله وهو ويشعر أنها دون طائل، فيتمالكه شعور بالملل واليأس والضغط والإعياء فيبدو مزاجه خاليًا من البهجة والراحة.

- وعلى النقيض من التهميش والتجميد قد يحمل موظفًا أعباء أكبر من طاقته، كأن يطلب منه أن يفي بالالتزامات المستحيلة، وتلبية أولويات الآخرين، والمسؤوليات الضخمة دون صلاحيات وبأقل إمكانات بل والقيام بأعمال مزدوجة بدلاً من الآخرين الذين ربما تم الاستغناء عنهم دون إحلال موظفين جدد!

- أسلوب الإدارة العسكرية، التي تحاسب دون توجيه أو إرشاد وغيره من السياسات المولدة للضغوط ترهق نفسية الموظف بدنيًا وصحيًا. وفي مثل هذه المواقف يتم

اللجوء لأسلوب التشاحن والتشاجر مما يولد الضغوط والإجهاد، حيث يدفع هذا الوضع للعنف إلى التحول للصعوبة والعنف جراء الشعور بالإهمال والضجر والاكتئاب.

- استصحاب المشكلات الشخصية إلى جو العمل يحول الموظف إلى شخص صعب لأنها تعوق التفكير والتركيز على العمل وتقلل الإنتاجية وتؤثر سلبًا على العلاقة مع الآخرين.

- في الوقت الحاضر هناك تغيرات لا يمكن إغفالها وهي تغيرات الأجواء التي كانت تسود بيئة العمل، حيث كان المدير أبًا للجميع يرعاهم ويدعمهم والعاملون يمنحون المؤسسة جهدهم حتى سن التقاعد خاصة في القطاع الخاص. الآن لم يعد هناك وجود لذلك وأصبح بمقدور العاملين تغيير وظائفهم بسرعة. بل صارت الشركات نفسها تغير عملهم ووظائفهم وتتبدل قوانين العمل، كأن تندمج شركة في أخرى أو تستحوذ على أخرى (كما في حالات الإفلاس أو تقليل العاملين والاستغناء عنهم) فيخلق هذا الوضع حالة من التشاؤم وعدم التركيز فتتولد مشاعر سلبية بعدم الأمان وشعور بأن الآخرين يركزون على مصالحهم الذاتية دون اعتبار للآخرين. ويزيد من ذلك عدم وجود خيارات كافية للتقدم الوظيفي ووجود أنماط إدارية ذات أساليب مدمرة في موقع العمل فهنا ينشأ موظف صعب ينظر للآخرين على أنهم صعاب!

**نماذج الاستجابة**

- تتفاوت الاستجابات تبعًا للأساليب الشخصية للفرد، فما يقابله هذا ببرود يثير غضب آخر! لذا تفيد معرفة نوعيات السلوك ونماذجه (المتمثلة في السيطرة والتسلط أو التوجه والاهتمام بالآخرين) في تحفيز المرء للقيام باستجابة معينة تساعده على تكيفه ليتوافق مع نماذج سلوكيات الآخرين.

- يعتبر اختيار الاستجابة للموقف من أهم الطرق في التعامل مع الشخص الصعب، وهناك طريقتان: أولاهما: أن تكون مبادرًا متمركزًا حول نفسك وجوهرك وتعرف توجهاتك وبالتالي احتمالات أن تخرج عن المسار بعيدة الاحتمال. والثانية أن يكون رد فعلك تلقائيًا وهنا تعيش خارج ذاتك وتتأثر باتجاهات الآخرين وسلوكهم والمثيرات التي يتعرضون لها.

- قد تكون هناك فجوة بين ما تقوله وتسمعه، لذلك اطرح الأسئلة لأنها تساعد في توفير المعلومات الكافية التي تمكن من التعامل الفعال مع الموقف والشخص.

- استعمل الأسئلة المقنعة لأنها تساعد في الإقناع فربما لا يتحمس رئيسك لأمر تفكر في جدواه ونجاحه، ولكن إن طرحت الأسئلة المقنعة واستعملت (ما رأيك لو حاولنا...؟) وإن كنت مدير (هل لديك فكرة توصلنا...؟ أو تمكنا من إنجاز...؟). والطرح المقنع يعمق مضمون ما سمعته كأن تقول: «كما فهمتك..»، «كما فهمت من استجابتك لهذه الفكرة إنك لا تعتقد أنها ستنجح وإنك ترغب في سماع اقتراحاتي..». فذلك يؤكد أنك فهمت المعنى فهمًا صحيحًا، وإن كنت تخشى الخطأ بإمكانك أن تسأل: «هل أستطيع أن أكرر ما قلت مرة أخرى؟». وإن كنت مديرًا بإمكانك أن تسأل: «هل تستطيع أن تخبرني ما فهمت بأسلوبك؟».

- تهدئة المواقف عن طريق طرح الحقائق وإعطاء الأطراف حرية التعبير عن الرأي. فإن غضب شخص لا تقل «هدئ روعك»، ولكن قل: «أرى أنك تشعر بالضيق هل تخبرني ما السبب؟» أو «هل هناك شيء باستطاعتي عمله للمساعدة». فالأسئلة تهدئ المواقف الغاضبة.

تجنب النقد، فالانتقاد صعب ثقيل واسأل: «كيف ترى أنه يمكنك تحسين أدائك لمثل هذه المهمة المرة القادمة؟». فهذا لا يبدو انتقادًا. وإن فشل أحدهم في الوفاء بالتزاماته فقل: «يبدو أن مشاغلك كثيرة.. ما الأولويات التي حددتها لنفسك؟ ما الذي يمكن عمله لمساعدتك على الإنجاز في الموعد المحدد؟».

- استخدم أساليب الاتصال الإيجابية الحاسمة. وهي وسيلة تكون فيها متأكدًا من وجهة نظرك

> إن تبني أسلوب عدم المواجهة وعدم قدرتنا على تأمين حقوقنا وتجاهل رغباتنا الحقيقية يجعلنا نفقد الموقف كليًا. والأخطر أننا قد نفقد احترامنا لأنفسنا لعدم رضانا عما نفعله وما يجلبه لنا من نتائج سلبية




واحتياجاتك. والتصرف بأسلوب إيجابي يتضمن ثلاثة مكونات:

- تمسك بحقوقك وعبر عما ترغب.
- افعل ذلك بأسلوب صادق.
- احترم حقوق غيرك أثناء اتباع هذا الأسلوب.

**الأسئلة الصامتة**

«منى» رغم كفاءتها في عملها تقول: «لم أحصل على ما أستحق من ترقية أو ترفيع من مديرتي التي يصعب رضاها وتفادي نوبات انفعالاتها». وتقول: «في كل مرة أنوي مواجهتها أجد الفرصة غير مناسبة.. وحين سنحت غلبت علي الخيرة والحذر وخفت ردة فعلها ولم أقو على مصارحتها بكامل ما أريد، بل أحسست بالحرج وانسحبت وأنا ساخطة على نفسي فزميلاتي نلن ما يرغبن»!

لاشك أننا قد تعودنا بحكم تربيتنا وفي جميع مناحي حياتنا ألا نعبر عن أنفسنا، وإن فعلنا فبحذر وبدون صراحة. بل ونغلف ما نقوله! ولعل ذلك هو سبب عدم حصولنا على ما نستحق. إن استعمال الأسلوب الحاسم في الاتصال وتعبيرنا عن مشاعرنا دون التعدي على الآخرين ومهاجمتهم دون حرج أو اعتذار يهيئ فرصة أكبر في الحصول على ما نريد.

إن تبني أسلوب عدم المواجهة وعدم قدرتنا على تأمين حقوقنا وتجاهل رغباتنا الحقيقية يجعلنا نفقد الموقف كليًا. والأخطر أننا قد نفقد احترامنا لأنفسنا لعدم رضانا عما نفعله وما يجلبه لنا من نتائج سلبية.

ومما يقودك للتعامل السهل مع مرؤوسيك الصعاب وغيرهم، قدرتك في السيطرة على الوضع وألا تغير مواقفك وأن تعبر عن نفسك عما تريد وأن تقول: «لا»، دون أن تسبب الحرج والضيق، وتجرح مشاعر الطرف الآخر لأنك إن سلكت طريقًا عدوانيًا ستخسر وتفقد احترام الطرف الآخر. فيجب أن نراقب أنفسنا عند التعامل وننتهز الفرصة المناسبة لقول ما نريد، ويكون لنا الإدراك الحاضر حول مستوى العلاقة والشخص الذي نتعامل معه دون أن ندع هذا الشخص يستجيب بما هو يراه مناسبًا بل بما نراه مناسبًا.

وحتى لا يتحول التعامل مع الشخص الصعب إلى صراع متصاعد عليك (خاصة إذا كان ثائرًا)، ألا تفكر أن المسألة شخصية وألا تقابل الانفعال بالانفعال، بل تجنب إخبار المنفعل عن مشاعرك نحوه. وحيث إن الأشخاص المتعبين يجادلون بعدوانية وفظاظة ويتوقفون عند أبسط الأمور. عليك ألا تقدم كل ما لديك لفض النزاع، بل حاول ألا يستمر الموقف حتى تهبط قوى هذا الشخص أو تضطر للاستسلام. وكن قويًا ولا تقدم تنازلات فذلك سيكون بقعة سوداء تقلل من قيمك وقدرك لديه، والطريقة المناسبة في هذه النزاعات التفكير والتصرف العقلاني بدل الاستجابة للمواقف بأسلوب غير مناسب خاصة كلما زاد الهجوم الموجه ضدك وتعرضت للضغوط أثناء احتدام المواقف. واسأل دومًا «ما الذي تحققه عندما تقلل من شأن محدثك أو تحبط من قدره؟» فهذه الأسئلة الصامتة تمنح الوقت للتفكير المتأني ويقود ذلك لتصور وحل المشكلة مع الشخص الصعب وإن لم تتح كل هذه الخطوات الحل ينبغي طلب تأجيل المواجهة أو النزاع لتلتقط الأنفاس وتحديد مهلة للتفاوض يتفق عليها الطرفان حتى لا يظل الموقف بلا نهاية.

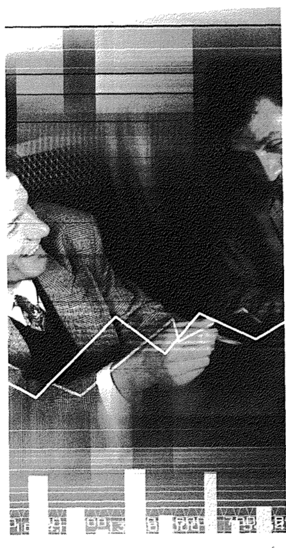
إن التعامل في النزاعات والصراعات داخل وخارج

العمل مع أشخاص صعاب يتطلب بعض المهارات واستنباط أسلوب خاص بك شخصيًا للمحافظة على الوضع وعلى رأسها تكييفك لنفسك وطرح الأسئلة مثل: «هل أنت مخطئ؟ أو على صواب». وحيث إن للأمور أكثر من وجه، وكل من طرفي النزاع قد يرى المشكلة من زاوية مختلفة فإن إيمان الطرفين بأن ليس هناك منظور واحد سديد للمشكلة كفيل بإنهاء النزاع. وعليك أن تفكر في أهمية النزاع وهل يمثل النزاع أهمية بالغة لك واعتزازًا شخصيًا بنفسك، لأن سيطرة «الأنا» تمثل خطرًا كبيرًا في النزاعات. فإن كان الموقف لا يمثل شيئًا ولا تشعر بموقف القوة فيما يتعلق بجوانبه فلك أن تتنازع أو أن تقول: «احتمال أنني تغاضيت عن أحد جوانب الموضوع أو لم أفكر في وجهة النظر التي تثيرها. دعني حتى أتمكن من رؤية هذه النقطة من وجهة نظرك وتفهمها».

**التسوية بالحديث**

أي موقف أو خلاف يمكن تسويته بالنقاش مع أكثر الناس «صعوبة» والتحدث يفتح الباب للمناقشات التي تؤدي حتمًا لنتائج إيجابية. هناك عشر خطوات عند الشروع للمناقشة تجعل لوجهة نظرك الغلبة وتضمن لك الاستماع لمناقشتك مع الشخص الصعب.

- اتخذ موقف منفتح الذهن واستعد وجهز نفسك جيدًا للمناقشات حتى تحدث تغييرًا جذريًا في الأسلوب الذي ينظر به للحل. وحاول أن تنظر للأمور من منظور الشخص الآخر. وذلك يتطلب توجهًا صادقًا واهتمامًا أصيلاً لكي تكون كمن يزحف في عقل الآخر.
- أظهر احترامك للطرف الآخر وإن بدا صعبًا، وعبر عن ذلك لنفسك بأنك تراه شخصًا متفرد الشخصية والكيان، جديرًا بالاحترام. وانتبه إليه ولا تقاطعه ولخص ووضح ما قاله وابحث عن نقطة اتفاق معه قبل الشروع في التعبير عن وجهة نظرك، وكن محافظًا على تفتح ذهنك وعلى تغيير موقفك عند الحاجة.
- جهز نفسك للتعامل بإعداد عرض لما تنوي تقديمه من حيث الجوانب المهمة، جمع أفكارك وركز على السلوك والنتائج بدلاً من التركيز على الشخصية التي أمامك وأفكارها، وكن جاهزًا للمناقشة، وتأكد من أن الوقت مناسب للنقاش.
- أكد تفهمك للنقاط المطروحة للنقاش بتوصيفك للوضع بدقة وشمول من وجهة نظرك، وحاول أن تكتشف أن الشخص الصعب الذي معك يرى المشكلة بنفس المنظور



والأبعاد التي تراها.
- دع الطرف الآخر يتحدث، واستوضح وجهة نظره، واستجب لانفعالاته، تأمله، أنصت إليه، احصل منه على رسالته كاملة.
- ابحث عن نقاط الاتفاق المشتركة من خلال انتباهك له وإنصاتك لما يقول، حاول أن تجد نقطة تتفقان عليها.
- حدد بوضوح موقفك، وعبر عنه، وتأكد من استعداد الطرف الآخر للمضي في الأمر. ثم قدم أفكارك وتصوراتك، ولا تتحدث بصورة غامضة إن كنت ترغب في تغيير وجهة نظر الآخر أو طريقة عرضك وتوضيحك لموقفك، لا تصرخ أو ترفع صوتك، ولا تلقي باللوم على الطرف الآخر.
- ناقش بإسهاب مجالات الخلاف والتعارض في الرأي وهذه المناقشة من الخطوات العصيبة وتتطلب استخدام كل مهارات الاتصال (التي ذكرت آنفًا).
- اعمل على فض المشكلة وحلها (إن كان ممكنًا) فإذا

ما اتفق الطرفان أن هناك مشكلة فالسؤال هو ما الحل؟ والحل يتم من خلال التعاون والمشاركة مع الآخر. ويجب تحديد خطة عمل بوضوح لما ينبغي عمله وفي أي ظروف ومتى والحد الزمني للانتهاء، ومن ثم التقييم وتلخيص وجهة نظر كل من الطرفين وعرض مساندة ودعم الرأي الآخر. ودون شك هذا كفيل بدفع ميزان التوصل لتسوية.

- تابع بدقة ما توصلت إليه مع الطرف الآخر. فكل التخطيط يذهب سدى إن لم يتابع الطرفان كل مع الآخر الموقف المطروح، ولا تستنكر أن نتوخى الحرص والأمان بسؤال ذوي الخبرة والاستعانة بالأفراد المناسبين لمعالجة الموضوع بدلاً من أن نخطئ الآخر.

**هرم ماسلو**

إن إمكانية وقدرة أي فرد على استخدام وتكييف هذه الخطوات لصالحه حسب الموقف المطروح وحسب حاجات الشخص الصعب نفسيًا من شأنها أن تقدم له ميزة كبيرة لا يتمتع بها الكثيرون خاصة إن تم فهم تطبيق طريقة ومفهوم مقابلة الحاجات النفسية للفرد بأنماط سلوكه فإنه يكون بمقدور أي شخص (نظريًا) التعامل الفعال مع أي فرد موقف وظرف. مثلاً إذا ما علمنا موقع الآخرين على هرم «ماسلو» نكون أكثر دراية بما يجب عمله لدفعهم للعمل أو تحفيزهم أو إتاحة الفرصة لمناخ أكثر تجانسًا وتناغمًا لمستوى العلاقة بينهم. فتفهم عناصر هذا السلوك يدفعك لتفهم ما الذي يدفع الآخرين للسلوك بالشكل الذي يسلكون عليه. ويقدم هرم «ماسلو» في تحليل الأنماط السلوكية إلى أربعة نماذج:

- مبادر متحكم + عدم اهتمام أو مبالاة بالآخرين.

أنماط السلوك: يتولى القيادة، يجب أن يكون محط الأنظار، يفقد أعصابه إن لم يستخدم الغضب للتخويف والإرهاب.

الحاجات: الحاجة لتقدير الآخرين، الاعتراف به، تحقيق الذات.

- المبادر الحاسم + الاهتمام والمبالاة بالآخرين.

السلوك: القيادة، اتخاذ القرارات الحاسمة، يقبل التحديات، يسمع الآخرين، يظل متحكمًا، يركز على المهام والعمل المطلوب.

الحاجات: الحاجة للاستقلال الذاتي، تحقيق الذات وإشباعها.

- رد الفعل السلبي + عدم الاهتمام أو المبالاة بالآخرين.

السلوك: يتجنب المسؤولية، المواجهة، يبتعد عن الأضواء، يغلي داخليًا بينما يتقبل المعاملة السيئة من الآخرين، يتململ ويتذمر بينه وبين نفسه، لا يتطوع بتقديم الأفكار من تلقاء نفسه.

الحاجات: الأمن، الأمان.

- رد الفعل غير الحاسم المتردد+ الاهتمام والمبالاة بالآخرين.

السلوك: لا يحب اتخاذ القرارات، يجعل الآخرين يغضبون منه مهما كان وضعه، يساعد الآخرين أن يلمعوا، يخبر الآخرين بما هو أكثر مما يجب معرفته، يسهل جرح مشاعره.

الحاجات: الحاجة لقبول الآخرين له. الحاجة للانتماء للآخرين.

**فشل المحاولات**

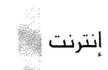
قد نبذل كل المحاولات للتعامل ونتعايش ونتقبل كل الأوضاع الصعبة ونسعى للتغيير ولكن دون طائل، لأن الآخر (مثلاً) حول الاختلاف في وجهات النظر إلى خلاف شخصي ومن ثم فقد المهنية وفرصة الحوار.. فما الخيار عندها؟

البدائل تعتمد على اختيار الاستجابة الخاصة بك بناء على الحاجات الأساسية وأنماط السلوك لدى الآخر. وهناك ثلاثة خيارات في هذه الحالة:

- أن تتقبل الأمر وتتعايش معه. وأكثر الناس ميلاً لهذا القرار هو «النمط المبادر السلبي». وهو ضحية التربية السائدة التي تخيفه من الإفصاح وإكمال ما بداه بحجة أن هذا لا يليق أو لا يجدي!

- أن تقوم بتغيير وضع ما ويسعى لذلك النمط المبادر الحاسم، لانه يقبل التحديات ولا يستسلم إلا بعد استنفاد كل الطرق.

- أن تترك العمل وتستسلم أو تغير من خطتك وتوجه تفكيرك نحو تميز جديد في مجال آخر، ولكن ذلك لا يعني ألا تسعى للحصول على مساعدة تقدم للطرف الآخر أو ألا تصعد الموقف لأعلى المستويات حسب التسلسل القيادي. فهذا مطلوب وبإمكانك إشراك الآخرين معك لتعرف إذا ما كان هذا الشعور يستحق المخاطرة وترك العمل. وإلا فلابد من تقديم شكوى رسمية ضد الشخص الصعب واتخاذ الإجراءات القانونية وإعلان المشكلة على الكل، على أن تكون أقوالك موثقة توثيقًا محكمًا وترك العمل وتتخلى عنه نهائيًا. ■



# الطالب الذي كان ينام في الصف الثالث في الكرسي الثاني

المقال: The Kid Who's Sleeping in Row3, Desk2
الكاتبة: Elaine Duff
المصدر: Teacher Magazine
ترجمة : إيمان الكرود

**أعتقد أن المعلمين يقعون دائمًا في فخ تدريس المحتوى بدلًا من الأطفال. يقول هاورد جاردنر: «عندما لا يفهم الطلاب بالطريقة التي ندرسهم بها، لابد أن ندرسهم بالطريقة التي يفهمونها». هذا تصريح قوي، ولكن حتى لو كنا نعرف نظريًا أن تنويع أساليب تدريسنا لتطابق احتياجات كل طالب هي مفتاح مهم للنجاح، إلا إنه يظل يمثل تحديًا عند التطبيق.**

العديد منا يتمثلون الموقف القائل «سوف نشرح المعلومة للطلاب، وإذا لم يفهموها فهذه مسؤوليتهم». فنحن نميل إلى مقاومة فكرة التنويع بأكملها. أعتقد أنها تبدأ بنظرة المعلم وتوقعاته. لابد أن نضع في بالنا فكرة أنه ليس كل الطلاب يتعلمون بالطريقة ذاتها وبنفس السرعة، ولا كل تلميذ سيتجاوب كل مرة. لابد أن تكون عندنا الرغبة في الاستمرار بالمحاولة حتى نصل لكل طالب.

تقفز إلى ذهني قصة من تاريخي الشخصي. كنت أدرس الصف الثالث الثانوي مادة اللغة الإنجليزية ذلك العام، وهو منهج يدور في أغلبه حول الكتابة والأدب البريطاني. ولم أكن بكل تأكيد بهذا المستوى من البراعة في التدريس الذي ينسب إليّ اليوم، وكنت أجاهد لأجد طرقًا تجعل من المنهج ممتعًا.

وبالرغم من أن جيرمي كان مصنفًا كموهوب إلا إنه كان ينام في الفصل كل يوم، إذ كان يأتي للفصل ويبقى مستيقظًا حوالي خمس عشرة دقيقة، ثم بعد ذلك يضع رأسه على الطاولة، لم يهمه ماذا كنت أفعل. ولأن التاريخ البريطاني من الممكن أن يكون جافًا بعض الشيء حاولت جاهدة أن أضفي حيوية على الحصة، فاستخدمت الكثير من التعليم التعاوني والوسائل البصرية، وأتحت للطلاب العديد من الخيارات، ولكن جيرمي لم يعبأ بكل ذلك. فأثناء الخمس عشرة دقيقة التي يبقى فيها مستيقظًا في الصف كان يحدق في الفراغ، ويتأفف عندما يحدثه أحد، ويرسم على وجهه نظرة احتقار. وبدأت فعلًا أشعر بالإحباط لأنني لم أحظ باهتمام جريمي. بل حتى بدأت أشعر بقليل من الحقد تجاهه لعدم محبته لحصتي.

كنت أقول في نفسي: «حسنًا جيرمي، إذا أردت أن ترسب في فصلي لا بأس. لقد جربتُ كل شيء». ومع مرور الأيام استسلمت لحد ما. فقد بدأت أتجاهل جيرمي فلا أوجه له أي سؤال ولا حتى أنظر في عينيه معظم الوقت. إذ لم أكن أتوقع أي شيء منه عدا الشخير وبركة من اللعاب على طاولته من وقت لآخر.

وبالمصادفة تمامًا أدركت أن جيرمي كان قادرًا على أشياء أكثر بكثير مما كنت أعتقد. فأثناء فترة إعدادي للدرس في أحد الأيام، نزلت إلى الطابق السفلي حيث فصل البث التلفزيوني لأحرر فيلمًا. كنت مسؤولة عن نشاطات أسبوع احتفالات Homecoming، وكل عام كنت آخذ لقطات من نشاطات هذا الأسبوع ثم أقوم بمونتاج مع موسيقى لمحطة مدرستنا التلفزيونية ليتم بثها أثناء وقت الريادة.

كان عدد من الطلاب ينفذون أحد المشاريع بينما كنت أجلس في زاوية على ماكينة التحرير. كانت حواسي منصبة على التحرير ولم أكن أعير انتباهًا في

البداية. ولكن بعد فترة قصيرة سمعت صوتًا تعرفت عليه. فرفعت رأسي ورأيت جيرمي، ليس مستيقظًا ومنتصبًا فقط، ولكن يدرِّس زملاءه أيضًا .

كان يتحرك بحيوية بينما يشرح كيف يتم تصوير سلسلة قتال. أول ما خطر ببالي هو أنه لابد أن هناك أخًا توأمًا لجريمي! جلست هناك أحدق وقد فغرت فاهي جاهدة أن أوفق بين جريمي الذي أعرف مع هذا الغريب. فجأة انتبه جريمي إلى أنني أجلس في الزاوية مع آلة التحرير.

عندما التقت عينانا قال: «السيدة داف؟»

وقلت :«جيرمي؟»

سألني بدهشة:«هل تعرفين كيف تحررين فيلمًا؟»

وكنت على وشك أن أسأله:«هل تمشي منتصبًا؟» ولكنني تداركت نفسي.«نعم. لقد درستني السيدة برنارد. يبدو أنك فعلًا تعرف طريقك حول الكاميرا، لم يكن عندي فكرة أنك مصور فيديو».

أشرق وجهه بفخر، ثم بدأ يشرح المشروع الذي كانت جماعته تنفذه. كان من الواضح أنه كسب احترام فصله. وكان من الواضح أيضًا أنني لم أقم بأي جهد للتعرف على جيرمي على الإطلاق.

ما حدث بعد ذلك اليوم لم يكن أقل من مدهش. عندما جاء جيرمي إلى الفصل في اليوم التالي لم يظل مستيقظًا فقط ولكنه أتم عمله، بل حتى شارك في المناقشة الصفية. في الحقيقة منذ ذلك اليوم وما تلاه كان مختلفًا تمامًا. وتطوع أن يصور بعض المشاريع التي كنا نقوم بها في الفصل، بل قام بمشروع بنفسه. وتخرج من فصلي في النهاية بتقدير جيد جدًا.

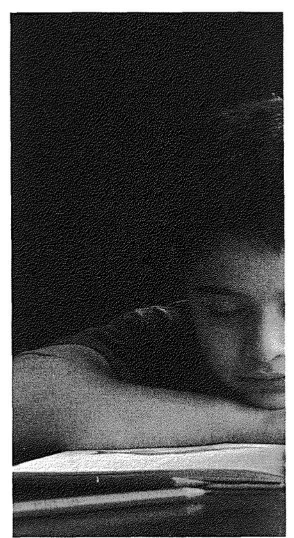
مالذي حدث؟ عندما قابلني جيرمي في موقف مختلف عن فصل اللغة الإنجليزية تغيرت نظرته إليّ. إذ أدرك أنني لست فقط سيدة غريبة الأطوار أحاول أن أجبره على تعلم الشعر البريطاني. وبنفس الأهمية، تغيرت نظرتي تجاهه، فلم يعد الطالب الذي ينام في الفصل فقط.

لست فخورة بحقيقة أنني لم أبذل جهدي لأعرف جيريمي قبل ذلك. فقد كان بالنسبة لي الدرج الثاني فقط في الصف الثالث من حصتي الثانية. وقد كان من الأسهل أن أراه بتلك الطريقة، فكنت أقول لنفسي لقد جربت كل شيء، ولكنني لم أتعدّ عالم فصل الإنجليزية الصغير على الإطلاق.

عندما أتأمل فيما جعلني أقلل من شأن جيريمي، أرى أن الأمر مرتبط على الأقل جزئيًا بتجاربي في المدرسة. كنت من النوع المطيع للمعلمين منذ صغري. ولأنني كنت أرى المعلمين كمخلوقات سحرية أصاب بالحنق عندما لا يراني طلبتي هكذا- خاصة عندما حاولت جاهدة أن أجعل من المحتوى ممتعًا لهم.

لقد تعلمت من هذه المصادفة السعيدة. والآن أقوم بجهود أكبر لأجعل المزيد من هذه الصدف تحدث. أحاول جاهدة أن أكتشف جوانب طلابي المتعددة. وأنا سعيدة أن أقول بأن جيرمي يعمل الآن في محطة تلفزيون في تينيسي.

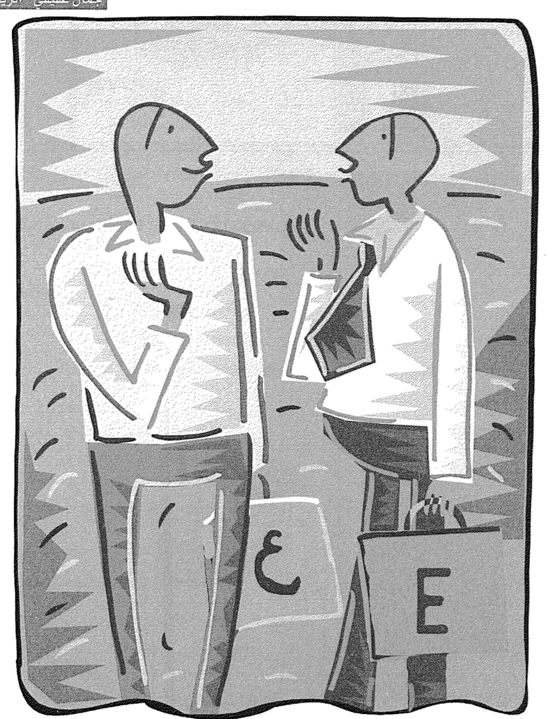
في النهاية، الأمر كله يتعلق بموقفك، ربما تكون طريقة تدريس، ابتسامة في وقتها الصحيح أو حتى مصادفة سعيدة. ولكن إن كنا عازمين على أن نصل إلى صغارنا لن نعدم أن نجد في النهاية طريقة. ■



الطالب الذي كان ينام في الصف الثالث في الكرسي الثاني

# جنايات المترجمين على اللغة العربية

جمال عفيفي- الرياض



**لا ينكر أحد أن صحافتنا تبع للصحافة الغربية. وقد قيل «إن القضية لا تكون قضية حتى تثار في الغرب». وحركة الترجمة مازالت من أهم روافد الصحافة العربية، ويكفي أن تلقي نظرة عجلى على الصفحات الأولى للصحف العربية لتعلم من أين تستقى الأخبار العالمية اليومية، وبأي لغات تنشر وكالات الأنباء الكبرى. لذا كان للمترجمين أثر لا ينكر في لغة أهل الصحافة فضلاً عن القراء.**

والترجمة حين يتولى أمرها من ليس أهلاً لها، فإنها تجر في أذيالها آثارًا سلبية لا تخطئها العين. ونحن هنا بصدد ذكر أمثلة على ما تحدثه الترجمة المتعجلة السيئة من آثار سلبية على أساليب الكتابة العربية، وشيوع ألفاظ في اللغة ليست من طبيعتها. وذلك مما يرد كثيرًا في الصحافة العربية ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية. من ذلك مثلاً:

- قولهم (بمجرد أن):

مثال: بمجرد أن وصل الوفد سارعوا إلى رؤية الوزير.

وقولهم (بمجرد أن) ترجمة خاطئة لـ( as soon as)، لأن المجرد – حسب المعجم الوسيط- هو ما يدرك بالذهن دون الحواس. أما المقابل الصحيح لـ( as soon as) فهو (الفَوْر). جاء في المعجم الوسيط (الفَوْر) أول الوقت. ويقال: أتيت من فوري، وفعلت ذلك من فوري، وفورًا وفور وصولي، أي في غليان الحال وقبل سكون الأمر.

- **قولهم (لعب دورًا):**

مثال: لعب البترول دورًا هامًا في النهضة الاقتصادية.

وهذا التركيب أتى من الترجمة الحرفية لـ(play the role of). والخطأ فيه أن الفعل (لعب) فعل لازم لا يتعدى إلى مفعول. جاء في القرآن الكريم: (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) (المعارج: ٤٢). وجاء أيضًا: (أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) (الأعراف: ٩٨). والصواب أن يعبر عن المراد بأحد التعابير اللغوية الصحيحة مثل: (كان للبترول أثر هام في النهضة الاقتصادية).

- **قولهم: (إنَ هكذا أشياء):**

هكذا مكونة من: «هاء» التنبيه - كاف التشبيه - «ذا» اسم إشارة.

فمن يقول: «إنّ هكذا أشياء...» كمن يقول: «إن مثل ذا أشياء!» والعربي لا يقول هذا!

وواضحٌ جدًا لمن يلمُّ بالإنكليزية أن هذا التركيب الشنيع هو ترجمة حرفية للتركيب: «Such things are ...» قُلْ إذًا: إن مثل هذه الأشياء، أو: إن أشياء كهذه.

ولا تقل: (إن هكذا أشياء).

وفيما يلي نماذج من استعمال كلمة (هكذا) استعمالاً صحيحًا:

- هكذا قالت العرب....
- ... فإذا كانت (لا) للنهي، كان المعنى هكذا:...
- هكذا فَلْيَقُلْ مَن يقول وإلا فَلْيَسْكُتْ!
- ولكنه مع ذلك يجيء فهمُهُ خطأً، لأنه لا يريد أن يجيء إلا هكذا!
- وهكذا دواليك...

- **قولهم (كلما.......كلما) مكررة في جملة واحدة:**

من أخطاء المترجمين استعمالهم (كلّما) مرتين في جملة واحدة، على غرار التركيب الإنكليزي، نحو قولهم: «كلما بدأت مبكرًا كلما انتهيت سريعًا» وهي ترجمة خاطئة لـ( the sooner you start the earlier you finish). والصواب حذف (كلما) الثانية. وفي التنزيل العزيز: (كلما دخل عليها زكريًا المحراب وَجَدَ عندها رزقًا) (آل عمران: ٣٧).

يقال: كلما زاد اطلاعُك، اتسعت آفاقك.

ويقال: كلما زاد علمُ المرء، قلَّ انتقادُه للآخرين!

وقال أحمد شوقي يصف العروبة ولسانها:

أُمَّةٌ ينتهي البيانُ إليها

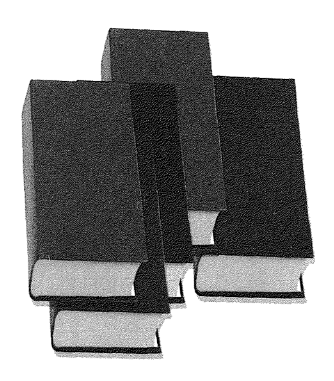
وتؤول العلومُ والعلماءُ

كلما حثّت الركابَ لأرض

جاور الرشدُ أهلَها والذكاءُ

- قولهم (وبالتالي):

(بالتالي) شبه جملة ركيكة جدًا شاعت شيوعًا واسعًا. وهي ترجمة خاطئة لـ«consequently» وقد تبين بالاطلاع على كثير من المقالات العلمية أن الصواب أن يحلّ محلّها ما يناسب المقام مما يلي:



من ثَمّ: لذا؛ وعلى هذا؛ وبذلك؛ إذًا؛ أيْ؛ ومن ثَمّ يتّضح / نجد / نرى أنّ... إلخ.

وللفائدة فإن: (ثَمَّ) اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى هناك، وهو ظرف لا يتصرف، وقد تلحقه التاء فيقال (ثَمَّةَ) ويوقف عليها بالهاء.

أما (ثُمَّ) فهو حرف عطف يدل على الترتيب مع التراخي في الزمن. وتلحقه التاء المفتوحة فيقال: ثُمَّتَ، ويوقف عليها بالتاء.

- **قولهم (اشترى كتبًا، أقلامًا، صورًا ودفاتر):**

من الأخطاء المنقولة عن اللغات الأجنبية جمع عدد من الأسماء المعطوفة في جملة واحدة، دون أن يتبع كل منها بحرف العطف «و» ووضع حرف العطف قبل آخر مذكور، مثل: «ذهب أحمد إلى المكتبة واشترى كتبًا، أقلامًا، صورًا ودفاتر»! وهذا أسلوب لا يصح الأخذ به في العربية لما فيه من فجاجة وعجمة، والصواب في المثال السابق أن نقول: «ذهب أحمد إلى المكتبة واشترى كتبًا وأقلامًا وصورًا ودفاتر».

- **قولهم (حارب ضد الاستعمار):**

ومن ذلك استعمال البعض كلمة «ضد» وهي ترجمة حرفية لكلمة against في اللغة الإنجليزية. فيقال: «حارب ضد الاستعمار»، و«ينبغي أن يسعى الآباء لتلقيح أبنائهم ضد الجدري»، و«صدر حكم ضد فلان»، وغير ذلك. وينصب الاعتراض على أن الأسلوب الذي يلجأ إلى استعمال هذه الكلمة، هو أسلوب يخالف طرق التعبير العربية. فالقول إن «فلان يحارب ضد الاستعمار» يُفهم منه أن هذا المحارب مخالف للاستعمار، أي أنه يحارب في جبهة أخرى غير الجبهة المعادية للاستعمار. والصواب في ذلك القول: «شن حربًا على الاستعمار». وبالنسبة لبقية الأمثلة: «يجب تلقيح الأطفال من الجدري»، و«صدر حكم بحق فلان أو عليه».

- **قولهم (قام بتغطية صحفية للمؤتمر):**

ومن الكلمات التي تتداولها أجهزة الإعلام الأجنبية، كلمة cover الإنجليزية. فيضع لها المترجم الكلمة التي يحددها القاموس، وهي «يغطي». ولكن في العربية لا يفيد هذا الفعل معنى نقل الخبر. ففي قولهم: «قام مراسل جريدة الأهرام بتغطية أنباء القتال الدائر في منطقة الخليج». ليس هناك علاقة بين الغطاء أو التغطية وبين الأخبار. وتضع

معاجم اللغة أفعالاً غير هذا الفعل لدلالة نقل الخبر، فتقول: «نقل الخبر أو أبلغه أو سرده».

- **قولهم (عبر أجهزة الاتصال):**

ومن تلك الكلمات، كلمة via بمعنى عَبْرَ، فيقال: «عبر أجهزة الاتصال». والأكثر صوابًا من ذلك أن تقول: «بأجهزة الاتصال» أو «بواسطة الاتصال».

- **قولهم (طبقًا لوكالات الأنباء):**

ومنها أيضًا كلمة «طبقًا» المترجمة عن كلمة according، فهي ترد في أمثلة كثيرة. ومن ذلك مثلاً القول: «سيتم نقل الأسرى يوم الأحد طبقًا لوكالات الأنباء». أما اللغة العربية فلا ترضى باستعمال «طبقًا» في مثل هذا الموضع، وإنما تتطلب استعمال الكلمة الصحيحة لهذا الوضع، وهي «وفقًا» أو «وفاقًا» أو «على وفق». فنقول: «سيتم نقل الأسرى يوم الأحد القادم وفقًا لما ذكرته وكالات الأنباء»، هذا إذا أردنا التمسك بحرفية الترجمة. ولكننا نستطيع ذكر عدة جمل تؤدي المعنى بصورة سهلة واضحة، فنقول مثلاً: «ذكرت وكالات الأنباء أن الأسرى سيُنقلون يوم الأحد القادم».

كذلك ترجمة كلمة cancel بكلمة «لاغيًا»، مثل: «يعد الاتفاق لاغيًا منذ مساء اليوم». وينصب الاعتراض على كلمة «لاغيًا»، فهي اسم فاعل من الفعل «لغا- يلغو»، أي كثر كلامه. ولكن السياق الذي يذكر فيه كلمة «لاغيًا» لا شأن له بكثرة الكلام أو قلته، بل بإبطال اتفاق مسبق. ولذلك يجب استعمال كلمة «ملغى»، وهي اسم المفعول من الفعل «ألغى – يلغي». فالصحيح إذن أن يقال: «يعد الاتفاق ملغى منذ مساء اليوم».

- **قولهم (لا زال):**

والبعض يترجم كلمة still بكلمة «لا زال». فيقول: «لازالت الاجتماعات منعقدة في مجلس الأمن»، ويقول: «لازالت الجهود تبذل لإصلاح الوضع في لبنان». وهذا استعمال خاطئ لكلمة «لا زال»، فهي تفيد الدعاء لا الاستمرار. يصح أن يقال: «لا زالت الديار قوية عزيزة بأهلها»، فهو دعاء للديار بدوام القوة والعز. أما ما يفيد الاستمرار فهو «ما زال»، كأن نقول: «ما زالت الاجتماعات مستمرة»، و«ما زالت الجهود مبذولة». وكثيرًا ما يختلط الأمر على من يقومون بالكتابة العربية، فيأخذون بالاستعمال الأول للدلالة على الثاني.

وهناك كلمة by التي يترجمها البعض «مِن قِبَل»، ويحشرونها في الجمل، على الرغم من عدم صحتها. فيقال: «دُونت الملاحظات من قِبَل اللجنة». وليس في استعمال «من قِبَل» أي ضرورة في هذا السياق، ذلك أنه يمكن القول: «دونت اللجنة الملاحظات».

- **قولهم (بالنسبة):**

وهناك كلمة شاع استعمالها شيوعًا خاطئًا، فلا تكاد تخلو منها جملة، وهي كلمة «بالنسبة»، التي يمكن التخلي عنها دون حدوث أي إخلال في الجملة، فضلاً عن استعمالها استعمالاً يخالف الاستعمال العربي السليم. فيقال مثلاً: «انخفضت أسعار العملات، وبالنسبة للمارك الألماني فقد انخفض مقابل الدولار». وهذا تركيب غير صحيح للجملة، فأي نظرة للقاموس تدلنا على أن «النسبة» هي القرابة أو ما تعلق بها. ومن هنا فالصواب أن يقال: «انخفضت أسعار العملات، أما المارك الألماني فقد انخفض مقابل الدولار».

أما عن الخلط بين حرفي الجر «إلى» و«اللام» - عند ترجمة حرف الجر في الإنجليزية to - فهو كثير، رغم أن لكل منهما معنى واستعمالاً مختلفًا. أما عن المعنى، فهو أن «إلى تعني انتهاء الغاية، في حين تستعمل «اللام» للدلالة على الملكية والتخصيص،

هناك كلمة شاع استعمالها شيوعًا خاطئًا، فلا تكاد تخلو منها جملة، وهي كلمة «بالنسبة»، التي يمكن التخلي عنها دون حدوث أي إخلال في الجملة، فضلاً عن استعمالها استعمالاً يخالف الاستعمال العربي السليم

ويتحدد استعمال كل منهما تبعًا للمعنى الذي تدل عليه. يقال مثلا: «سلمت الملف كاملاً إلى رئيس مجلس الإدارة»، وهذا غير صحيح، وصوابه: «سلمت الملف كاملاً لرئيس مجلس الإدارة». والسبب أن الملف سيوضع تحت تصرفه، كأنه ملك من أملاكه. ولم يكن الغرض سفر الملف من مكان معين ابتداء إلى مكان آخر انتهاء. ويقال أيضًا: «سافرت صباح الجمعة الماضي للإسكندرية»، وهذا غير صحيح أيضًا. والصواب القول: «سافرت صباح الجمعة الماضي إلى الإسكندرية»، لأن حرف الجر «إلى» في هذه الجملة يحدد انتهاء الغاية من السفر.

- **قولهم (الخصخصة أو التخصيص):**

كذلك من الأخطاء الإصرار على ترجمة بعض الكلمات الإنجليزية بكلمة واحدة مقابلة في اللغة العربية. مثل كلمة privatization التي وضعت لها ترجمات عدة. مثل: «الخصخصة» أو «التخصيص» أو التخصيصية». وهذه كلها ترجمات غير دقيقة للكلمة. ذلك أن اللغة الإنجليزية تميل دائمًا لاستخدام الزوائد affixes – سواء كانت بادئة أم لاحقة – إلى الكلمة الأصلية حتى يتم مواءمة استخدامها في موقعها من الجملة. ولذلك فهي تعتبر أكثر من كلمة واحدة، وإن بدت في ظاهرها كلمة واحدة. ومن هنا فلا داعي للإصرار على ترجمتها بكلمة واحدة مرادفة في اللغة العربية. وبذلك تكون الترجمة الدقيقة للكلمة السابقة هي: «التحول للقطاع الخاص». وكذلك كلمة Islamization التي يمكن ترجمتها: «تطبيق الشريعة الإسلامية». وغير ذلك كثير مما يمكن القياس عليه.

والمتتبع لأخطاء المترجمين يجدها لا تنحصر ما دام المترجم غير متمكن من لغته العربية، لذا نختم المقال بنصائح من الدكتور مكي الحسني تفيد الراغبين في إتقان العربية عامة، والمترجمين والمحررين خاصة. وتعينهم على استدراك الخطأ، يقول:

الحد الأدنى المطلوب هو التمكن من العربية السليمة، ويمكن بعد ذلك السعي للتضلّع من الفصيحة، ثم الفصحى في المرحلة الأخيرة.

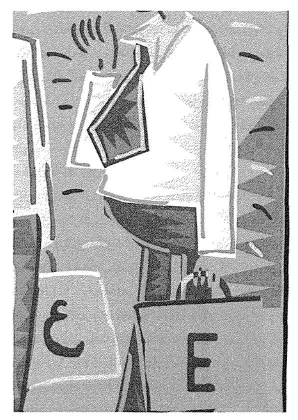
قال ابن خلدون في مقدمته (ص ٥٦١): «إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله (الضمير عائد لمن يبتغي هذه الملكة) المنوالُ الذي نسجوا عليه تراكيبهم، فينسجَ هو عليه، ويتَنَزَّل بذلك مَنْزلةَ مَن نشأ معهم، وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم».

وأشار إلى هذا المعنى الدكتور إبراهيم مدكور – الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة – فقال: «ملكة اللغة تُكتسَب بالحفظ والسماع، أكثر مما تُكتسب بالضابط والقاعدة».

وهذا يعني أن المعوَّل عليه في المقام الأول هو الحفظ والسماع، وبعد ذلك يأتي دور كتاب القواعد. ولهذا السبب كان الأوائل يرسلون أبناءهم صغارًا إلى البادية، ليسمعوا اللغة الصافية ويحفظوها، فتنشأ لديهم السليقة.

ومن المهم أن ندرك أننا جميعًا – في العصور الأخيرة – لا نملك سليقة لغوية سليمة، للأسباب التي ذكرتها في الفقرة السابقة. وهذا يعني أن علينا اكتساب العربية السليمة، مثلما نكتسب الإنكليزية السليمة. كيف؟

أ- بقراءة الكثير من النصوص الفصيحة قراءةً متأنِّيةً مُتَرَوِّيَة، مع إنعام النظر في المفردات والتراكيب



لحفظها واستعمالها والقياس عليها. وحبذا تعويدُ أولادنا، منذ الصغر، قراءةَ هذه النصوص. أما السماع فنفتقر إليه: إذ أين يمكنك في هذه الأيام أن تسمع لغة عربية عالية، يمكن الاقتباس منها؟

ب- بالرجوع المتكرر إلى معجم لغوي جيد.

جـ- بالاستعانة بكتاب جيد في قواعد العربية.

د- بالاطلاع على بعض معاجم الأخطاء الشائعة.

**ما الوسائل المساعدة؟**

أ- واضح إذًا أن (إدمان) القراءة الواعية للنصوص الفصيحة هو الأساس. فأين نجد هذه النصوص؟ أقترح البدء بأعمال كتَّاب مُجيدين معاصرين، مثل:

- مصطفى صادق الرافعي (وحْيُ القلم: كتاب المساكين: إعجاز القرآن).
- طه حسين (الوعد الحق: الأيام: على هامش السيرة).
- علي الطنطاوي (فِكَر ومباحث....).
- ديوان أحمد شوقي.

وبعد ذلك يَحْسُن الاطلاع على بعض أعمال القدامى، مثل:

- ابن المقفع (الأدب الصغير: الأدب الكبير: كليلة ودمنة...).
- الجاحظ (البيان والتبيين: الحيوان: البخلاء...).
- ابن قتيبة (عيون الأخبار).
- المُبَرِّد (الكامل).
- سيرة ابن هشام.
- أبو الفرج الأصبهاني (الأغاني).
- ديوان الفرزدق...

أكرر القول: لا بد من القراءة برَوِيّة وإنعام نظر، وحفظ التراكيب والمفردات، كما نفعل عند تعلم لغة أجنبية.

ب- فإذا صادفتَ أثناء القراءة مفردةً غير مألوفة، فافتح المعجم لتطّلع على معانيها واستعمالاتها المختلفة.

وأقترح هنا الرجوعَ-بالدرجة الأولى-إلى (المعجم الوسيط) (صدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٨٥) وهو من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ولهذا المعجم مزايا عديدة تفتقر إليها المعاجم الأخرى: فهو «أوضح، وأدق، وأضبط، وأحكم منهجًا، وأحدث طريقةً. وهو فوق كل هذا مجدِّد ومعاصر. يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام». (هذا بعض ما قاله الدكتور مدكور في تصدير الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠). وهناك لمن شاء أن يعود إلى معاجم أخرى:

- (معجم مَتْن اللغة) للشيخ أحمد رضا.
- (القاموس المحيط) للفيروزبادي.
- (لسان العرب) لابن منظور.
- (محيط المحيط) لبطرس البستاني.

ج- أقترح الاستعانة بكتاب (جامع الدروس العربية) للشيخ مصطفى الغلاييني. فهو - في نظري - أفضل كتاب جامع في الوقت الحاضر (صدرت طبعته الأولى سنة ١٩١٢. وصدرت حديثًا الطبعة الـ ٣٤!)

د- وأقترح الاطلاع على:

- معجم الأخطاء الشائعة: محمد العدناني: مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة: محمد العدناني: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- اللغة والناس: يوسف الصيداوي: دار الفكر، ١٩٩٦م.
- لغة العرب. صلاح الدين الزعبلاوي، مؤسسة الوحدة ١٩٨٣م.
- مسالك القول في النقد اللغوي: صلاح الدين الزعبلاوي: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٨٤م.

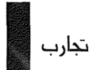
× أضواء على لغتنا السمحة: محمد خليفة التونسي: الكتاب التاسع من سلسلة (كتاب العربي): الكويت، ١٩٨٥م.

- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا (نحو ٢٥٠ قرارًا)، صدرت عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٤م.

مراجع البحث


١- د. مكي الحسني، موقع الألوكة www.alukah.net/Articles/Article.aspx?ArticleID=345

٢- محمد حسن يوسف، موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/Minute/٨٩.htm




قواعد اللغة العربية

# العبها تتعلمها!

خليل محمود الصمادي- الرياض

**لو سألت طلابنا ما أصعب مادة في اللغة العربية؟ لاتفقت إجابات أكثرهم على أنها مادة قواعد اللغة العربية. ولو سألتهم: لماذا يستصعبونها؟ لجاءت إجاباتهم متشابهة كقولهم: «إنها جامدة، صعبة، لا خيال فيها، فروعها كثيرة، تحتاج إلى حفظ وفهم في الوقت نفسه، تحوي مصطلحات لا نعرف معناها: مبني، معرب، منع من ظهورها التقاء الساكنين، في محل، اسم فاعل، اسم مفعول، صفة مشبهة باسم الفاعل..».**

يقضي طلابنا أوقاتًا كثيرة في تعلم قواعد اللغة العربية قد تصل إلى عشر سنوات قبل تخرجهم في المرحلة الثانوية. ولكن لا تكون الفائدة بقدر الوقت المعطى. ولو قورن تحصيل الطلاب في قواعد اللغة العربية مع أي مادة دراسية أخرى لكان الفرق واضحًا لصالح المواد الأخرى، مع أن كثيرًا من قواعد اللغة العربية ليست سوى تكرار (أو توسيع يسير) لمهارات تعلمها الطالب منذ المرحلة الابتدائية!

إن التنوع في إعطاء الدروس سيجعل المادة الدراسية الصعبة ميسرة مقبولة، لأن النفس البشرية تنسجم مع الجديد والمبتكر. وقد يستطيع مدرس القواعد التنويع في درسه حسب المتاح له، وحسب الدرس وإمكانات المدرسة. وسنتعرض إلى بعض الطرق المبتكرة في تدريس قواعد اللغة العربية، وأكثرها يقوم على أساس الألعاب والمنافسة. وهي طرق تعطي الدرس حيوية لأنها تحفز عقول التلاميذ وتتحدى مقدرتهم.

### المنافسة بين أعضاء الفريق

يستطيع المدرس أن يجعل درس القواعد عن طريق اللعب والمنافسة، ففي مرحلة التقويم وبعد أن يستكمل شرح الدرس يجري مباراة للتلاميذ لتعزيز استيعاب الدرس والتأكد من فهمه، وذلك بتقسيم طلاب الفصل إلى فريقين أو ثلاثة أو أربعة. ويسمي كل فريق باسم ما، ويكتب أسماء الفرق على السبورة ضمن جدول، ثم يطرح أسئلة عن محتوى الدرس تحسب إجابة كل فريق على حدة وتسجل له نقاط بذلك. وفي نهاية الحصة يعلن المدرس عن الفريق الفائز، الذي لابد أن يكرم ولو بكلمات تشجيعية، قد تحث الآخرين على الانتباه والاهتمام والاستعداد الجيد للدروس القادمة، إذ يمكن للمدرس أن يعلن عن موعد لاحق للمسابقة حتى يحث التلاميذ على المذاكرة والاستعداد، كما يمكنه أن يجري المباراة بشكل فردي بين مجموعة من التلاميذ يطلب منهم أن يكونوا مستعدين للمنافسة في الدرس القادم. وفي مرحلة لاحقة تجرى مباراة في القواعد على مستوى المدرسة أو المنطقة أو المدينة.

### المعلم الصغير

يستطيع المعلم أن يدرب التلاميذ على برنامج لطيف يتضمن ألعابًا وتشويقًا اسمه «المعلم الصغير» تطبيقًا لنظرية ابن سينا التي تنص على أن «الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ وبه آنس وأدعى للتعلم»، فيطلب من أحد التلاميذ أن يعطي درسًا ما في القواعد، عن أنواع الفعل، يتم تحضيره مسبقًا، أو في نهاية الدرس كمراجعة للدرس الذي أعطاه

المعلم. ويمكن تطبيق برنامج المعلم الصغير في دروس اللغة العربية كلها، ولكن تطبيقه في مادة القواعد أكثر فائدة لأن مهارات القواعد بحاجة إلى تركيز ومراجعة.

ومن خلال تجارب بعض المعلمين لهذا البرنامج رأوا فوائد كثيرة علمية وتربوية عادت بالنفع عليهم وعلى الطلاب أيضًا. فالطالب الذي يقف موقف مدرسه لا بد أن يعطى صلاحيات المدرس من السماح للتلاميذ بالاستئذان أو طرح الأسئلة على الزملاء أو الثناء واللوم وغير ذلك مما يساعد لمزيد من الطلاب في المشاركة. وما أجمل أن توثق الأوقات الجميلة على أشرطة تسجيلية قد يراها الطلاب مرارًا خلال الاحتفالات والمناسبات أو خلال الفسح. وستفتح هذه المشاركات المجال للغير في إعداد مثل هذا البرنامج مستقبلاً.

**الأضداد**

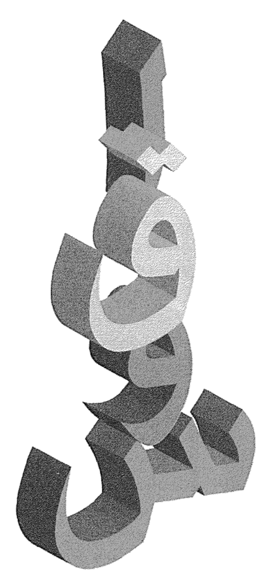
تصلح هذه الألعاب في بعض الدرس كالمذكر والمؤنث والأفعال وأنواع الجمع وغيرها. ويمكن استخدام البطاقات في هذه اللعبة. يكتب المعلم على البطاقات كلمات محور الدرس ويقوم بتوزيعها على التلاميذ. وبعدها يجري اللعبة كأن يقف أحد الطلاب ويقرأ بطاقته. ثم يقف الطالب الذي يحمل الإجابة ليقرأ إجابته أيضًا. أما إذا كانت اللعبة شفوية فيمكن أن يلعبها المدرس مع طلابه أو يسمح لطالب آخر أن يتقمص دوره ويدير اللعبة. عندها ستكون أجمل وأشد شوقًا.

**السؤال والجواب**

وهي لعبة طريفة جدًا يمكن أن يلعبها التلاميذ في مرحلة التقويم في أغلب دروس القواعد. ففي درس المبتدأ والخبر مثلاً، توزع قصاصتان من الورق على كل طالب. يكتب الطالب على واحدة «المبتدأ» وعلى الأخرى «الخبر» ثم توضع أوراق المبتدأ على حدة، وكذلك أوراق الخبر. ويختار أحد الطلاب قصاصة ما بشكل عشوائي ويقول مثلاً: «المطر». ويختار طالب آخر ورقة ويقرؤها وربما تكون «مهذب». ففي هذه اللحظات سيكون التلاميذ في غاية السرور. ويمكن تطبيق هذه اللعبة في دروس الفعل والفاعل والمفعول به وفي الأفعال الناسخة والحروف الناسخة. ويمكن أن توزع على كل تلميذ أكثر من قصاصتين وذلك بحسب الدرس.

**البطاقات**

وتصلح هذه اللعبة في أكثر دروس القواعد. ففي درس الفعل والفاعل مثلاً يحضر بطاقات على عدد طلاب الفصل، ويقسمها مناصفة يكتب على كل زوج منها الفعل والفاعل المناسب. ثم يوزع بطاقات الفعل للمجموعة «أ» وبطاقات الفاعل للمجموعة «ب». ثم يطلب من أحد تلاميذ المجموعة «أ» أن يقرأ بطاقته وعلى الطالب الذي يحمل الفعل المناسب من المجموعة «ب» أن يقرأ الفاعل، والطالب الذي يتأخر أو الذي يذكر غير فعله يخسر ويخرج من اللعبة. وتصلح هذه اللعبة في معاني الكلمات في دروس القراءة.



### من سيربح المليون؟

كثير من طلابنا يعرفون شروط برنامج المسابقات العالمي «من سيربح المليون»، وهم بلا شك معجبون به، وكم يتمنون أن يشاركوا بمثل هذه البرامج. يستطيع المعلم في أي درس من دروس القواعد أن يجري مسابقة على طريقة البرنامج المذكور، فيصمم أسئلة تتكون من ١٥ سؤالاً يتدرج من السهولة إلى الصعوبة، ولكل سؤال أربعة خيارات، واحد منها صحيح إذا اجتازه التلميذ يصعد للسؤال الذي يليه، ويمكن أن يضفي على المسابقة نوعًا من الاهتمام والتحدي والمرح، كأن يعطي الطالب فرصًا للمساعدة كالاتصال بصديق أو سؤال الجمهور أو تبديل السؤال أو حذف إجابتين، كما يمكن تغيير اسم المسابقة بـ«من سيربح الكنز» أو أي اسم مناسب.

### الكلمات المتقاطعة

يصمم المعلم ورقة عمل تتضمن المهارات التي تم دراستها خلال مدة معينة فصل دراسي أو خلال شهر أو أسبوع، على شكل كلمات متقاطعة تناسب مستوى التلاميذ. ففي درس «حروف النصب والجزم» يكون التركيز على هاتين المهارتين أكثر من الدروس التي تم إعطاؤها سابقًا. وقبل الشروع في الحل يعطي المعلم تلاميذه فكرة عن حل الشبكة، ولا بأس في المرة الأولى أن يعرض الشبكة أمام التلاميذ ويتم حلها بشكل جماعي. وإذا وجد المعلم طلابًا مبدعين في حل مثل هذه الشبكات يطلب منهم تصميم شبكات وتوزيعها على التلاميذ.

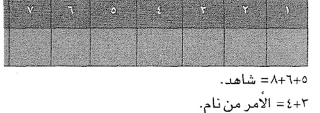
### الكلمة الضائعة

وهي كالكلمات المتقاطعة عبارة عن شبكة فيها عدد من الكلمات مقطعة عموديًا أو أفقيًا أو رأسيًا تكتب خارجها الكلمات الموجودة في الشبكة، وتترك بعض الكلمات المحققة لهدف الدرس تبقى بعض الشطب، ففي درس «أدوات الشرط الجازمة» يُبقي المعلم «إذا، إن، أين، متى...».

### من هو؟

وهي لعبة محببة للتلاميذ يطلب فيها معرفة اسم شخصية ما أو تركيب نحوي وغير ذلك. وفي بداية السؤال يرسم جدول من عمود واحد مقسم حسب الاسم المطلوب، ثم تتبعه بعض الأسئلة المساعدة، وغالبًا ما تكون من مهارات دروس القواعد التي تم إعطاؤها سابقًا، والمثال التالي يوضح المطلوب:

شخصية تاريخية لغوية وضع كتاب لسان العرب يتكون اسمه من ثمانية أحرف:



| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | |

٥+٦+٨= شاهد.

٣+٤= الأمر من نام.

٤+٥= حرف جر.

٣+١+٨= مفرد نيران

٨+٢=١+٢= اسم علم مؤنث.

أضع الاسم في جملة بحيث يقع فاعلاً:

..............................................................

**يستطيع مدرس اللغة العربية أن يستثمر اي درس من دروس القواعد ويجعله محببًا ضمن برنامج الشرائح المتلاحقة «بور بوينت»، ويقوم بتصميم ألعاب رائعة يمارسها الطالب على الكمبيوتر في فصله أو في منزله**

### لعبة المتاهات

وهي لعبة معروفة ولا تخلو مجلة أطفال منها، وملخصها أن طفلاً يريد أن يعبر المكان إلى طريق آمن، ويعترض طريقه دروبًا ومسالك مغلقة وعليه أن يجتاز الطريق الصحيح الموصل للنهاية. يمكن للمدرس أو مؤلفي كتب القواعد أن يصمموا مثل هذه

الألعاب على أن تتضمن مهارات في الدروس التي ينبغي تحقيقها. فمثلاً في درس «حروف الجر» تكون الطرق السالكة فقط المذكور فيها حروف الجر فقط، أما حروف مثل: هل، كم، أن، ليت، لعل...» تكون غير موصلة للهدف.

**استبدال الأرقام بكلمات**

يرسم تحت السؤال ٢٨ جدولاً صغيرًا والسؤال هو:

املأ المربعات بالحروف الهجائية مرتبة:

| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ١١ | ١٢ | ١٣ | ١٤ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | | | | | | | | | |
| ١٥ | ١٦ | ١٧ | ١٨ | ١٩ | ٢٠ | ٢١ | ٢٢ | ٢٣ | ٢٤ | ٢٥ | ٢٦ | ٢٧ | ٢٨ |
| | | | | | | | | | | | | | |

بعد أن يكتب التلاميذ الأحرف الألفبائية مرتبة يطلب منه أن يستبدل بالأرقام الحروف المقابلة لها. وهدف هذه اللعبة أن يستنتج الطالب قاعدة قصيرة لدرس صعب فهمه أو جملة مفيدة أو غير ذلك. والمثال التالي يوضح اللعبة.

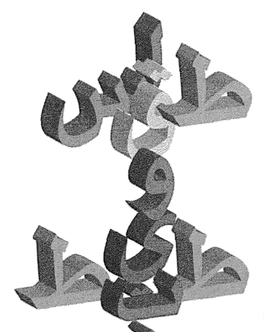
١+٢٣+٢٠+١+١٨+٢٣= الفاعل.

٢٤+١٠+٢٠+٢٧+١٨= مرفوع.

٢+١+٢٣+١٥+٢٤+٣= بالضمة.

١+٢٧= أو.

٢+١+٢٢+٢٣+١+٢٠= بالألف.



١+٢٧= أو

٢+١+٢٣+٢٧+١+٢٧= بالواو.

**لعبة الإحداثيات**

وهي شبيه باللعبة السابقة ولكن تتطلب مهارة أكثر، يطلب من التلاميذ اكتشاف الحرف الذي يقع على خط رقمين أحدهما عمودي والآخر أفقي، ويكتبه ثم يكتب الحرف الثاني والثالث وهكذا حتى يكتب المطلوب منه، وبالطبع سيكون المطلوب في هذه اللعبة جملة تخدم هدف درس القواعد كاستنتاج خلاصة الدرس أو كتابة جملة تتضمن مهارة ما وغير ذلك، وفي المثال التالي يوضح طريقة اللعبة.

| | ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١١ | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر |
| ١٢ | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف |
| ١٣ | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ي | ة | أ |

يمكن طرح تدريب كما يلي:

١. ١١-١ ١٣-٣ ١٣-٤ ١٢-٤ ١١-٨ ١٣-١٠

........................................

٢. ١٣-٧ ١١-١ ١٣-٣ ١١-٧ ١٢-٢ ١١-١٠

........................................

٣. ١٣-٤ ١١-١٠ ١٢-١٠ ١٣-٧ ١٢-٨ ١١-١ ٥١٣

........................................

٤. ١١-٨ ١١-١ ١٣-١٠ ١٣-٤ ١١-١

........................................

**برامج الكمبيوتر**

يستطيع مدرس اللغة العربية أن يستثمر أي درس من دروس القواعد ويجعله محببًا ضمن برنامج الشرائح المتلاحقة «بور بوينت»، ويقوم بتصميم ألعاب رائعة يمارسها الطالب على الكمبيوتر في فصلة أو في منزله، ومن الجدير ذكره أن هناك عشرات الدروس القيمة في القواعد على شبكة الإنترنت لا تحتاج إلا لدقائق لتحميلها على الكمبيوتر ومن ثم عرضها على التلاميذ، كما أن هناك عشرات الأقراص المدمجة التي تخدم مادة قواعد اللغة العربية عن طريق اللعب والمرح والسعادة. ■

٢٥٪ من الأمريكيين يفضلون التلفزيون على مليون دولار

# تتحكم به أم يتحكم بك؟!

هاني كرم - كندا

**إذا عرض عليك أحد مليون دولار أمريكي لتستغني عن مشاهدة التلفزيون إلى الأبد، فهل تقبل عرضه؟ تبيّن من أحد الاستطلاعات التي أجريت منذ عدة سنوات أن ربع الأمريكيين يرفضون هذا العرض! وفي استطلاع آخر، سُئل فيه الرجال عن أهمّ أمانيهم، قالت الغالبية العظمى: «إنهم يرغبون في السلام والسعادة». لكن الحقيقة أن هذه الأمنية أتت في المرتبة الثانية. فأهمّ أمنية في حياتهم كانت الحصول على تلفزيون بشاشة كبيرة!**

في سنة ١٩٣١م، عندما كان التلفزيون لا يزال في بداياته، قال رئيس المؤسسة الأمريكية للصناعة الراديوية: «حين يبلغ التلفزيون ذروة تطوره، يُتوقع أن ينمو عد مشاهديه ليشمل سكان الأرض بأكملها». لربما بدت هذه الكلمات آنذاك مبالغًا فيها لكن الواقع يؤكد العكس. فعدد أجهزة التلفزيون في العالم يبلغ بحسب التقديرات ١,٥ بليون جهاز، ولا شكّ أن أعداد المشاهدين تفوق هذا العدد بأشواط.

إن كمية الوقت التي يكرسها كثيرون لمشاهدة التلفزيون مذهلة حقًا. فقد أظهرت مؤخرًا دراسة شملت العالم، بأن الناس يقضون في مشاهدة التلفزيون أكثر من ثلاث ساعات يوميًا (كمعدّل). فسكان أمريكا الشمالية يشاهدون البرامج التلفزيونية أربع ساعات ونصف ساعة يوميًا، في حين يتصدر اليابانيون اللائحة إذ يقضون أمام شاشة التلفزيون خمس ساعات يوميًا. وهذه الساعات، إذا ما جُمعت تساوي فترة زمنية لا يستهان بها. فإذا صرفنا أربع ساعات يوميًا في مشاهدة التلفزيون، نكون قد قضينا بحلول سن الستين من عمرنا عشر سنوات أمام الشاشة الصغيرة! ولكن لا أحد منا يود أن يُنقش على ضريحه: «هنا يرقد صديقنا الحبيب الذي كرّس سدس سني حياته لمشاهدة التلفزيون».

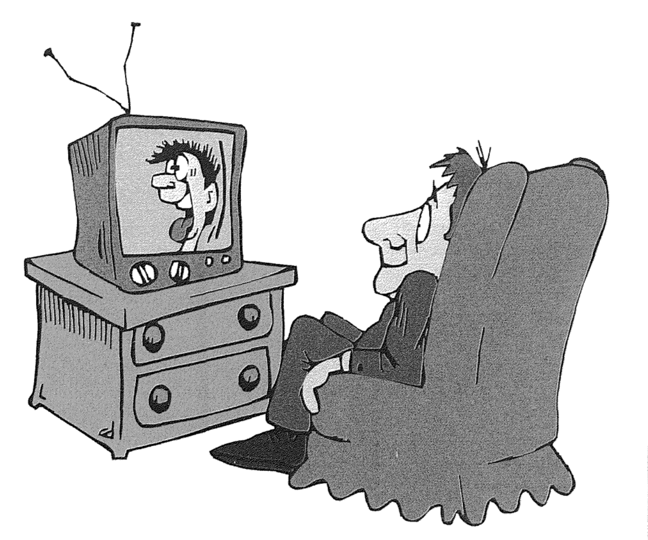
ليس بالضرورة أن يُشاهد الناس التلفزيون ساعات طويلة لأنهم يستمتعون بذلك؟ فكثيرون يعرفون أنهم يصرفون أكثر مما ينبغي أمام الشاشة الصغيرة، ويشعرون بالذنب لأنهم لم يستغلوا وقتهم بطريقة أجدى وأنفع. ويقول البعض: «إنهم مدمنون على مشاهدة التلفزيون»!. طبعًا، ليس إدمان التلفزيون كإدمان المخدرات، ولكن ثمة أوجه شبه بينهما. فمدمنو المخدرات يكرسون الكثير من وقتهم لهذه العادة. حتى لو أرادوا خفض الوقت الذي يخصصونه لها، أو قرروا الإقلاع عنها، يعجزون عن فعل ذلك. كما أنهم يضحون بنشاطات اجتماعية وعائلية مهمة في سبيل تعاطي المخدرات، ويعانون أعراض الانقطاع حين يتوقفون عنها. وجميع هذه الأعراض قد يعانيها أيضًا

الذين يُفرطون في مشاهدة التلفزيون.

**التفاصيل المقززة**

رغم أن الشاشة تعرض الكثير من البرامج المفيدة، إلا أن الإفراط في مشاهدة التلفزيون يسرق جزءًا من الوقت الذي ينبغي أن نقضيه مع العائلة. وقد يعيق الأولاد عن المطالعة ويؤثر سلبًا في إنجازهم الدراسي. كما أنه يساهم في إصابة الناس بالسمنة. وإذا كانت مشاهدة التلفزيون تستغرق الكثير من وقتك. فمن الحكمة أن تسأل نفسك عن الفوائد التي تجنيها من ذلك.

يمكن أن يكون التلفزيون أداة تعليمية فعالة. فبواسطته نتعرف ببلدان وشعوب ربما لن تسنح لنا مطلقًا فرصة زيارتها. ومن خلال شاشته نسافر إلى الأدغال المدارية، القلانس الجليدية القطبية، قمم الجبال وأعماق المحيطات. أغوار عالم الذرات المذهل وعالم النجوم الرائع! كما نشاهد الأحداث لحظة وقوعها ولو في أقصى العالم. ونطّلع على مجريات السياسة وأحداث التاريخ وشؤون الساعة والموضوعات الثقافية. وينقل إلينا التلفزيون أيضًا صورة عن حياة الناس بأفراحها وأتراحها. إنه يسلينا، يثقفنا، ويوحي لنا بأفكار جديدة.. لكن الكثير مما يعرض على شاشة التلفزيون ليس بنّاء ولا مثقّفًا على الإطلاق. ولعل أشد الانتقادات في هذا المجال هي الأصوات التي تستنكر بشدة المشاهد الجنسية الفاضحة والعنف الشديد التي تزخر بها البرامج التلفزيونية. على سبيل المثال، وجدت إحدى الدراسات في الولايات المتحدة أن حوالي ثلثي البرامج التلفزيونية تعرض مشاهد عنف بمعدل ٦ مشاهد في الساعة. وبحلول الوقت



الذي يبلغ فيه الحدث سن الرشد، يكون قد شاهد آلاف الجرائم وأعمال العنف في إطار تلفزيوني. وتعزز البرامج التلفزيونية أيضًا الموضوعات التي تتناول الجنس. فثلثا البرامج التلفزيونية تتضمن أحاديث عن الجنس، وتبرز ٣٥٪ من البرامج أنماطًا من السلوك الجنسي تُصور عادة على أنها تعبير عفوي بين أشخاص غير متزوجين خال من المخاطر.

تلقى أفلام الحركة السينمائية المصنوعة في أميركا، (التي تُبث في نهاية المطاف على شاشات التلفزيون)، التي تصور العنف والجنس رواجًا كبيرًا في مختلف دول العالم، مما يسهل تسويقها وبيعها. فهي لا تتطلب بالضرورة براعة في التمثيل وإبداعًا في كتابة النص. كما أنها تُفهم بسهولة. وهي تعتمد على المشاهد والمؤثرات الخاصة للاستئثار بانتباه المشاهدين. ولأن استقطاب اهتمام المشاهدين على مر السنين يتطلب التغييرات. فالمشاهد يسأم بسرعة من تكرار الأفكار ذاتها، وما كان يعتبره مثيرًا ورائعًا يُصبح في نظره عاديًا ومبتذلاً. لذلك يزداد المنتجون تطرفًا بغية إثارة المشاهدين وإحداث الصدمة في نفوسهم، فيزيدون مشاهد العنف واللقطات الإباحية والسادية، ويجعلون المضمون أغنى بالتفاصيل الحية المقززة للنفس.

### السبب والنتيجة

يوجه النقاد أصابع الاتهام إلى العنف الذي تصوره الشاشة الصغيرة على أنه السبب وراء سلوك الناس العدائي وعدم تعاطفهم مع ضحايا العنف في الحياة الواقعية. كما أنهم يؤكدون أن الطريقة التي يُصور بها الجنس في التلفزيون تروج ممارسة العلاقات الجنسية بين شركاء مختلفين وتقوّض المقاييس الأخلاقية. فهل تؤدي مشاهدة التلفزيون حقًا إلى كل هذه العواقب؟

منذ عقود يُثير هذا السؤال جدلاً حاميًا. وقد تناولت مئات الدراسات والكتب وآلاف المقالات هذه المسألة. ومن أهم القضايا التي يدور حولها الجدال صعوبة البرهان في أن أمرًا يسبب أمرًا آخر. أي صعوبة البرهان مثلاً أن مشاهدة العنف على التلفزيون في سنّ غضّة تؤدي لاحقًا إلى سلوك عدائي. فبرهان العلاقة بين السبب والنتيجة ليس دائمًا بالأمر السهل. على سبيل المثال، نفترض أنك تناولت دواء ما للمرة الأولى، فأصبت بطفح جلدي في غضون ساعات قليلة. يسهل الاستنتاج عندئذ أن الدواء هو الذي سبب لك هذه الحساسية. لكن الحساسية تتطور أحيانًا بشكل تدريجي. وفي هذه الحال، قد يصعب الجزم أن هذه الحساسية مردّها إلى تناول دواء معين، لأن أسباب الحساسية متعددة.

بشكل مماثل، يصعب البرهان أن العنف الذي تعرضه شاشات التلفزيون هو وراء الجرائم والسلوك المضاد للمجتمع. فمن جهة، تشير دراسات عديدة إلى وجود مثل هذا الارتباط. كما يدّعي بعض المجرمين أن ما شاهدوه على التلفزيون صاغ مواقفهم وسلوكهم العدائي. ومن جهة أخرى، ثمة عوامل كثيرة تؤثر في تصرفات الناس. فألعاب الفيديو العنيفة، القيم الأخلاقية التي يتبناها أصدقاء المرء وعائلته، ظروفه الحياتية العامة.. جميعها عوامل قد تساهم أيضًا في سلوكه العدائي.

فلا عجب إذًا أن تتضارب الآراء ووجهات

> دوّن على مدى أسبوع تقريبًا كم ساعة تقضي أمام الشاشة. وقد ترغب أيضًا في تدوين البرامج التي تشاهدها، ما تعلمت منها، وكم تمتعت بها. لكن أهم شيء هو أن تحسب الوقت الذي تصرفه أمام التلفزيون. وقد تفاجئك النتيجة

٢٥٪ من الأمريكيين يفضلون التلفزيون على مليون دولار

النظر. كتب عالم نفسي كندي: «ما من دلائل علمية تُظهر أن مشاهدة العنف تولد العنف في الناس أو تجعلهم يفقدون الحس حياله». لكن «اللجنة الخاصة بوسائل الإعلام والشؤون الاجتماعية التابعة للجمعية النفسية الأميركية» قالت: «ما من شك على الإطلاق أنه كلما شاهد المرء المزيد من العنف على شاشة التلفزيون، صار أكثر تقبلاً للمواقف العدائية وأشد عدائية في سلوكه». ولكن يبقى السؤال المحيرّ نفسه يطرح نفسه: «هل يؤثر التلفزيون فينا أم لا؟ تَذَكَّر أن الجدل بين الخبراء يدور حول تقديم البرهان، أي إذا ما كان بالإمكان البرهان أن مشاهدة السلوك العدائي تنتج العدائية. لكن قليلين هم الذين يدعون أن التلفزيون لا يؤثر في تفكير البشر أو سلوكهم». فكر في الأمر. إن مجرد صورة فوتوغرافية واحدة قد تجعلنا نغضب، نفرح، أو نذرف دموعًا غزيرة. والموسيقى أيضًا تحرك مشاعرنا بعمق. كما أن الكلمات، (حتى المطبوعة) منها، تجعلنا نفكر ونشعر وتحثنا لنعمل. فيا للقوة الهائلة التي تنجم حين تتشابك في الأفلام الصور والكلمات والموسيقى بطريقة بارعة! لا عجب إذًا أن تكون للتلفزيون هذه القدرة الهائلة على فتن القلوب والعقول! وهو في متناول الجميع. يقول أحد

**افحص لائحة البرامج التلفزيونية مسبقًا واختر البرنامج الذي ترغب في مشاهدته. ثم أدر الجهاز حين يبدأ هذا البرنامج وأطفئه حين ينتهي. وبدل أن تشاهد البرنامج أثناء بثه يمكنك تسجيله. وسيتيح لك ذلك أن تحضره في الوقت الذي يناسبك وأن تتجاوز الإعلانات بالضغط على زرّ التقديم السريع**

الكتاب: «مذ تعلم الإنسان تدوين أفكاره كتابة... لم يكن لأية تقنية جديدة معدة لنقل الأفكار تأثير يضاهي تأثير التلفزيون على الحضارة». إن الشركات التجارية تنفق بلايين الدولارات على الإعلانات كل سنة لأنهم يعرفون أن المشاهدين يتأثرون بما يرونه ويسمعونه. وهم لا ينفقون تلك المبالغ الطائلة من الأموال لأنهم يأملون أن تؤثر الدعاية في المشاهد، بل لأنهم واثقون تمامًا بتأثيرها الفعال. إنها وسيلة مهمة تتيح لهم بيع منتجاتهم. ففي سنة ٢٠٠٤م (مثلاً) أنفقت شركة الكوكا كولا ٢,٢ بليون دولار لترويج منتجاتها حول العالم من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة. فهل كان هذا الاستثمار مجديًا؟ لا شك في ذلك. فقد بلغت أرباح الشركة تلك السنة حوالي ٢٢ بليون دولار. ويدرك المعلنون أن مجرد إعلان واحد قد لا يؤثر في الناس. لذلك يعتمدون على تكرار الإعلان والدعاية لمنتجاتهم على مدى سنين ليتشربها المشاهد ويتأثر بها. فإذا كانت الإعلانات التي تستغرق ٣٠ ثانية تؤثر في مواقفنا وسلوكنا. فكم إذا قضينا ساعات أمام شاشة التلفزيون؟ يقول واضع كتاب «التلفزيون-تاريخ عالمي»: «حتى من خلال برامج التسلية التقليدية والعادية، يؤدي التلفزيون دور معلم خفي». ويقول كتاب «تاريخ مُصور عن التلفزيون»: «إن التلفزيون يغير طريقة تفكيرنا». لذلك فمن الحكمة التفكير جديًا فيما نشاهده.

### اقتراحات التحكم

«كنا بمجرد أن نديره نجد أنفسنا نشاهد كل ما يُعرض من برامج الواحد تلو الآخر.. ولم نكن نطفئه حتى نخلد إلى النوم». هذا ما تقوله «كلودين». عن مشاهدة التلفزيون. ويقول البعض: «لا أستطيع أن أرفع عيني عن الشاشة». ويذكر البعض الآخر: «لا أريد أن أشاهد التلفزيون بإفراط كما أفعل الآن، ولكن الأمر خارج عن سيطرتي». فهل تُفرط في مشاهدة التلفزيون أو هل يقلقك تأثير التلفزيون في عائلتك؟ إليك بعض

الاقتراحات التي قد تساعدك على التحكم في مشاهدتك للتلفزيون:

### ساعات المشاهدة

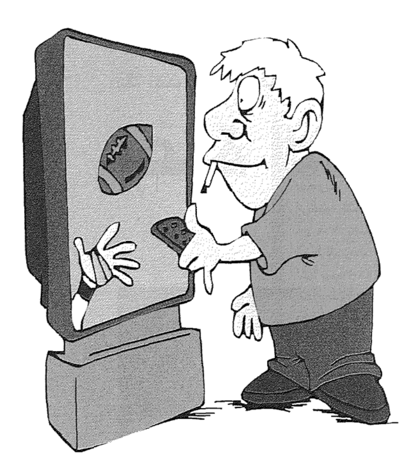
من الحكمة أن تحلل عادات مشاهدتك للتلفزيون لترى إذا ما كان عليك القيام بالتعديلات. دوِّن على مدى أسبوع تقريبًا كم ساعة تقضي أمام الشاشة. وقد ترغب أيضًا في تدوين البرامج التي تشاهدها، ما تعلمت منها، وكم تمتعت بها. لكن أهم شيء هو أن تحسب الوقت الذي تصرفه أمام التلفزيون. وقد تفاجئك النتيجة. وربما تندفع إلى صنع التعديلات حين تدرك كم تكرس من حياتك لمشاهدة التلفزيون.

### خفِّض وقت المشاهدة

حاول أن تتوقف عن مشاهدة التلفزيون يومًا في الأسبوع، أسبوعًا بكامله، أو شهرًا واحدًا. وقد ترغب أيضًا كاقتراح ثان أن تخفض الوقت الذي تصرفه كل يوم في مشاهدة البرامج. فإذا اقتطعت كل يوم نصف ساعة، فستربح ١٥ ساعة كل شهر. استخدم هذا الوقت في القيام بنشاطات مفيدة، كمطالعة كتاب مفيد، أو قضاء الوقت مع العائلة والأصدقاء. وقد أظهرت الدراسات أن الذين لا يكثرون من مشاهدة التلفزيون يتمتعون بالبرامج أكثر من الذين يكثرون منها. وإحدى الطرائق لتخفيض مشاهدة التلفزيون هي نقل الجهاز خارج غرفة النوم . فحين يكون في غرفة الأولاد، لا يعرف الوالدان ما الذي يشاهدونه. كما أنهم يقضون أمام شاشته ساعة ونصفًا أكثر مما يقضيه الأولاد الذين لا يوجد تلفزيون في غرفتهم. من جهة أخرى، إذا نَقل الوالدان والمتزوجون عامة التلفزيون من غرفتهم، فسيجدون المزيد من الوقت للاهتمام واحدهم بالآخر. وقد جرب بعضهم ذلك حتى اختاروا ألاّ يقتنوا جهاز تلفزيون في بيتهم.

### افحص اللائحة

لا شك أن هنالك الكثير من البرامج المفيدة



التي يمكن أن تشاهدها. فعوض أن تقلب الأقنية أو تشاهد أي برنامج يصادفك، افحص لائحة البرامج التلفزيونية مسبقًا واختر البرنامج الذي ترغب في مشاهدته. ثم أدر الجهاز حين يبدأ هذا البرنامج وأطفئه حين ينتهي. وبدل أن تشاهد البرنامج أثناء بثه يمكنك تسجيله. وسيتيح لك ذلك أن تحضره في الوقت الذي يناسبك وأن تتجاوز الإعلانات بالضغط على زرّ التقديم السريع.

### التحلي بالإرادة

لكي نكون انتقائيين ينبغي أن نتحلى بضبط النفس. فهل حدث أن بدأت بمشاهدة برنامج تلفزيوني وأدركت منذ الدقائق الأولى أنه غير لائق، ورغم ذلك تابعت مشاهدته حتى النهاية بدافع الفضول؟ كثيرون وقعوا في هذا الفخ. ولكن إذا تحليت بقوة الإرادة لتطفئ التلفزيون وتقوم بعمل آخر، فستكتشف على الأرجح أنك لا تبالي بأحداث الفيلم.■

٢٥٪ من الأمريكيين يفضلون التلفزيون على مليون دولار

قل لمن يحمل همًا إن همك لن يدوم

# لعبة الاستعراف


د.خالد عبدالله الخميس * - الرياض

* قسم علم النفس - جامعة الملك سعود

**هل مرت بك خسارة فادحة؟ هل فقدت عزيزًا؟ هل أوقفت ترقيتك؟ هل يزعجك التعامل مع مديرك؟ هل حصل لك هذا أو ذاك أو شبيه به؟ ألم تكن مشاعرك ملؤها الحزن والكآبة لتعرضك لمثل هذه المواقف؟ هل حصل هذا لآخرين وحصل لهم من الكآبة أكثر مما حصل لك؟ وهل حصل هذا لآخرين غيرهم لكنهم استطاعوا التعامل مع مثل هذه المصائب بشكل متعقل؟ هل تريد أن تعرف لماذا تختلف عن الآخرين ولماذا يختلف عنك الآخرون في استجاباتهم لما يعترض من مشكلات؟ هل تريد أن تعرف السبب في قدرة البعض على التعامل المتعقل وفشل البعض؟ هل تريد أن تعرف السبب لهذا كله؟ لن أطيل. السبب يرجع لموضوع واحد هو من يجيد فن لعبة الاستعراف. إنه موضوع يفسر لك لماذا تغضب لأتفه الأسباب؟ ولماذا تكتئب لأتفه المشكلات؟ ولماذا تقلق من مواقف لا تستحق القلق؟ ولماذا تشمئز عندما ترى فلانًا وتبتهج عندما ترى فلانًا؟**

لعبة الاستعراف لعبة كلنا نلعبها. تشبه لعبة الكراسي، يوميًا نلعبها آلاف المرات. منا من يجيدها ومنا من لا يجيدها، لكننا لا نميز من يجيدها عمن لا يجيدها. كل واحد منا يتشكل سلوكه وفق أسلوبه في اللعب. المشكلة أن كلاً منا يظن أنه يلعبها (صح). و(الصح) أن السعيد هو من يجيد لعبها والتعيس من لا يجيدها. لعبة الاستعراف هي حقيقة ما يدور بينك وبين نفسك من حوارات وأفكار يومية حول تفسير الأحداث والمشاكل اليومية والمستقبلية والماضية. الاستعراف هو البوابة الرئيسية للعواطف والانفعالات السعيدة والحزينة. الحزن يأتي بعد فكرة، والفرح يأتي بعد فكرة، والخوف يأتي بعد فكرة، وكذا جميع المعاناة النفسية تأتي بعد أفكار. وعلى حسب كيف تُصنع الفكرة تتكون مادة الانفعال، إذ لا يمكن أن تنفعل بدون استعراف ولا يمكن أن تحزن أو تقلق بدون أفكار مسبقة.

تعال مع نفسك وأنت في وضع حزين تجد أن انفعال الحزن سبقه تفكير في شيء يثير الحزن، والحزن لا يأتي بدون سبب كما يشاع بل يأتي بعد استعراف. إن محتوى مادة التفكير هي ما قاد مشاعرك للإحساس بعاطفة الحزن. إن قصر مدة التفكير في المشكلة التي سببت الحزن والكآبة هي ما جعلتك تغفل أن سبب الكآبة جاء من خلال عنصر التفكير أو الاستعراف. إن ثانية واحدة من الاستعراف جديرة بأن تجعلك تشعر بالحزن لساعة كاملة وربما استعراف من نوع آخر يجعلك تشعر بالبهجة لساعات طوال. الحاصل أنك لو أمعنت النظر مليًا في الموقف الذي يثير القلق أو يثير الكآبة فستكتشف أنه سبقها استعراف معين بتذكر حدث ما أو خيالات أو صور لأحداث قمت بتفسيرها بشكل موجع.

إذا اتفقنا على أن سبب الشعور بالانفعال (حزن،غضب، خوف، فرح) هو الحدث (مواقف، خيالات، ذكريات) وطريقة تفسيرنا لها، إذا اتفقنا في هذه النقطة فإن بوابة لغز الاستعراف قد انفتح أمامك، وأنك بهذا ستكون مهيأ للدخول في فهم لعبة الاستعراف. ولكي أضع النقاط على الحروف وأوجز ما سلف في قالب رياضي مبسط ألخصها في قاعدتين: القاعدة الأولى تقول إن الاستعراف يساوي= حدث + تفسير الحدث. والقاعدة الثانية تقول إن الأفكار تسبق المشاعر فكل المشاعر

الانفعالية تتكون من خلال تفكير معين. والمعنى أن العقل فوق العاطفة. إذا اتفقنا على هذه النقاط فإن هذا يقودنا للبحث عن موضوع أصعب وهو كيفية الاستعراف بشكل سليم وكيفية توجيه أفكارنا للمواضيع الإيجابية.

اسأل نفسك عندما تكون متضايقًا أو منزعجًا أو غضبان إلى أين يذهب تفكيرك؟ وإلى أين يسرح خيالك؟ وما الموضوع والصور الذهنية التي سبقت الانزعاج. ستجد أنه قد ذهب إلى فتح ملفات استعرافية مزعجة سببت لك مشاعر الانزعاج. والمعنى أنك كلما استعرفت موضوعًا بطريقة سلبية نتج عنه انفعال سلبي، وكلما استعرفت موضوعًا بطريقة إيجابية نتج عنه مشاعر إيجابية.



خذ مثلًا بسيطًا لثلاثة أشخاص أحدهم يخاف من القطط، والآخر يخاف من الحشرات، والثالث يخاف من دخول المصاعد. سبب الخوف بكل بساطة يرجع إلى خطأ في استعراف كل منهم للمشكلة التي يعانيها. بمعنى أن هناك خلطة من الأفكار سبقت مشاعر الخوف تلك. وهنا لابد من التوقف قليلًا إذ قد يدعي الشخص أن مشاعر الخوف تكونت دون أن يسبقها تفكير. وهنا لابد من الإشارة إلى نقطة جوهرية تتمثل في ما يسمى باجترار الأفكار. إن ترابط الأفكار بعضها مع الآخر بحيث إن الفكرة الأولى تقود على فكرة ثانية والثانية تقود إلى فكرة ثالثة والثالثة تقود لما بعدها إلى أن تتواصل السلسلة حتى تصل إلى فكرة أخيرة هي ما يطلق عليها بالفكرة الحارة التي هي البوابة الرئيسية التي تفتح مشاعر الانفعال. والحقيقة أنه في كثير من الحالات والتي يحصل فيها اجترار سريع وتلقائي للأفكار لا تعي بذلك الاجترار وإنما تدرك بشكل واضح آخر فكرة وهي الفكرة الحارة.

إذا كانت نوعية المشكلات سطحية فستكتشفها بنفسك بسهولة، وإن لم تستطع فلابد من الاستعانة بمختص نفسي يساعدك في التبصر بتلك الأفكار من خلال فهمك لمؤشراتها. وإدراك كيف تقفز بعض الأفكار على بعض، وستجد أن هناك أفكارًا ساخنة هي ما قادت لإشعال فتيلة الانفعال وهي ذاتها التي شحنتنا بمشاعر الحزن والخوف.

والمرء وحده في المشكلة الكبيرة قد يحتاج لمن يبصره بآليات ذلك الاجترار فلربما يحتاج لمساعدة الاختصاصي النفسي لتأمل تلك الحالة وتشريح تتابع الأفكار والتوقف عند المنطقي منها واللامنطقي. ومن خلال أيضًا معرفة تاريخ حصول الاضطراب وتأمل المواقف التي سبقت حصول الاضطراب يمكن تشخيص الحالة. ويساعد في التغلب على تلك المشكلة الاستعانة بتسجيل تسلسل الأفكار في جدول خاص يعرف بسجل الأفكار يمكنه من تعقب الأفكار غير المنطقية للتعامل معها بشكل منطقي ومنع الفكرة الخاطئة من الحيلولة للوصول إلى الفكرة الحارة. وهكذا ينضبط الانفعال ويصلح حاله.

ومما يجدر ذكره أنه قد يكون الشخص منضبطًا في سلوكه العام عدا جزئية معينة كالخوف من القطط مثلًا أو الخوف من الحشرات أو الخوف من صعود المصاعد. هنا يمكن القول إن هذا الشخص يستعرف مشاكل الحياة بطريقة سليمة عدا المشكلة التي يعانيها. وللعلم فإنه خلال المشكلة الواحدة فإن الأفكار التي تسبق مشاعر الخوف تختلف من شخص لآخر حتى ولو تساووا في مسمى المشكلة كالخوف من صعود المصاعد. بل ربما يستهجن الواحد على الآخر منطقية الأفكار التي دعت هذا أو ذلك للخوف من صعود المصاعد. وعلى تلك الأمثلة قس طريقة تعاملك مع مشاكل الحياة عمومًا ومع ما يعتريك من تأزمات أثناء معترك الحياة. عندما تتأمل أسباب تلك الأزمات النفسية ستكتشف بنفسك أن ما يعترض لك من أفكار سواء على شكل خيالات أو ذكريات أو صور ذهنية هي في واقع الأمر الأسباب الفعلية وراء جميع معاناتك وأزماتك النفسية.

المشكلة التي قد تعترضك أثناء التأمل هي أنه بالرغم من تمكنك في كشف الأفكار والخيالات والصور المزعجة التي سببت مشاعر الانفعال إلا أن الشيء الذي قد لا تكتشفه وحدك هو التفريق بين الأفكار المنطقية والأفكار غير المنطقية مهما بلغت درجة ذكائك. والسبب في عجزك عن التفريق بين النوعين من الأفكار يرجع ببساطة إلى أنه كلما عرضت تلك المشكلة التي تعانيها على مخيلتك صاحبها مشاعر شديدة من الانفعال (خوف، غضب) هذه المشاعر هي ما أعاقت المنطق السليم في استبصاراتك بمحتوى المشكلة. ومادام أن هناك مشاعر خوف تكونت فإن الاستعراف في تلك المشكلة سيكون خاطئًا. وهذا يتفق مع المقولة التي تؤكد أن أفضل الحالات التي يكون عليها طريقة تفكير المرء هي عندما يكون مستوى انفعالاته متوازنًا. ولا تعجب إن قلت إنه ممكن أن يكون مختص بعلم النفس يستطيع أن يساعد الآخرين في حل مشاكلهم وهو يعاني جزئية معينة، فلربما يحتاج إلى اختصاصي نفسي آخر يساعده في تصحيح استعرافه في هذه الجزئية، فلا يوجد شخص ملاك أو مكتمل الخبرات والطاقات

**إن الاستعرافات الإيمانية التي تؤتي أثرها هي تلك المبنية على الإيمان القوي العميق وليس على مجرد الإيمان السطحي والتحمس الخاوي الذي يظن صاحبه أنه قوي الإيمان ولكن حين مواجهة مصائب الدنيا ينهار أو يجزع**

النفسية.

إن إدراكك سبب المشاعر السلبية سيسهل عليك حلها. وإن اكتشاف الأفكار التي تؤدي لمشاعر الحزن والخوف مثلًا سيجعلك تغير من مقولتك: أنا حزين لكني لا أدري ما السبب. بل ستقول أنا حزين لأني أفكر بطريقة غلط. إن اكتشاف السبب هو الخطوة الأولى لحل المشكلة.

السؤال الصعب الذي لا يمكن إجابته من خلال سطر أو سطرين؛ هو كيف نستعرف (صح) ونعدل من خطئنا في الاستعراف. هنا لابد من جلسة مع مختص في العلاج الاستعرافي فلديه خطة في تنظيم الأفكار وإرشادات تهندس الاستعراف في قوالب منطقية. ربما ستجد صعوبة في بداية الأمر في تنقل الذهن من الأفكار القديمة إلى الأفكار الجديدة لكن هذه المهارة بالعزم والمثابرة ستكتسب من التمرين وتصبح مسألة تلقائية: تذكر تعلمك للغة الانجليزية أما كنت تجد أنك في البداية تتحدث اللغة بشكل متكلف وعسير ثم ما لبث مع الممارسة أن تتحدث بها بشكل طليق وتلقائي. وهكذا مع التدريب على سجل الأفكار ستجد أنه مع الممارسة سيسهل لديك تصفح السجل وشيئًا فشيئًا سيصبح سجل الأفكار الميزان العادل لموجات التفكير لديك، إذ مع المران سيتكون سلم منطقي من الأفكار يقضي على مشاعر الأحزان والمخاوف.

الخاصية المبدعة لدى الاستعرافيين أنهم لا يتهربون من المواجهة مع أي موقف تعرض له المرء مهما كان مشينًا ومعيبًا، هم لا يقولون لا تفكر

في هذه الخبرة المشينة أو تلك، لأنهم يدركون أن التجنب هو ما يزيد من إلحاح الفكرة على الذهن ومعاودتها المرة تلو الأخرى. وهو ما يقود إلى موجات عنيفة من الذعر والعصبية. إن الاستعرافيين يقولون تعال نفكر في تلك الخبرات المشينة ونضع لها قالبًا منطقيًا يخفف أو يلغي مشاعر المخاوف والأحزان. إنهم يعيدون صياغة المواقف الصعبة في قالب منطقي جديد يمكن المرء من تذكرها ومواجهتها دون أن يحدث له موجة حادة من الانفعالات. بل والأجمل أنهم يحولون بعض الأفكار التي نعدها مؤلمة إلى أفكار محببة.

إنه على الرغم من علاقة الاستعراف بطريقة التفكير إلا أن الغريب في الأمر أنه لا علاقة له بالذكاء العقلي. قد يكون شخص منخفض الذكاء يتمتع بقدرة عالية في الاستعراف الإيجابي بشكل يفوق من هو عالي الذكاء. وكما قال الأول:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

هناك أفراد يتميزون بذكاء من نوع مختلف عن الذكاء العقلي المشاع وهو ما يسمى بالذكاء الاجتماعي. إن من يتمتع بالذكاء الاجتماعي يحسن التكيف ببراعة مع الآخرين ومع المواقف الاجتماعية ويمتلك مهارات اجتماعية تجعل شخصيته جذابة. سبب جاذبيتهم و«ذرابتهم» يرجع ببساطة إلى أنهم يتمتعون بقدرة فائقة على الاستعراف السليم في المواقف الاجتماعية.

أخي القاري أتريد أن أبوح لك بسر قبل أن أختم المقالة: كل من يكتب هو في واقع الأمر يمارس استعرافًا منظمًا. فالكتابة تساعد على استعراف المشكلات بشكل متوازن. اعرض ما كتبت على المختص بالعلاج المعرفي ستجده سيفتح لك مواضيع ما كانت في الحسبان وسيرشدك للأفكار المنطقية والأفكار غير المنطقية.

أتريد أن أصارحك بشيء قد يغنيك عما قيل بل هو أفضل ما قيل: إن المؤمن الحق الذي يستمد استعرافاته من القوانين الإيمانية كقانون الإيمان بالقضاء والقدر وقانون احتساب الأجر عند الله وقانون الصبر والمصابرة لديه طاقة معرفية جبارة تتحدى تأثير المصائب مهما عظمت، وتمنع نشوء أي انفعالات سالبة جراء المشكلات اليومية. إن القوى الإيمانية تمثل دروعًا وقائية أمام غزو المصائب والمشكلات.

إن الاستعرافات الإيمانية التي تؤتي أثرها هي تلك المبنية على الإيمان القوي العميق وليس على مجرد الإيمان السطحي والتحمس الخاوي الذي يظن صاحبه أنه قوي الإيمان ولكن حين مواجهة مصائب الدنيا ينهار أو يجزع. اسأل نفسك ما مقدار تمثل الآية التالية في نفسك عندما يعتريك مشكلة خسارة أو مصيبة. تأمل بروية وقع هذه الآية في نفسك عند حصول المصيبة: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم). اسأل نفسك سؤالاً عميقًا عن مدى قوة التلازم بين حصول المصيبة وبين العمل بهذه الآية. إذا كان استعرافك لتلك الآية عميقًا فإن انفعالات الكآبة والغضب في الأساس لن تتكون عند مواجهة المصائب. أما إذا كان الاستعراف سطحيًا فإن مشاعر الأسى والكآبة ستتمكن منك. وعلى قوة إيمانك بهذا التوجيه الرباني سيتحدد مستوى استجابتك للمصيبة. إن هناك فرقًا بين القناعة السطحية والقناعة المقترنة بالمشاعر. إن القناعات الإيمانية هي كأي قناعة أخرى لها مستويات فقد يكون مستوى القناعة صفرًا من عشرة أو عشرة من عشرة. اسأل نفسك إلى أيهما تنتمي. فعلى حسب الدرجة يتحدد مستوى الاستعراف الإيماني.

ختامًا: (استعرف صح تعش صح). تأمل هذا الاستعراف الجميل في هذا البيت الجميل:

قل لمن يحمل همًا إن همك لن يدوم

مثلما تفنى السعادة هكذا تفنى الهموم

---

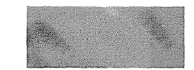
للاستزادة يمكن الرجوع إلى:

- كتاب «المرشد في العلاج الاستعرافي السلوكي» للدكتور ناصر المحارب.
- كتاب العقل فوق العاطفة للمؤلف باديكرسي وغرينيبرغر. ترجمة مأمون البيض.

- إنفلونزا «التدريب المعتمد»

- القصة.. تجربة ممتعة

- إدارة مصروف الجيب





# إنفلونزا «التدريب المعتمد» !

د.عمر مساعد الشريوفي - المدينة المنورة

حزينة تلك الملايين التي قضت نحبها بسبب الإنفلونزا في بداية القرن الماضي، وما يدعو للحزن أكثر هو ضعف مقاومة البشر في تلك الحقبة لهذا المرض الحديث عليهم مما عظم من جلالة الحدث وكثرة الضحايا. ومما يزيد الحزن أكثر مقارنة ما عليه المرض الآن من سهولة في المقاومة والعلاج وبين صورة تلك الملايين التي لم تكن على علم بسبل مقاومة المرض.

وتتخذ الإنفلونزا في زماننا هذا أشكالاً مختلفة عن الإطار الصحي لتشمل إنفلونزا الألقاب العلمية، وإنفلونزا الأسهم، إنفلونزا الجوال، إنفلونزا الإنترنت... وبما أني لست معنيًّا بكل أنواع الإنفلونزا السابقة بحكم وظيفتي ومهنتي «مشرف تدريب تربوي» فقد لمست ورصدت ما يمكن أن أسميه «إنفلونزا التدريب المعتمد».

ولإلقاء الضوء على هذه الظاهرة الناشئة أرى أنه من إضاعة الوقت الحديث عن أهمية التدريب في تحسين قدرات العاملين وغير العاملين، وأنه مؤشر حضاري إيجابي على الحراك الاجتماعي السليم. ولكن خوفي على هذا الرافد التطويري من تراجع نظرة الناس الإيجابية تجاهه جعلني أكتب ناقدًا لظاهرة سلبية بدأت تغزو جسم التدريب، وأخشى أننا إذا فشلنا في مقاومتها فسوف تكثر ضحاياها لنحزن عليهم كما حزنا على ضحايا الإنفلونزا السابقة.

**الأعراض**

تتسابق كثير من المراكز التدريبية الخاصة في الوطن العربي على تقديم مادة تدريبية تطويرية، ولضمان إقبال الناس عليها اتخذت تلك المراكز استراتيجية تسويقية للأسف تسمى «التدريب المعتمد»، حيث يقدم للمتدرب مادة علمية مبسطة في الكم والنوع والوقت يمنح بعدها المتدرب شهادة



مدرب معتمد من نفس المركز أو بالتعاون مع مراكز خارجية.

### سلبيات وأضرار

- دفع الكثير من الناس إلى دخول عالم التدريب بناء على تلك الشهادة المعتمدة والتي لا تتجاوز في بعض الأحيان ثلاثة أيام ليصبح المتدرب مدربًا معتمدًا في علم لا يعرف عنه إلا ما تلقاه في هذا البرنامج التدريبي. ويتجاوز الوضع ليمنح المتدرب وفي خلال يومين اثنين فقط درجة مستشار في هذا العلم! وليست المشكلة في إقبال الناس على التدريب، وإنما أن يتولى زمام التدريب من أصبح زبيبًا قبل أن يكون عنبًا! وهذا ما انعكس على كثير من مخرجات البرامج التدريبية التي يتضح فيها ضعف تأهيل المتدربين كنتيجة حتمية لضعف تأهيل المدرب.

- تسطيح الألقاب العلمية المهمة: مدرب، مستشار، أخصائي، دبلوم، كبير مدربين... وغيرها من الألقاب التي كانت تعبر صراحة عن حامليها وعن مستواهم العلمي المتميز. ولكن هذه الظاهرة (إنفلونزا التدريب المعتمد) جعلت من تلك الألقاب أسماء وأرقامًا تضاف في السيرة الذاتية لمدرب لا يتجاوز إعداده العلمي أيامًا معدودات، وإنتاجه الثقافي لا يتجاوز حدود تنفيذ الحقيبة التدريبية التي تدرب عليها لتتكرر المأساة، وتكثر الضحايا. وهذا يتضح في نشوء ظاهرة أصغر مدرب وأول مدرب...إلخ.

- تصاعد الحس الإعلامي التجاري على الحس التربوي التعليمي في البرامج التدريبية. فكثيرًا ما تسمع أن إقبال الناس على برنامج تدريبي بسبب الألقاب الممنوحة للمدرب المعتمد، أو حرص المتدرب على الحصول على لقب «المدرب المعتمد» مع أن المادة العلمية، وقدرات المدرب لا ترقى إلى تلك الألقاب الممنوحة. والنتيجة الحتمية ضعف أثر التدريب، وعدم تحقق أهدافه.

- القصص المتوافرة لكثير من المتدربين (أو الضحايا) الذين حضروا تلك البرامج التدريبية المسماة معتمدة، والتي تكون غالبًا برسوم باهظة أكثر من البرامج التدريبية العادية! وتسمع منهم عن معاناتهم مع تلك البرامج وما صرف فيها من وقت وجهد ومال مقابل مادة علمية متواضعة تخلو كثيرًا من أهداف التدريب السامية: تنمية مهارات، وبناء المعلومات، وتكوين الاتجاهات.

### الاقتراحات العلاجية

- توعية المجتمع بثقافة التدريب، وأهدافه الحقيقية. وهذا يترتب عليه رفع حس المتدرب في طريقة اختيار البرنامج المناسب الذي يشكل احتياجًا فعليًا له. ويرتبط بشكل مباشر بطبيعة عمله، أو ضرورة لتطوير جوانب معينة في الشخصية.

- تمهين التدريب وتحديد الصفات اللازمة في عناصره (المدرب، الحقيبة التدريبية، المتدرب، البيئة التدريبية، الاحتياج التدريبي...) وهذا ينصب على عاتق الجهات الأكاديمية والتعليمية والمهنية والأفراد. ويترتب على ذلك تحديد مواصفات البرامج التدريبية المعتمدة التي تؤهل الملتحق بها أن يقوم بالتدريب على نفس المادة العلمية.

- تفعيل جانب تقويم أثر التدريب بعد كل برنامج تدريبي، وربط نجاح البرنامج بمدى الفائدة التي تعود على المتدرب في عمله أو حياته كلها.

- زيادة وعي الأفراد في موضوع التخطيط الشخصي، وما يترتب عليه من طبيعة البرامج التدريبية التي يحتاج إليها. وهذا يقضي على ظاهرة ملموسة في التدريب مفادها أن بعض المتدربين يحصل على دورات متنوعة لا يجمعها رابط وظيفي أو شخصي، ولا تمت للشخص بأي صلة، وإنما تدل صراحة على مؤشر واضح لسياسة التخبيط، وسوء التخطيط.■

سبورة

# القصة.. تجربة ممتعة

عبدالمجيد النحكامي - المغرب

تعتبر القصة من الآداب الجميلة المحببة عند العموم، سواء أكانوا صغارًا أم كبارًا. وكلما كانت القصة جيدة الفكرة والأسلوب ومقنعة كانت أكثر إثارة وجاذبية.

ويتمثل بناء القصة المبسط في ثلاث مراحل أساسية: مقدمة، وعقدة، وحل. فالمقدمة مدخل قصير للقصة، تليها بعد ذلك حوادث وصراعات تصل ذروتها في العقدة، ثم تتدرج فيما بعد نحو الحل في نهايتها. وتتنوع أشكال القصص بشكل كبير، منها المقروءة، والمرئية، والمسموعة.

أما بالنسبة للأطفال فإن القصة وسيلة تربوية وتعليمية ذات تأثير عظيم، فهم ينتبهون إليها مختارين انتباهًا عجيبًا يغيب في سواها (راقبهم مثلاً عند عرض أفلام الرسوم المتحركة).

ولعل الشعوب بمختلف درجات رقيها فطنت في وقت مبكر إلى الدور الكبير للقصة في تربية وتعليم الأطفال. وليضمنوا استمرارية الأعراف والقواعد المنظمة لحياتهم واحترامها من طرف الجميع، جعلوها في قوالب قصصية باختراع حكايات شعبية تحكيها العجائز للأطفال تُسَرِّبْن عبرها ضمنيًا ودون عناء مختلف الأعراف إلى نفوسهم، لهذا نجد مثلاً أن هناك فرقًا بين سلوكات أطفال البوادي والمدن في علاقة كل منهما بمحيطه (قارن مثلاً بين سلوكات عدد من أطفال المدن الذين فوض أمرهم للتلفاز وسلوكات عدد من أطفال البوادي الذين لم يتقاعد بعد أولياؤهم عن سرد الحكايات).

### اختيار القصة

قبل إلقاء القصة على التلاميذ، لا بد أولاً من اختيار القصة المناسبة، ومن بين الأمور الواجب مراعاتها في هذا الاختيار:

- أن ترمي القصة إلى فوائد أخلاقية وأدبية وعلمية مقصودة وهادفة، وليس قصصًا عبثية سخيفة (انظر مثلاً عبثية العديد من الرسوم المتحركة الحديثة حيث الشكل البراق المثير والمضمون الهزيل المجنون).
- أن تكون ممتعة ولا مانع من أن تكون مضحكة أحيانًا (حسب الحاجة). فالنفس لا تميل إلى الحزن والسآمة والرتابة، وخاصة في أجواء الأقسام الصارمة.
- أن يكون للقصة هدف ومغزى بسيط يسهل إدراكه حسب قدرات الطفل.
- أن تكون القصة متماسكة البناء لشد انتباه الطفل حتى نهايتها.
- مراعاة سن الطفل. فكل مرحلة عمرية لها القصص التي تستهويها. كما يجب تجنب القصص المعقدة المتشابكة الأحداث، وخاصة في المراحل الأولى من عمر الطفل.

### إلقاء القصة

مرحلة إلقاء القصة مرحلة مهمة جدًا وحاسمة، يجب على المربي أن يكون مستعدًا لها استعدادًا كافيًا. إنه مطالب بالتفنن لشد انتباه الأطفال وجعلهم يستمتعون ويستفيدون في آن واحد. ونقترح اتباع الخطوات التالية:

- البحث عن القصص المناسبة من مختلف المصادر: تراثية أم حديثة، شفهية أم مكتوبة. ثم استيعابها مع مرونة التصرف فيها بالحذف أو الإضافة أو التغيير حسب الفائدة التي يراها المربي (وهذه إحدى نقاط قوة هذا النوع من الحكي)، كما أنه ليس ملزمًا بحرفية النص فيما يتعلق باللغة.
- تخصيص حيز زمني أسبوعي أو أكثر (حسب المستطاع) يضاف إلى الحصص الرسمية. ويستحسن أن تكون آخر حصة.
- أن يروي المربي القصة دون اللجوء إلى القراءة المباشرة ليمكن نفسه من حرية الحركة وتوظيف

جميع أعضاء الجسم ونبرات الصوت وتقاسيم الوجه وجميع أساليب فن التمثيل والتشويق والإثارة الممكنة لشد الانتباه وجعل الأطفال يتفاعلون مع مجريات الأحداث بأفراحها وأحزانها ولحظاتها الخطيرة ونهايتها السعيدة.

- أن تروى القصة بلغة عربية فصيحة دون التخوف من عدم الفهم أو عدم تجاوب الأطفال معها. فأساليب التمثيل والإشارات التي سبق ذكرها هي معجم اللغة الذي سيستعين به الأطفال لفك رموز اللغة (مع إمكانية توظيف السبورة للرسم). بل إنهم سيشعرون بمتعة إضافية عندما يجدون أنفسهم في مواجهة ألغاز (من اللغة) يحاولون حلها. جرب فقط وراقب وجوه الأطفال عندما تشرق فرحًا بفك الرموز التي استعصت على أفهامهم.

- يمكن في الأخير طرح بعض الأسئلة عن بعض أحداث القصة، وعن العبر المستفادة حتى يستطيع المربي تقويم أدائه.

- يعزز المربي نشاطه التربوي بتعويد أطفاله على عادة المطالعة بتوزيع القصص عليهم أسبوعيًا وتكليفهم بقراءتها ثم انتداب عدد منهم لحكيها على



سبورة

زملائهم شفاهة بشكل تلقائي وتحفيزهم على التنافس في ذلك.

إن هذه المقالة التي أعرضها عليكم هنا بحماس هي خلاصة لتجربة ممتعة خضتها بالتعليم الابتدائي في القسمين الأول والثاني في مناطق قروية يتكلم أهلها «الأمازيغية». ففي القسم الأول كنت أخصص حيزًا زمنيًا لرواية قصص أجتهد في البحث عنها إن أمكنني ذلك.

ومن عجيب ما رأيت أن الأطفال كانوا يتجاوبون معي تجاوبًا عجيبًا ويحث بعضهم بعضًا على الإصغاء.

مثال على ذلك التجاوب أني كنت مرة أحكي لهم قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام. فلما وصلت إلى حدث الذبح ووضع السكينة على رقبة إسماعيل لمحت من طرف خفي تحديقات الأطفال، وأحسست من خلال وجوههم بخفقات قلوبهم لهول هذه اللحظة من القصة. بل إن إحدى التلميذات أسرعت بوضع يديها على وجهها خوفًا وإشفاقًا! وبعد برهة صمت جُلت خلالها بعيني على الفصل تابعت القصة بحدث كبش الأضحية المنزل من السماء فانفرجت أسارير الجميع فرحًا بالنجاة.

أما في القسم الثاني، فقد اتبعت نفس النهج السابق، غير أني أضفت إليه هذه المرة توزيع القصص على التلاميذ للمطالعة مع مطالبتهم بحكي ما استوعبوه منها على زملائهم، فكانت النتيجة مشجعة للغاية. ففي آخر السنة، وبعد العودة من عطلة قصيرة، كلفت التلاميذ داخل الفصل بكتابة موضوع إنشائي يحكون فيه عن عطلتهم تلك كيف قضوها، فكتب جلهم موضوعات تجاوزت الصفحة (والصفحتين عند بعضهم) وبلغة عربية أحسن بكثير مما قد تجده عند تلاميذ مستويات أعلى. أبانوا في موضوعاتهم تلك عن رصيد لغوي ممتاز (الأكيد أنهم حصلوه من خلال تجربة القصص)، كما أبانوا عن أسلوب طفولي ممتع عبروا من خلاله حتى عن أحاسيسهم! وتخيل معي لو أن التجربة رافقتهم إلى بقية المستويات، كيف سيكون هؤلاء؟ ■

## العب مع أطفالك و..

# لا تكن شرطيًا!

د. خالد سعد النجار - طنطا

اللعب في حياة الإنسان ليس مقصورًا على الطفولة. فالألعاب موجودة في كل طور من أطوار الحياة لكن بأشكال مختلفة. وهذا لا ينفي أن اللعب يحتل مكانة كبيرة خلال مرحلة الطفولة؛ لأنه الوسيلة التي يتعامل بها الطفل مع الحياة. ووسيلته للتعبير عما يريده، حيث يشارك الآخرين التسلية ويتدرب على التعامل مع الكبار. واللعب الجماعي خلال السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل له أثره في النمو الانفعالي لدى الأطفال. لذا فإن الطفل الذي يحرم من اللعب يصبح متبلدًا انفعاليًا وأكثر أنانية وأقل عمقًا.

ولقد ظهرت تعريفات كثيرة للعب الأطفال وذلك لتوجهات الباحثين فيه. فمنهم من يركز على القيمة العلاجية للعب. ومنهم من يربط اللعب بالنمو العقلي. ومنهم من يربطه بالنشاط التعليمي. وعلى ذلك فيمكن تعريفه عمومًا على أنه: «نشاط موجه يعبر عن حاجة الطفل إلى الاستمتاع والسرور وإشباع الميل الفطري له. وهو ضرورة بيولوجية في بناء ونمو الشخصية المتكاملة للطفل. وهو أيضًا سلوك طوعي، وذاتي، واختياري، وداخلي الدافع غالبًا أو تعليمي تكليفي يوافق النفس. كما أنه وسيلة لكشف الكبار عن عالم الطفل للتعرف على ذاته وعلى عالمه، ويمهد لبناء الذات المتكاملة في ظل ظروف تزداد تعقيدًا ويزداد معها تكيفًا».

وعلى هذا الأساس فلعب الطفل له وظائف مهمة منها:

- اللعب يهيئ للطفل فرصة فريدة للتحرر من الواقع المليء بالالتزامات والقيود والإحباط والقواعد والأوامر والنواهي، لكي يعيش أحداثًا كان يرغب في أن تحدث ولكنها لم تحدث، أو يعدل من أحداث وقعت له بشكل معين وكان يرغب في أن تحدث له بشكل آخر.. إنه انطلاقة يحل بها الطفل (ولو وقتيًا) التناقض القائم بينه وبين الكبار والمحيطين به. وليس هذا فحسب، بل إنه انطلاقة أيضًا للتحرر من قيود القوانين الطبيعية التي قد تحول بينه وبين التجريب واستخدام الوسائل دون ضرورة للربط بينها وبين الغايات أو النتائج. إنه إجمالاً فرصة للطفل كي يتصرف بحرية دون التقيد بقوانين الواقع المادي والاجتماعي.

- اللعب كنشاط حر يكسب الطفل المهارات الحركية المتعددة ويظهر مواهبه وقدراته الكامنة. فالنشاط الحر لا يحدث فقط على سبيل الترفيه، وإنما هو الفرصة المثلى التي يجد فيها الطفل مجالاً لا يعوض لتحقيق أهداف النمو ذاتها، واكتساب ما يعزز مهاراته في مجال الجد. وهذا الكلام ليس بمستغرب، فالأطفال وهم منشغلون مثلاً في وضع الخوابير في الثقوب، أو في وضع الصناديق الكبيرة وبداخلها الصناديق الصغيرة، أو في إضاءة الضوء ثم إطفائه، وفي تشغيل المكنسة الكهربائية ثم إبطالها، أو الراديو والتلفاز - يكتسبون مهارات حركية مهمة جدًا، فتصبح حركتهم أكثر دقة وأكثر تحديدًا، الأمر الذي يعتبر إضافة مهمة لنمو الشخصية الطفولية.

- اللعب يمكن الطفل من اكتشاف القوانين الأساسية للمادة والطبيعة.

- اللعب يهيئ الفرصة للطفل لكي يتخلص (ولو مؤقتًا) من الصراعات التي يعانيها وأن يخفف من حدة التوتر والإحباط اللذين ينوء بهما.

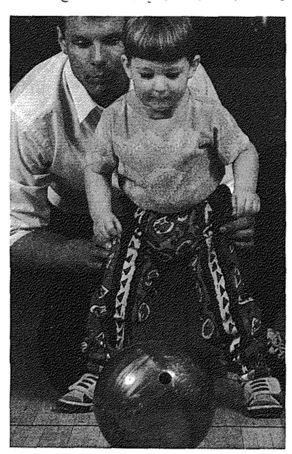
- اللعب يساعد على زيادة خبرة الطفل ونموه الاجتماعي. ففي سياق اللعب يكون لدى الطفل الفرصة للعب الأدوار، وفي اللعب الإيهامي يقوم الطفل بأدوار التسلط وأدوار الخضوع كدور الوالد ودور الرضيع مثلاً، وغير ذلك كدور الأسد ودور الفريسة. وهو في ذلك كله يجرب ويختبر ويتعلم أنواع السلوك الاجتماعي التي تلائم كل موقف. كما أن الطفل يتعلم النظام عن طريق اللعب الذي تحكمه قواعد، ويتعلم التعاون وفن إقامة علاقات اجتماعية مع العالم الخارجي غير المحيط بالأسرة.

مما سبق من مهام، ينبغي أن نعلم أن اللعب دافع ذاتي حقيقي لا يكتسبه الطفل بتعزيز الآخرين له، فهو نشاط تلقائي طبيعي لا دخل لأحد له في تعليمه. وهو يعبر عن ميل فطري في الطفل، يكتشف الطفل من خلاله نفسه وقدرته، ويطور إمكاناته العقلية والحسية والجسمية، بل يمكن اللعب الطفل من اكتساب قيم ومهارات واتجاهات

ضرورية للنمو الاجتماعي السليم.

ولقد ترددت عن اللعب مقولات عديدة خاطئة ظلت فترة من الزمن يوصي بها الآباء للابناء والمعلمون للأطفال مفادها ان اللعب مضيعة للوقت واستثمار سيئ للزمن. فالأب يقول لابنه: «يا بني لا تهدر وقتك في اللعب». «يا بني اترك اللعب والتفت الى دروسك». «لا فائدة من اللعب غير إضاعة الوقت». لكن هذه المقولات غير صحيحة إطلاقاً بعدما اكدت الدراسات وجود علاقة قوية بين اللعب ومظاهر النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي، بل لقد وصلت تلك الدراسات إلى نتائج اقوى من ذلك. حيث اوضحت أهمية اللعب ودوره في تنمية كثير من سمات الشخصية وتعديل السلوك.

وليس المقصود من اللعب الاقتصار على شراء الألعاب والعرائس او تسجيل الطفل في نواد ونشاطات رياضية فقط. ما نعنيه مشاركة الوالدين لابنائهم أجواء اللعب والنزول إلى مستواهم. فعليك أن تجعل من نفسك طفلاً مثل ابنك وأن تبتعد اثناء اللعب معه عن النشاط والتسلط ولعب دور الشرطي. وبذلك يستطيع الطفل أن يعبر عما في نفسه فتنشأ بينك وبين طفلك علاقة فريدة، تلاحظ من خلالها مدى تطوره. فتعزز ذلك التطور او تتدخل حينما تجد خللاً او قصورًا للتقويم والعلاج.



سبورة

وتقول الابحاث في هذا الصدد: «إن اللعب الذي يحتوي على نوع من المجازفة والاكتشاف والتحدي. الذي يشرف عليه الكبار دون أن يمارسوا دور الشرطة على الصغار. له أهمية في نمو شخصية الاطفال كأهمية تعلم القراءة والكتابة والاعداد». ولقد اكد أساتذة العلوم النفسية في لندن أن اللعب مع الأطفال خلال الأشهر الاولى من حياتهم يحميهم من المشكلات الصحية سواء النفسية او العضوية.

وعلى الرغم من أن التربويين وعلماء النفس يختلفون في تفسيراتهم لدوافع اللعب عند الطفل. فإنهم يتفقون على ضرورة حرص الآباء باختلاف أعمارهم وطبقاتهم وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على تخصيص أوقات يومية للعب مع أطفالهم، حيث يعد لعب الآباء مع أبنائهم من أهم الوسائل التربوية التي على الأهل القيام بها كواجب يساهم في تطوير مهارات الأطفال وتنمية خيالهم ومعارفهم واستيعاب مفاهيم مجتمعهم وإدراك العناصر المكونة. ويقول طبيب الأطفال «مارشيللو بيرناردي» مؤلف كتاب «مغامرة البحث عن طريق لآباء اليوم»: «إن التحالف ما بين الأب وأبنائه داخل العائلة له وجود حقيقي في العديد من العوائل في مختلف أنحاء العالم، فالأب الجيد يجب أن يدرك أن عليه احترام الآخرين، وأن يكون في الوقت نفسه في موقع احترام الآخرين الذين حوله، وأن يعرف كيف يحب من دون انتظار المقابل، وأن يكون مقتدرًا على الاحتفاظ بقراراته ووعوده مع أطفاله. ومن شأن المشاركة الدائمة في اللعب مع الأطفال أن تقوي مثل هذه الدور».

كما ينبغي أن نولي الأطفال العناية والرعاية ونتيح لهم فرصة اللعب الهادف ونعمل على إعدادهم الإعداد الجسمي عن طريق التربية الرياضية، وليس معنى ذلك أن نطلق لهم الحبل على الغارب بلا قيود ولا حدود. فلا يجوز أن يكون الاهتمام بالالعاب الرياضية على حساب واجبات أخرى أو على حساب حق الله في العبادة أو على حساب تحصيل العلم وطاعة الوالدين، بل يجب أن يكون الارتباط في حدود الوسطية والاعتدال. ■

# إدارة مصروف الجيب

أسماء محمد العبودي - الرياض

يؤكد خبراء التربية أن لمصروف الجيب دورًا بالغًا في تنمية شخصية الطفل ودفعه إلى الاستقلالية الفردية. لكون الطفل يشعر بامتلاكه للمصروف أن لديه ما يملكه ويستطيع التصرف فيه دون مشورة أو استئذان من أحد الأوصياء عليه.

كثير من الأهالي يلجؤون إلى إعطاء الطفل مصروفًا يوميًا أثناء ذهابه إلى المدرسة ليتسنى له شراء وجبة غذائية من المقصف المدرسي. وهنا أرى أن هذا ليس مصروفًا شخصيًا وإنما ثمن لهذه الوجبة التي يتناولها. ومن الأفضل دائمًا في سنوات الطفولة (في مرحلة الروضة والمرحلة الابتدائية) أن يحمل الطفل وجبته الغذائية من المنزل. وأن يتم إعطاؤه المصروف ليستطيع من خلاله أن يختار ماذا يفعل به.

بعض الأسر قد تستخدم المال كمكافأة للطفل على نتائجه الدراسية الجيدة، أو لسلوكه الجيد في البيت. ربما يكون هذا التصرف غير مقبول تربويًا لأنه يربي في الطفل أن المعاني الخيرة (التفوق والأخلاق) يجب أن يقابلها دائمًا مردود مادي، فلا نستطيع أن نغرس فيه بعد ذلك القيم الرفيعة بلا مقابل لها ماديًا. كما أن فيه إفسادًا لنفسية الطفل الذي سوف يتصور دائمًا أن نجاحه في الحياة هو إرضاء للوالدين فقط وليس إرضاء لذاته!

من المهم أن نعطي الطفل المبلغ الذي يتناسب أولًا مع دخل الأسرة المادي. ولكن هذا لا يعني أن نعطيه الكثير إذا كان دخل الأسرة ممتازًا. فلا يجب أن يعطى في عمر ٧ أو ٨ سنوات مثلًا إلا المبلغ الذي يستطيع من خلاله أن يشتري لعبة بسيطة يقوم هو باختيارها من محل الألعاب ويكون سعرها متوافقًا مع المبلغ الذي معه. ومن الأفضل عدم المبادرة من الوالدين بالدفع عنه أو إعطاؤه زيادة على ما معه أو بالتدخل في نوعية اختياره للعبته.

وفي عمر ١٤ أو ١٥ سنة ربما يجب أن يزيد المصروف قليلًا لأن الأبناء في مرحلة المراهقة يحتاجون للخروج بصحبة الأصدقاء أو لشراء بعض الخصوصيات.

إن عدم توفير المصروف المناسب للأبناء قد يترتب عليه عدة أمور سلبية منها:

- شعور الطفل أو المراهق بالانطوائية أو العزلة.
- اللجوء إلى السرقة من الآخرين لتعويض حاجته إلى المال.
- عدم الثقة بالنفس والتردد، وعدم القدرة على الاختيار.
- الميل إلى السلوك العدواني أو التخريب.

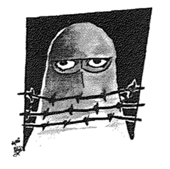
قد نستطيع التدرج في تعليم الأبناء بعض أصول الإدارة المالية إذا حسنا من أسلوب تعاملهم مع المال. فقط لنمنحهم الفرصة في إدارة المال.. اطلب من ابنك (أو ابنتك) تنظيم برنامج أو نشاط للأسرة في إجازة آخر الأسبوع. حدد له مبلغًا مقطوعًا من المال واجعله يختار النشاط المناسب للجميع. ادفع له مبلغًا. وبعد انتهاء البرنامج قم بتقييم العمل، واذكر له إيجابياته وسلبياته.

من المؤكد أن موضوع كهذا سيوسع آفاقه للتخطيط الجيد وتحديد الأولويات وإدارة الوقت والمال. مشروع بسيط كهذا سيخلق بلا شك مديرًا ماليًا ناجحًا في المستقبل.■

عبدالرحمن الأنصاري



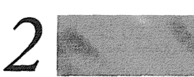
## الكل يرفض أن أكتب في جريدته.. !



## صيتة تخلع البرقع وتلبس المريول !



## من يطارد أرنبين لا يمسك أحدهما



حياة كل واحد منا جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته.
حسنًا . . وعماذا هو يتحدث اذًا. عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيبًا، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد انه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته. نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم انك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو: الكاتب الصحفي (السابق) عبدالرحمن الانصاري.

عبدالرحمن الأنصاري

# الكل يرفض أن أكتب في جريدته..!

هذا الباب الذي ابتكرته مجلة «المعرفة» (أنا والفشل) هو من أغرب الأبواب في الصحافة العربية.. ووجه الغرابة فيه عندي أنّ المجلة تحمل ضيوفها حملاً على أن يهتكوا سترهم بأيديهم هم وليس بيد غيرهم من زيد أو عمرو.. وفي تقديري أن من يقدم على هتك ذلك الستر هو إنسان استوى الماء عنده مع اليبس، فلم يعد لديه ما يحرص على تزويقه أو مكيجته أو إظهاره بغير صورته الحقيقية. طمعًا في خير يأتيه، أو درءًا لشر يتّقيه. ومن هنا فإنّ الصدق هو ما ينبغي أن يكون السمة المميزة للاعترافات التي يُدلي بها ضحايا (المعرفة) من ضيوف بابها الغريب هذا.

**أنا والفشل..**

بادئ ذي بدء فإنّي أعد قراء هذا الحديث أن أكون صادقًا معهم فيما سأقوله لهم عن علاقتي بالفشل.. فالكذب والتشبّع بما لم أُعطَهُ خصلتان فشلتُ كل الفشل في أن تكون لي علاقة بهما أو بإحداهما.. وهو قول وإن كان فيه وجه من وجوه المدح بصورة الذّم كما هو عند أهل البديع. إلاّ أن كثيرًا من حالات الفشل التي منيتُ بها كان سببها الجهل بالكذب وتقنياته. والبعد عن الادعاء ولباس الزور. ومن يجد حرجًا في قبول ذلك منّي، فليلتفت يمنةً ويسرةً. ليرى من حوله العشرات بل المئات، ممن أوصلهم الكذب والخداع إلى ما وصلوا إليه من المقامات التي لم يصلوا إليها لا بعلمهم ولا بفضلهم، بل بقدر إتقانهم الكذب وتزوير الواقع..!

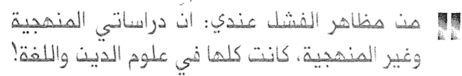
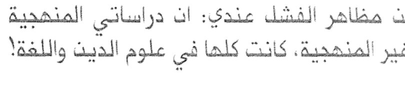
- لقد كان من أسباب فشلي عجزي المطلق في أن أقول لمن يستشيرني في أمر من الأمور، أمرًا يخالف أو يُغاير ما أراه صوابًا. وإن من تعسات هذا الزمان وبعض أهله التي مرّت بي أن يطلب مني من يطلب رأيًا، فإذا أفتيتُه بما أعلمُ ويعلم هو أنه نقيض مراده ورغبته في تلك المسألة، تراه يأخذ برأيك في التطبيق، ولكن مع شرح بيّن وواضح في العلاقة التي بينك وبينه لأنك جاهل بالكذب وأنواع الخداع. فحَملكَ ذلك الجهل على أن تقول له:



- كثير من حالات الفشل التي منيتُ بها كان سببها الجهل بالكذب وتقنياته!

- الموقف قد يستدعي جلْدي لمن أحاوره ومن الحيف أن يطالبني أحدٌ بجلد من أجلِده بخيط من حرير أو بقطعة من قطع الحلوى.. فالجلد لا يكون إلا بالسوط أو بما في حكمه!

- المجلة تحمل ضيوفها حملاً على أن يهتكوا سترهم بأيديهم هم وليس بيد غيرهم..

فشلتُ الفشل الذريع في أن أصادف من ينشد الحق، فيقبله مني..

من مظاهر الفشل عندي: أن دراساتي المنهجية وغير المنهجية، كانت كلها في علوم الدين واللغة!

عبدالرحمن الأنصاري

إنك مخطئ. أو أن الصواب هو غير ما رأيتَ!

- لقد فشلتُ الفشل الذريع في أن أصادف من ينشد الحق، فيقبله مني غير ممزوج بما ليس هو من جنسه..!

- لقد فشلتُ في أن أقنع عددًا من خُلص الأحباب والقراء في أن ما يجدونه من حرارة أسلوب حواري ونقاشي فيما تتناوله بعض كتاباتي، لا علاقة له بالميل إلى الصراع أو الحدّة، بقدر ما هو أسلوب للمعالجة يختلف من شخص لآخر. ولذلك أمثلة ونماذج في الحياة وفي التاريخ. فأنت عندما تذهب بسيارتك لإصلاح خلل بها، قد يصادفك ميكانيكي أو كهربائي، يعمد إلى فكّ القطعة التي بها الخلل فيصلحها، وقد تذهب بالخلل نفسه إلى ورشة أخرى فيرى من تقابله فيها أن لا سبيل لإصلاح القطعة إلاّ باستبدال أخرى جديدة بها، والحال نفسه بالنسبة لعالم الطب، فقد يرى طبيب بترًا لعضو من أعضاء المريض إبقاء لحياته وحياة أعضائه الأخرى السليمة، وقد يرى آخر مداواة المريض بالعقاقير، وحتى في أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، من تتسم معالجاته بشيء من الشدّة والحزم، كموسى عليه السلام، الذي نقل لنا القرآن الكريم نماذج من معالجاته، كإلقائه الألواح المكتوبة فيها التوراة من الغضب على ما بدر من قومه من المخالفات، وتعنيفه لأخيه هارون ومسكه لحيته وجره بها، محملاً له مسؤولية التبديل الذي أحدثه قومه في الفترة القصيرة التي ذهب فيها موسى للقاء ربه، مستخلفًا أخاه هارون عليهم.

وعلى مستوى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنا نجد اختلافا بيّنًا في أسلوب بعض معالجات عمر رضي الله عنه التي تتسم بحزم أنيّ ربما فسّره البعض بالشدّة.. وهي في النهاية محمدة لذلك الرجل الذي فرّق الله به بين الحق والباطل.

وفيما يخصّني فإنّ الموقف قد يستدعي جلدي لمن أحاوره ومن الحيف أن يطالبني أحد بجلد من أجلده بخيط من حرير أو بقطعة من قطع الحلوى.. فالجلد لا يكون إلاّ بالسوط أو بما في حكمه!

- لقد فشلتُ الفشل الواضح في أن أستمر في كتابة عمودي (من الجعبة) بعد توقفه في جريدة المدينة، لأسباب ذكرتُ بعضها في حواري الأخير مع جريدة «الحياة».. وما لم أقله لـ(الحياة) عن الخطوات التي اتخذتها للعودة للكتابة، ولكنها باءت بالفشل، فهو فيما يلي:

- لقد صعب توقفي الطويل عن الكتابة على عدد من خُلّص الأحباب ومنهم الزميل الأستاذ عبد العزيز قاسم محرر ملحق الرسالة بجريدة المدينة الذي قال لي يومًا إن له دالة على رئيس تحرير جريدة الوطن د.الصيني، فهل توافق على أن تكتب في الوطن إذا كلمته بشأنك ووافق على ذلك؟ فقلتُ له: على بركة الله! فعاد وقال لي: إنه كلّم رئيس تحرير الوطن بشأني، ولكنه قال إنه لم يسبق له أن قرأ لك شيئًا، فيريد نماذج من كتاباتك، فأرسلت للأخ عبد العزيز قاسم بالكثير من المقالات التي سبق لي نشرها في الجعبة، ولكن يبدو أن أيًّا منها لم ينل رضا وقبول الأخ الصيني..!

- وحكاية أخرى، ففي أواخر شهر شعبان المنصرم اتصلتُ برئيس تحرير المدينة فهد العقران، مبديًا له رغبتي في مواصلة عمودي من الجعبة اعتبارًا من غرة رمضان، فأبدى لي من الترحيب بذلك ما أحسستُ معه أنه على وشك تنازله لي عن رئاسة التحرير..

وقال لي: إن الزميل عبدالقادر رضوان سيتصل بي لأبلغه الصفحة التي أختارها لعمودي ومواعيد النشر.. وبعد دقائق معدودة اتصل بي الأخ عبدالقادر رضوان المعروف عنه تهذيبه وانتقاء كلمات حديثه والذي أعرفه من قبل أن أعرف العقران، فقال لي بنبرة صوت غير التي عهدتها منه من قبل: (إن رئيس التحرير قال له: إن الأنصاري يريد أن يعود للكتابة، فقل له إن مكان النشر سيكون في الصفحات الداخلية وسط العدد، وأن النشر يوما السبت والخميس، على ألا يزيد عدد الكلمات عن ٢٠٠ كلمة، وإذا لم يعجبه ذلك فليس عندنا غيره) ووصلت الرسالة وانتهت المكالمة!

- وحكاية أخرى: رئيس تحرير كان بيني وبينه الكثير من المودة والاحترام المتبادل وجمعتنا الأسفار خارج الوطن، وكنتُ كلما التقيته عندما كنت أكتب في المدينة عبّر لي عن رغبته وأمنيته لو كانت جريدته هي التي أكتب فيها عمودي.. فلما عرضت عليه منذ وقت غير قصير الكتابة في جريدته، قال بالنص: «إذا أخذناك عندنا فسنضحي بفلان وفلان وفلان».. فقلت له: إنني لا أريد أن أبني أمجادي على أنقاض الآخرين. فانس رغبتي الكتابة في جريدتك!

- حكاية أخرى: نائب رئيس تحرير «الرياض» الدكتور عبدالمحسن الداود، كان في بداياته وبإيعاز من الأستاذ تركي السديري كنتُ أصحبه معي في الكثير من المناسبات واللقاءات الصحفية، ليعتاد جوها. هذا

عبدالرحمن الأنصاري

الرجل المهذب الخلوق الذي لا يُنكر أثري الحسن في بداياته وإن كان أثرًا ضئيلًا لا يُذكر. قد بعثتُ له منذ وقت غير بعيد رسالة برغبتي في الكتابة في جريدته، ولكنه لم يكلف نفسه مجرد ردّ ولو بالاعتذار... والحكايات في ذلك تطول!

- من مظاهر الفشل عندي: أن دراساتي المنهجية وغير المنهجية، كانت كلها في علوم الدين واللغة، بما يندر أن يكون له مثيل لدى الأجيال الحاضرة، إذ كان حفظ كتاب الله الكريم عن ظهر الغيب من أهم الشروط التي لا محيد عنها، وقد توفر لنا إلى جانب حفظه، حفظ القدر الأكبر من الصحيحين، فضلًا عن موطأ الإمام مالك برواية القعنبي، التي رفض أحد مشايخي بالمدينة المنورة أن أتلقاه عنه وأنا في الرابعة عشرة من عمري من قبل أن أحفظه عن ظهر الغيب ليكون شرحه لي مما أحفظ منه وليس مما أقرأ منه في كتاب، وذلك ما قد كان.. هذا عدا متون النحو واللغة التي ما كنا نتعامل معها إلا باستظهارها عن ظهر الغيب ثم الفهم بعد ذلك.. وترى الفشل عيانًا بيانًا حين تجدني أعمل في إدارة أو جهاز له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بجائزة نايف للسنة النبوية بطيبة الطيبة أعادني الله إلى أحضانها فيُدعى لها من يُدعونَ لحضورها، إلا ذلك الشخص الذي يعمل في الجهاز نفسه وفي صدره نسخة نادرة من موطأ الإمام مالك بن أنس برواية الإمام القعنبي!

- وأخيرًا فإنّ من بديع لطف الله بي، أنّ الفشل في حياتي لم يكن له نصيب إلا فيما خطّطت له وقدّرتُ من مجريات حياتي.. أمّا مواهب الله وعطاياه لي التي أعرف منها القليل، وزوي عنّي أكثرها، فأنا معها أبعدُ ما أكون من الفشل، فقد رزقني الله صحة وعافية في النفس وفي الجسم، وأكرمني بزوجة صالحة من أسرة شريفة صوّامة قوّامة تالية لكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، تتقرب إلى الله، بنيل رضاي وجلب السعادة إليّ، ورزقني منها أبناء كل واحد منهم اليوم على ثغرة: خدمة لدينه ومليكه ووطنه، وقد عاهدوني على ألا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم حيث أمرهم.. ورزقني منهم حفدةً هم بهجة النفس وقرة العين وثمرة الفؤاد، فيهم العوض عن كل ما فات، وفوق ذلك كله، فإنّ الله عز وجل قد أكرمني بإخوة لم تلدهم لي أمي، أجدُ بهم من الأنس، فوق ما يجد قيسٌ بليلاه... وليذهب الفشل بعد ذلك إلى الجحيم..!!

# صيتة تخلع البرقع وتلبس المريول!

اميرة المالكي - الرياض

الشمس حارقة فهو صيف الرياض الملتهب... تشير الساعة إلى الثالثة والنصف مساءً، وقت الحضور إلى مدرسة الكبيرات قد آن... في فصولها وفي الأروقة حكايات ومسرحيات لا تُمل، أبطالها: دارسة وكتاب، قلم، ممحاة.

خلف أسوار مدرستي وجوه وأسماء تحمل بين حناياها آلامًا وآمالاً. لهم ترانيم تشبه غناء الشحرور في أوائل الربيع. وإن أزفت الساعة الخامسة وأربعون دقيقة فنهاية تحليقنا معهن قد حان.. عندها يعود كل طائر بالأفق إلى عشه.

(١)

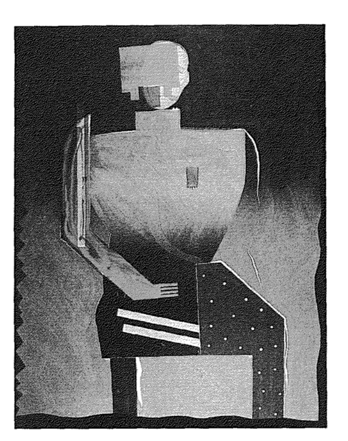
المعلمة حصة مدرسة «الصف الأول» غائبة اليوم.. إذن هناك حصص انتظار بالانتظار..

تكفلتُ بالحصة الأولى.. توجهت إلى الصف المكلوم وكل من يعرف الصف الأول يعرف أن من فيه أيتامًا عند غياب معلمته.. تجدهن قلقات، ممتنعات عن مخاطبة أي معلمة أخرى غير من يعرفنها. فهي الأم الحنون وهي خارطة الطريق لمن لا يريد الضياع في طرقات الجهل..

ألقيت عليهن التحية... رددناها وهن وجلات فأنا لأول مرة أزورهن.. تسألني إحداهن: أين حصة؟ هكذا كانت صيغة السؤال.. ابتسمت لها وقلت: من حصة هذه؟ قالت أخرى تقصد (أبلة حصة).. وهي ترمق صديقتها بنظرة من التشفي البريء... فهذه اللبقة أجادت الإجابة وعرفت كيف تُفهمنا أنها تخطت العتبة الأولى ورمت خلفها أول حرف مما يسمى بـ(الأمية).

كعادتي أحب التعرف إلى أسمائهن فبذلك أستطيع سماع أصواتهن ومعرفة الخطوط الأولى من شخصية كل واحدة.. ومن الأولى أن أعرفهن بنفسي فقلت: أنا المعلمة (....) معلمة الصف الثالث... إني أنتظركن بفارغ الصبر بعد سنتين إن شاء الله. هنا فقط نظرن لي بعين الغد وبدأن بذكر أسمائهن الجميلة.

في أثناء رحلة التعارف بيننا. إذا بصوت يأتي من الخلف (يعني أبلة حصة معاد هيب جايه) بحثت عن الصوت فإذا هي امرأة كبيرة في السن تجلس في الكرسي الثاني إلى اليمين.. اسمها (صيتة) سألتُ ولم تزح نظرها عن موقع يديها على الطاولة، قلت لها دون تردد أظنها لن تأتي أبدًا فهي غاضبة.... تعالت الهمسات في الفصل تبعها لحظة هدوء قاتلة، تجرأت (نورة) فتاة عمرها ١١ سنة وسألت عن السبب. نورة..ضحية أب جاهل أبقاها في البر مع والدتها وبقية إخوتها، حرمها حقها في أن تكون عضوًا فاعلاً، يفخر بنفسه ويسعى خلف حلمه ويخطط لمستقبله، أبقاها بعيدة عن المدينة، وأغلق عليها بقسوة حتى تعدت السن المسموح للقبول في المدارس الصباحية فهي الآن تجلس في المقعد الأمامي لكنها تأخرت كثيرًا عن بقية قريناتها. هي تجلس بين الكبيرات بقلب طفلة تهوى العبث مع زميلة الطاولة..



قلت مجيبة عن سؤال نورة: أظنها غاضبة من (صيتة). بادرت صيتة بالحديث وكان صوتها هنا عاليًا فاستنكرت أن تكون السبب، وتساءلت عما أغضب المعلمة «الأمل» قلت:

أنت.. تلبسين (البرقع) و(العباءة) داخل الصف وهذا لا يليق.. أنت الآن في صفوف دراسة.. نحتاج أن نرى إشراقة وجهك وابتسامتك للحياة القادمة. أخبرتني أنها تخجل.

استغللت فرصة لينها معي وأخذت أقنعها بأن تجعل (صيتة) المتعلمة تغلب (صيتة) الأمية. حاولتُ أن أصنع جوًا حماسيًا لها بأن غدًا يوم رهان بيني وبينها تأتي وهي دارسة تحمل كتبها وترتدي «مريولها» دون خجل وأنا سأحضر لها معلمتها الغائبة، فقبلت الرهان.. وكأنها أرادت ذلك منذ زمن.

بطبيعة حصة الانتظار يجب أن تشتمل على ما يساعد في إبراز مهارات الدارسات فكنت أتجول بأسئلتي بينهن، وإذا بإحداهن تشير إلى (سارة) قائلة: إنها تقول القصيد.. عجبتُ لها فطلبت منها أن تسمعنا شيئًا. بعد تردد وتأتأة استرسلت بأبيات رائعة بروعة فطرتها وسجيتها.

تمنيتُ عليها أن تكتبها.. فأخبرتني أنها لا تجيد مسك القلم.. ربت على كتفها ووعدتها أنها سوف تكتبها نهاية الفصل الدراسي الأول. فكانت تهز رأسها أملاً في ذلك الوعد.

نفد وقتي معهن ولم تنفد بداخلي كلمات الاحترام لقدرتهن على تخطي الزمن ولرغبتهن في الحضور واللحاق بركب الأمم. نظمتُ من العزم والصبر والأمل حلية من لؤلؤ وزمرد وياقوت، والبستها لكل من فاتها أول موعد للقطار وأتت مسرعة للحاق بالرحلة الأخرى. فهي لم تعد تريد البقاء بمدينة الجهلاء.

رن جرس انتهاء الحصة الأولى، ولم تنته رغبة دارسات الصف الأول في معرفة مصيرهن غدًا.

أردت حينها أن ألثم خوفهن بقبل من طمأنينة فكتبتُ على اللوح «العلمُ فريضةٌ».

تركتهن يؤدين فريضتهن تؤمهن معلمة ترتجي جلاء ظلامهن لتشرق سماء مجتمع قادم، مجتمع يدوي بداخله حب الوطن، حب العطاء، وعشق المعرفة.

# خيبة (المتحضرين) وخراب (المتشددين)!

فاطمة السهيمي - القنفذة

شنت هجومًا واسعًا على التعليم هنا في السعودية، باعتباره غير مواكب لمتطلبات العصر. ولا يعطي المرأة حقوقها، وعرجت على الوضع الاجتماعي العام باعتباره يعامل المرأة بطريقة تعسفية، عكس ما يحدث هناك في الغرب حيث تدرس. لكنها تعترف أن المجتمع الغربي (هو الآخر) يفضل الرجل على المرأة في الوظائف، كما أنها تعترف أيضًا بأن رواتب الرجل (هناك أيضًا) أعلى من المرأة! وتعتب على والدها الذي رسم لها صورة وردية عن السعودية تحولت إلى رمادية (كما تقول).

هذه الكاتبة ذكرتني بقضية طالما شغلتني وفكرت فيها عندما انطلق الأرهابيون يعثيون فسادًا في بلادي (باعتبارها لا تحقق أحلامهم العليا المقدسة). وهذه الكاتبة وغيرها من الكتاب الذين درسوا أو عاشوا في الخارج ما فتئوا يقارنون بين السعودية والبلاد التي سافروا إليها، ويوجهون سياط النقد لكل شيء هنا: الحجاب، هيئة الأمر بالمعروف، نظام التعليم، الفصل بين الجنسين، قيادة المرأة للسيارة، القضاء، السينما، الكرة، المرور، الفن، الإعلام... كل شيء لا يعجبهم ويريدونه كما يريدون!

إن هؤلاء المتحضرين من جهة، وهؤلاء المتشددين من جهة أخرى لا يرون في السعودية سوى مدينة فاضلة بكل القيم التي يرونها صحيحة، وعندها سيحبون السعودية ويفتخرون بها ويدافعون عنها ويصدعون باسمها في كل المحافل. أما وإنها ليست على ما يريدون فإنهم سيواصلون تجريح أنظمتها الاجتماعية كلما لاحت الفرصة على مسرح الصحف والتلفزة. ولن يتوقفوا عن إبداء خيبتهم إزاء الوضع في بلادهم بعد أن عاشوا سنين غارقة في المثالية والنقاء والحضارة الأنيقة!

كما سيواصل المتشددون تخريبهم وتدميرهم لمقدرات الوطن حتى يثوب إلى رشده ويصبح كما يريدون أيضًا.

السعودية في نظر المعسكرين المتضادين يجب أن تكون مدينة فاضلة، لكن لكل معسكر مدينته المختلفة تمامًا عن الآخر، ولكل معسكر فضائله المختلفة تمامًا عن المعسكر الآخر! أيّ من الطرفين لم يفكر في السعودية كوطن وكأمة، وكهوية، وكمرجع. وأيّ منهم لم ير في السعودية سوى رقعة أرض عليها أن تثمر الثمر الذي يحبه ويفضله وإلا...!

لقد شاهدت بعيني عاملة إندونيسية اضطرت للغربة والعمل في الأعمال التي يستنكف هؤلاء عن العمل فيها (بعد أن كفتهم السعودية مؤونة ذلك) كانت تتحدث عن بلدها وعيناها تشعان بالفخر والانتماء



كلما شاهدت عادة، أو تصرفًا، أو كلمة، أخبرتنا بما يوافقها في بلادها أو يضادها دون أن تطأطئ رأسها من الوطن الذي لم يكفل لها ولأطفالها أبسط مقومات الحياة الشريفة! أما هؤلاء فمصدومون من السعودية! وكم أعجبني مسؤول كويتي عندما سئل عن إمكانية استضافة الكويت أو السعودية للأولمبياد، فاكتفى المسؤول السعودي بالقول: «إن شاء الله». أما الكويتي فقال بكل جرأة: «إن وجود العنصر النسائي في هذه الأولمبياد هو الذي يعيق استضافة السعودية والكويت لهذا الحدث، وإلا فهما قادرتان على استضافته بكل نجاح».

إن الاعتزاز بثوابت البلد ومبادئه (وإن بدت لا تروق للآخرين) هو من صميم المواطنة الصالحة، ومن أبجديات الانتماء الواثق للوطن.

إن السعودية بلد جميل، مثقف، منوع المشارب، مختلف في التركيب الاجتماعي.. يجمع طباع السهل والجبل، والخيمة والقصر. لا ينظم الأولمبياد لكنه يستضيف الآسيوي. ليس لأنه يضم ١٣ ألف رياضي، بل لأن قيمه لا تسمح بهذه المناظر الخادشة للحياء من قبل النساء الرياضيات. ويستضيف أيضًا أكثر من مليوني مسلم ومسلمة كل عام وليس مرة في التاريخ.

فيا أيها الكتاب المصدومون.. رجاء أفيقوا من صدمتكم وابتهجوا بالواقع الوردي للسعودية. فالرماد ليس إلا في عين من لا يرى الورد. ويا أيها المخربون رفقًا بالسعودية فهي أفضل مكان في هذا العالم لكي تعيشوا أفضل حياة تريدونها. ولتبقي يا بلادي منارة الإسلام الشامخة، ونور الإنسانية الساطع، ووهج الحضارة الساحر، وألق الوطن الأثير.. لا يدنسك فعل أخرق، ولا ابن أحمق.. تمرد في لحظة مراهقة على والديه.. سيعود الجميع لتقبيل يديك.. أيتها الأم العظيمة. ■

# من يطارد أرنبين لا يمسك أحدهما !!

سعيد الدوسري - الرياض

أنا فاشل.. نعم أنا فاشل.. وأقولها بالفم الفارغ وليس المليان. لأن الفم المليان لا يستطيع التحدث أصلاً.. ولذلك يقولون: «في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء؟!»

وأكبر دليل على فشلي أني عجزت عن إرسال هذا الموضوع عن طريق الإيميل عدة مرات.. فاضطررت لإرساله عبر الفاكس الذي لا أجيد استخدامه. حاولت عدة مرات.. فكانت الورقة تدخل ثم تخرج لي مرة أخرى.. فأتصل برقم المجلة مرة أخرى. وأرسل الورقة فتدخل ثم تخرج.. «هاه.. عجيبة» كررت العملية عدة مرات إلى أن أخبرني أحد المختصين في شؤون «الفاكسات» أن خروج الورقة مرة أخرى لا يعني عدم وصول الرسالة.. وأخذ يضحك علي.. فضحكت على نفسي لأنني كنت أعتقد أن الرسالة ستدخل «الفاكس» وتخرج بشحمها ولحمها في المجلة مباشرة.. وتيقنت أنني فاشل فعلاً، ولكن من يدري فربما يخترع العلماء فاكسًا ينقل الورقة نفسها يومًا ما، وأحصل بذلك على براءة اختراع له!

أحيانًا أشعر أن حياتي مثل (القيوط) الذي يطارد «رود رنر road runner» أو عداء الطريق، أو ما كنا نسميه صغارًا «بيب بيب». وهذا القيوط دائمًا ما تنتهي كل ابتكاراته الرائعة للقبض على بيب بيب بالفشل، ورغم أنه لا يألو جهدًا في سبيل تطويرها.. يريد أن يسقط صخرة على بيب بيب فتسقط على أم رأسه، يريد أن يمسك به فيصطدم بشاحنة، يريد أن يفجره فتنفجر القنبلة فيه!

والغريب أن هذا المسلسل الكرتوني ممنوع من البث في اليابان لأنه يسبب الإحباط لدى الأطفال، ويغرس فيهم الانهزامية لأنهم يرون أن الذي يخطط ويفكر وهو القيوط لا يخرج بنتيجة بل على العكس تنقلب خططه كلها ضده.

وقرأت يومًا أن أطفال أمريكا قدموا اعتراضًا أيضًا على هذا المسلسل.. واسم المسلسل بالإنجليزية «To beeb or not to beeb» وهو مأخوذ من مقولة في مسرحية هاملت لشكسبير «To be or not to be»، ومعناها أن أكون أولا أكون.. وأنا ليس بصفتي تربويًا ومعلمًا مخضرمًا فقط بل بوصفي أحمل



في داخلي طفلاً كبيرًا، أطالب التلفزيون السعودي وقناتي المفضلة «سبيس تون» بعدم بث هذا المسلسل إلا بعد أن أكون أنا وابني الصغير وائل نائمين.

حتى الآن رغم تقدمي في العمر ما زلت أذكر قصة «القرد الفاشل والنجار» في مطالعة الصف الثاني الابتدائي، حين حاول القرد تقليد النجار فأطبقت الأخشاب على ذيله فبقي يصرخ مكانه حتى جاء النجار فضربه فكان ما لقيه من النجار أشد مما لقيه من الأخشاب. وأذكر أنني أصبت بخوف شديد من التعامل مع كثير من أدوات العمل في مزرعتنا بعد قراءة القصة.. وربما أنت حتى الآن تخاف استخدام بعض الآلات مثل المثقاب أو مفرمة اللحم أو المنشار الكهربائي بدون سبب مبرر، مما يعني أن المسألة هي مجرد «فوبيا» أي خوف غير منطقي سببه غالبًا حادث أو قصة أو خبر نسيته في مرحلة الطفولة المبكرة.

وقد عُدلت نهايات عدد من القصص التي وردت في كتاب المطالعة لتكون منسجمة مع روح العصر لأن أغلبها قصص قديمة موجهة للكبار من «كليلة ودمنة» أو من «خرافات أيسوب» وهو فيلسوف يوناني أو من قصص «لافونتين» الفرنسي والتي حول بعضها أحمد شوقي إلى أناشيد، وأشهرها الغراب صاحب الجبنة الدانماركية والثعلب. ومن بين تلك القصص قصة القرد والنجار.. وأصلها من «كليلة ودمنة» فقد غيرت نهايتها بحيث إن القرد قفز على الأخشاب وأخذ يعمل بجد فلما عاد النجار أعجب به، وأعطاه موزة من موز «الشربتلي» قال له: من الآن فصاعدًا ستكون مساعدي الأول يا قردي العزيز.

بدأت حياتي مع الفشل مع أولى محاولاتي لدخول عالم المال والأعمال أو «البزنس» عن طريق بيع الدوم.. نعم الدوم ما غيره، أو العبري أو الكين.. أو ثمرة شجرة السدر. كنت أحمل معي كمية الدوم التي أجمعها من مزرعتنا إلى المدرسة

الابتدائية بناء على طلب بعض رفاق الصف، الذين يشترون الكيس الصغير بريال، والكبير بخمسة. بدأ الجميع يطلب.. ونجح المشروع.. حتى دخل ذات يوم الأستاذ عبدالله (الله يعطيه طولة العمر) الصف فشم رائحة الدوم.. وشاهد بذوره ملقاة على أرض الصف. فسأل بغضب: من الذي يجلب الدوم في المدرسة؟

فأشارت أصابع الجبناء - عليهم من الله ما يستحقون - إلى الوكيل الوحيد المعتمد للدوم في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم. ضربني الأستاذ حتى كاد يغمى علي. وتوقف المشروع بدون خسائر والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه!

فشلت ولكني تعلمت درسًا من هذه التجربة تعلمت أن المكاسب غير المشروعة لا تثمر. وتعلمت أن الأخبار السيئة تنتشر بسرعة. وتعلمت أن التاجر يولد من رحم أمه تاجرًا.

قررت أن أنتقل إلى تربية الطيور. فعملت في تربية الحمام. وكسبت مكاسب جيدة. وكنت أبيع الزوج بعشرين ريالاً. ولكن الحظ السيئ لا يترك أصحابه. فقد تعرفت القطط الضالة (بمزيد من الأسى والحزن) على موقع تربية الحمام. فبدأت بافتراسه ورغم أنني اقتصصت من هذه القطط لتكون عظة وعبرة لكل من تسول له نفسه الاقتراب من طيوري المدللة. إلا أن قيمة مبيعات الحمام (مع الأسف) لم تعد تغطي قيمة مصاريف إعاشته ففشل المشروع طبعًا!

فشلت ولكني تعلمت أن للقطة تسع أرواح، وأن من لا يفشل لا يفعل شيئًا، وأنه لولا الأمل لانفطر الفؤاد.

دئمًا يردد رجال الاقتصاد والمال والأعمال هذه المقولة: Dont Put all your eggs in one pasket أي لا تضع كل البيض في سلة واحدة وأما أنا فكنت أردد: إذا كانت الدجاجة الواحدة تبيض بيضة واحدة، فمعنى ذلك أن عشر دجاجات سيبضن بلاشك عشر بيضات.. طبعًا بوجود ديك حتى لا تنشأ (الفراخ) يتيمة الأب!

اشتريت بنقود الحمام قطيعًا من الدجاج البلدي، وبدأت أجمع البيض وأبيعه، وأحيانًا كنت أقنع الدجاجة أو الديك (بحب المناقير) بالبقاء



فوقه حتي يفقس، فازداد القطيع، وبدأت أبيع الدجاج أيضًا، وشعرت بأنني يومًا ما سأنافس دواجن «الأخوين» وبيض «سهباء» ولأن الديوك عديمة النفع، فقد كنت أبيعها لأول مشتر. وغالبًا ما يكون من الفلبينيين أو كما كنا نسميهم «الكوريين» هواة مصارعة الديوك الحرة، ومن خلال هذه الفترة حللت معضلة الجدل البيزنطي المشهورة وعرفت أيهما أسبق الدجاجة أم البيضة.

بالطبع، لم أخبر أحدًا حفاظًا على أسرار المهنة، ولم يكتشف العلماء أن الدجاجة تسبق البيضة إلا قبل سنة تقريبًا، ولكنهم حتى الآن لم يعرفوا أيهما أسبق: الدجاجة أم الديك؟

وأنا وحدي عرفت ذلك قبل عقود من خلال التجربة العملية. تود معرفة التجربة؟ بسيطة:أحضرت ديكًا ودجاجة وقمت بمطاردتهما فتمكنت من الامساك بالديك أولاً، وبذلك اكتشفت أن الدجاجة أسبق من الديك!

وذات ليلة سوداء قضى كلب متوحش واحد على قطيعي الصغير ومزقه شذر مذر!

نعم، أعترف بأنني فشلت في تربية الدجاج،

ولكنني تعلمت من هذه التجربة أشياء كثيرة، تعلمت أن دجاجة الشخص سيئ الحظ مثلي تصبح ديكًا، وأن ديك الشخص المحظوظ يبيض! تعلمت أن الديك الذي يستيقظ مبكرًا يفوز بالدجاج، وأن الدجاجة التي تستيقظ مبكرًا تفوز بالدودة، وتعلمت أن بيضة في اليد خير من عشر بيضات في مؤخرة الدجاجة. وأن الدجاجة تقيق في مكان وتبيض في آخر، وأن العاقل لا يعد فراخه قبل أن يفقس بيضها. وتعلمت أيضًا أن الكلب يبقى كلبًا.. وخاصة حين يأكل دجاجك.. وتعلمت ألا أستل سلاحي لأقتل كلبًا.. وتعلمت أن بيضة اليوم خير من بقرة البارحة.. وتعلمت الكثير الكثير.. والحقيقة أنني صرت حينها فيلسوفًا صغيرًا أمارس فعل التفلسف، لأن الفلسفة هي البيضة الذهبية التي تخرج من رحم الدجاج.. عفوًا أقصد المعاناة، ولا علاقة للفلسفة بالعمر لأنه كما يقال: «الشوارب لا تصنع فيلسوفًا!».

وذات يوم عرفت من عامل المزرعة «صبري محمد أحمد سليم موسى بحيري» أنهم في مصر يسمون المليون جنيه أرنب.. ولأنني أحلم أن أكون من أصحاب الأرانب.. انتقلت إلى مهنة تربية الأرانب!

الأرانب تتوالد بسرعة كما تعلمون. بدأت بما كسبته من تربية الدجاج وثمن ديك صغير وجدته مختبئًا بعد أن كسر الكلب ساقه فأخذ يعرج، واشتريت زوجين من الأرانب وماهي إلا أيام حتى بدأت بالحفر والتوالد.. و«هات يا أرانب» و«هاتك يا فلوووس» تكاثر وبيع وشراء.. على طريقة متوالية الأرانب أو متوالية «فيبوناسشي». والذين خسروا في الأسهم يعرفون هذه المتوالية جيدًا!!

وهي بهذا الشكل: في الشهر الأول زوج واحد، وفي الثاني زوجين، وفي الثالث ثلاثة ثم خمسة ثم الشهر الذي يليه ثمانية ثم ١٣ ثم ٢١ ثم ٤٣... وأنا لم أبدأ بزوج بل بزوجين، ولذلك اضرب في اثنين وعليك الحساب.

أشهر قليلة حتى جاء التصحيح الحاد أو الانهيار العظيم في فصل الصيف، ونتيجة الحر والمرض انتقلت جميع الأرانب في يوم واحد إلى بارئها، وكدت في ذلك اليوم أدخل مصحة نفسية.. لولا أنه - ولله الحمد - لا يوجد عندنا أصلاً مصحات نفسية في قريتنا!

نعم فشلت بكل أسف، ولكني بكل فخر تعلمت من تجربة الأرانب أن من يطارد أرنبين لا يمسك أحدهما. وتعلمت أن نصف رغيف خير من فقدان الخبز كله، وتعلمت أن الذين يضحكون في الصباح هم أنفسهم الذين يبكون في المساء. وتعلمت أيضًا (وهذا هو الأهم) أن الثروة تقبل زاحفة كالسلحفاة، ولكنها تفر قفزًا كالغزال!

وانتقلت إلى تجربة أخرى.. هي مدرسة بحد ذاتها! بعد وفاة والدي انتقلت إلى حرفة أخرى وهي بيع البرسيم في سوق «هايبرماركت» مخصص للبرسيم، حقيقة إنه لم يكن «هايبرماركت» بل كان مجرد برحة.

المهم.. أوقفت السيارة «هايلكس ٧٩ غمارة» وبدأت بيع الربطة الواحدة بثلاثة ريالات. وما هي إلا دقائق حتى وصل معلمنا في المرحلة الابتدائية الأستاذ «حسن» معلم اللغة العربية - أمد الله في عمره - الذي أكن له كل احترام وتقدير. طلب مني أن أقدم له خصمًا، فقلت له: «يا الله عشانك.. بريالين.. ومن علمني حرفًا قدمت له خصمًا».

فأخذ الأستاذ حسن يصيح.. بأعلى صوته على جميع زبائن السوق: «تعالوا اشتروا من الطيب.. من مزرعة المرحوم.. بريالين بس!».

تقافز الجميع.. وانتهت البضاعة ولكن بثمن بخس (مع الأسف) وعدت إلى المنزل فجلدني أخي الأكبر على تصرفي الأرعن، ولم يعد يسمح لي بالبيع!

تعلمت من هذه التجربة أن البيع والشراء لا يعرفان والديهما، وأن مهنة جيدة أفضل من ميراث وفير، وأن من لا يعلم ولده مهنة فهو يعلمه السرقة، وتعلمت أنه حتى أمهر الحدادين يصيب إصبعه أحيانًا، وأن من يتردد بين مسجدين يرجع بدون صلاة!

وأخيرًا، هذه فلسفة بحد ذاتها تغني عن الفلسفة السقراطية، الديكارتية، والبراجماتية. والماركسية، والهيجلية، والأنطولوجية، والفنومنولوجية.. تعلمت أن حفنة من الحظ خير من كيس مملوء حكمة وفلسفة وسفسطة! ■

# مكتب للتربية الإعلامية

يأتي المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية ليفتح آفاقًا جديدة في التعاطي مع الإعلام، لأن التربية ستكون منقوصة إذا لم يساندها الإعلام. وزارة التربية والتعليم ليس في المملكة فقط وإنما في العالم وبصورة أدق المؤسسات التربوية والتعليمية وجدت نفسها في ساحة الإعـلام عارية ليس لأن الإعـلام يملك سلطة رابعة أو أن له شهية وجاذبية، ولكن وسائل المعرفة والتعليم هي إحدى ممتلكات الإعلام، فهناك تعليم من خلال الوسائل الإعلامية وهناك أيضًا تربية عبر أساليب وثقافات إعلامية. لذا كان لا بد أن يقرر . وبشكل حازم ومبكر . قيادات التعليم في إشراك الإعلام عبر الثقافة الإعلامية والوسيلة وأساليب الطرح الإعلامي الذي أصبح في بعض أشكاله مقاربًا لأساليب التعليم ومقاربًا لتلك الفلسفات التي تتبناها بعض مؤسسات التعليم وهو التعليم من خلال اللعب والبيت والمقاعد الدراسية.

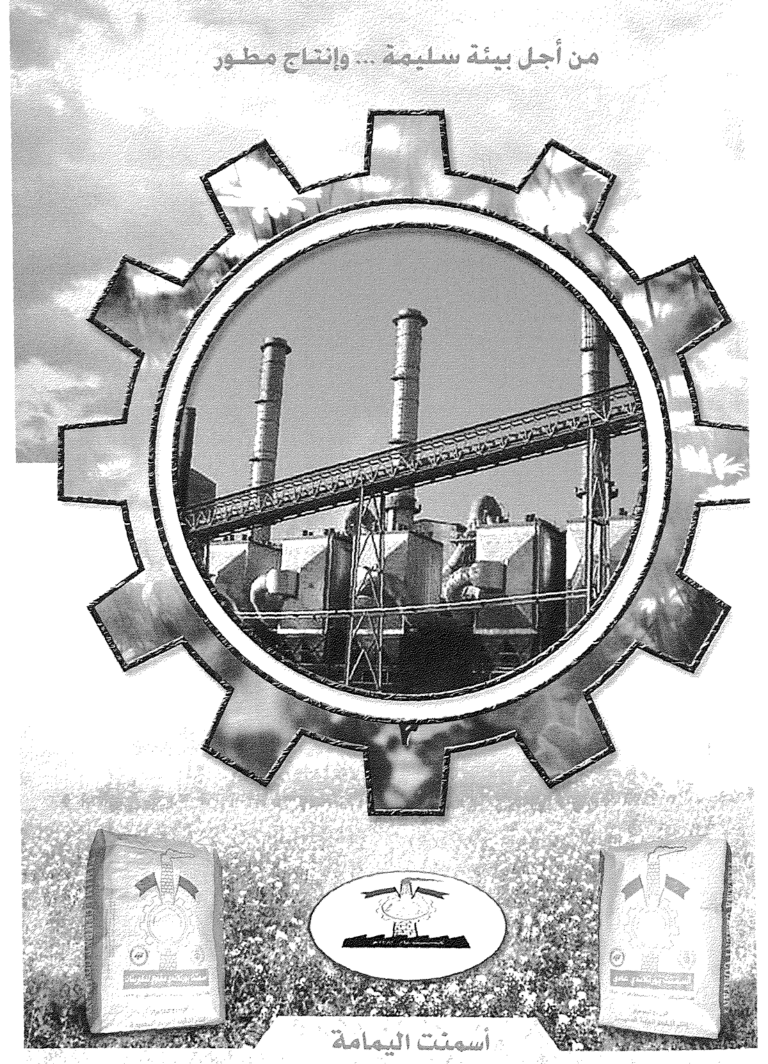


د.عبدالعزيز الجارالله

لن أبسط فكرة المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية الذي تنظمه وزارة التربية والتعليم في بلادنا، لأن له أهدافًا وأبعادًا وخططًا قد لا تكون حاضرة في المنظور القريب، لكنها تؤسس لثقافة معرفية تقيمها مع الإعلام. فلربما يؤسس هذا المؤتمر لهيئة دولية في الوطن العربي تتبنى التربية الإعلامية خاصة إذا عرفنا أن المنظمات الدولية المرتبطة بالتعليم والعلوم الإنسانية شاركت في هذا المؤتمر. كما أن وزارة التربية والتعليم لها السبق في طرح هذه القضية الحاضرة في عالمنا والتي لم يتنبه لها كثيرون. فالدول تشعر أن هناك خللاً بين الإعلام والتربية وتشعر أن ما بناه العاملون في حقل التعليم في سنة هناك جهاز آخر يهد هذا البناء بساعة، أو يوجد في واجهاته شروخ وشقوق ونتوءات بقصد وغير قصد..

كما أن التربويين يشعرون أن هناك من يسرق الطلاب والتلاميذ منهم ويحاول صياغة الجيل صياغة قد تبعده عن القيم وأخلاقيات الدين، بل هناك من يجفف أخلاقياته ويجرده من الموروث القيمي..

لن أستبق الحدث فالمشاركون في المؤتمر من دول عديدة عربية وأجنبية جاؤوا يحملون همومهم التعليمية والتربوية وقدموا طروحاتهم وخرج المؤتمر بتوصيات .. وهم قادرون على كشف كل المحاور وطرح الآراء الجديدة حول جدلية التربية والإعلام انسجامًا وتباعدًا.■




تواجه التحدي بعزم وأصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن
الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة.